سرّ الجاذبية:
داعش، الدعاية والتجنيد



أوراق ونقاشات مؤتمر

سر الجاذبية: داعش، الدعاية والتجنيد

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(٢٠١٦/٣/١١٤٦)

٣٢٤.٢١

أبو رمان، محمد سليمان

سر الجاذبية: داعش، الدعاية والتجنيد/ محمد سليمان أبو رمان. —

عمان: مؤسسة فريدريش ايبرت، ٢٠١٤

(١١٥) ص.

ر. إ. : ٢٠١٦/٣/١١٤٦.

الواصفات: /الأحوال السياسية//الارهاب//البلدان العربية/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الناشر مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب الاردن و العراق

مؤسسة فريدريش ايبرت — مكتب عمان

صندوق بريد: ٩٤١٨٧٦ عمان ١١١٩٤ الأردن

بريد الكتروني: fes@fes-jordan.org

الموقع الالكتروني: www.fes-jordan.org

غير مخصص للبيع

مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب عمان©

جميع الحقوق محفوظة. لا يمكن اعادة طبع ، نسخ أو استعمال اي جزء من هذه المطبوعة من دون اذن مكتوب من الناشر.

الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تمثل بالضرورة وجهات نظر مؤسسة فريدريش إيبرت أو المحرر.

- ترجمت ورقة الدكتور أبو طعام من قبل السيد يوسف حجازي وورقة الدكتور لومباردي من قبل شركة Industry
- تصميم الغلاف: رمزي العربي
- طباعة: المطبعة الإقتصادية
- الرقم المعياري الدولي (ردمك): ٩٧٨-٩٩٥٧-٤٨٤-٦٤-٤

أوراق ونقاشات مؤتمر

سر الجاذبية: داعش، الدعاية والتجنيد





الفهرس



الخضوع لتنظيم الدولة الإسلامية

آنيا فيلر–تشوك

"ما قاتلتهم طمعا بغفرانك ولا رضوانك، لم أسألك الجنة لي، وإنما لغيري. لم أرد منك مغنما ولا مكسبا، أردت تطهير أرض المسلمين من رجسهم، وإقامة دولة الإسلام، لتحكم شريعتك، وتقام الصلاة خالصة لك، ويتلى كتابك الكريم، وترتفع كلمتك وتتحقق."

هكذا فسرالجهادي السوري، سامر، دافعه للإنضمام لتنظيم القاعدة في العراق في رواية فواز حداد "جنود الله" والتي صدرت في عام ٢٠١٠. إن مسألة هذه الدوافع الروحية للإنضمام للتنظيمات الجهادية الإسلامية قد تنطبق على أغلبية أو على الأُقل على جزء واسع من الجهاديين مازالت مثار جدل واسع . إن تنظيم القاعدة في العراق والذي كان هدفه الأساسي المتمثل في مواجهة القوات الأمريكية في العراق قد تطور منذ ذلك الحين إلى تنظيم "الدولة الإسلامية"، والتي يشار لها ب"داعش"، الساعية لإنشاء وتوسيع الخلافة. وبناء على هذا التطور، فإن السؤال المطروح هو كيف أثر هذا التحول على دوافع وخلفيات الجهاديين للانضمام إلى القتال.

ومنذ توسعها السريع في عام ٢٠١٤، لا يزال تنظيم الدولة الإسلامية واحدا من الظواهر التي قل نظيرها في عصرنا. حيث وصل تنظيم الدولة إلى مستويات غير مسبوقة في التجنيد لم تفلح بها أي منظمة أخرى في التاريخ الحديث لتجنيد هذا العدد من المقاتلين. إذ لديها الامكانيات المهنية والتكتيكية لاستخدام وسائل الإعلام والدعاية وأدوات الاتصالات التي قد تجاوزت بكثير استراتيجيات الحركات الجهادية الأخرى.

وعلى الرغم من المكاسب العسكرية ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" على الاراضي العراقية منذ عام ٢٠١٥، ومن التقارير حول تراجع أعداد الجهاديين المنضمين للتنظيم من الخارج، ومن إغلاق مئات الآلاف من حسابات التويتر وحذف أشرطة فيديو من اليوتيوب، فلم يفقد التنظيم الكثير من جاذبيته. على الرغم من ذلك تتعهد المجموعات في جميع أنحاء العالم بالولاء لهذا التنظيم؛ حيث أن الفوضى في دول مثل ليبيا واليمن توفر أرضا خصبة جديدة. وتعد الهجمات التي يقوم بها الأفراد في جميع أنحاء العالم "مستلهمة" من أيدولوجية تنظيم "الدولة الإسلامية".

ومن ضمن مجال عملها على الإسلام السياسي والتطرف، تتابع مؤسسة فريدريش ايبرت هذه الحركات وميولها من سنوات عديدة عن كثب، وذلك بهدف نشر تحليل معمق من قبل خبراء محليين من منطقة الشرق الأوسط وتعزيز خطاب مفتوح وعلمي حول هذه القضايا.

إن الأوراق في هذا الكتاب تم تقديمها في مؤتمر دولي بعنوان "سر الجاذبية: داعش، الدعاية والتجنيد"، والذي نظم من قبل مؤسسة فريدريش إيبرت–عمان في شهر حزيران ٢٠١٥. عند بداية النقاش عن محور المؤتمر بين مجموعة الخبراء، ، شعرنا أن هناك معرفة ضئيلة عن خصوصية جاذبية داعش ، مما يؤدي إلى تلك المستويات الغير عادية في التجنيد. أدركنا بعد ذلك – وبموازة عمل سابق للمؤسسةعلى السلفيين والجماعات السلفية– أننا في حاجة إلى المزيد من المعرفة عن أوجه التشابه والاختلاف بين الأتباع والمجندين لتنظيم "الدولة الإسلامية". على وجه الخصوص، أردنا معرفة فيما إذا كانت أسباب الخضوع لدعاية داعش أو حتى الانضمام إليها كمقاتلين تختلف وفقا لبلدهم الأم.

لمزيد من التحليل ، قررنا تقسيم الجهاديين إلى ثلاث مجموعات: ١. القادمين من البلدان التي تسيطر داعش فيها على مساحات من أراضيها، وتشارك في النزاع المسلح المستمر؛ أي سوريا والعراق (اليوم تضاف ليبيا إلى هذه الفئة)، ٢. القادمين من منطقة الشرق الأوسط بشكل أوسع، ٣. الجهاديين الغربيين. وبالتالي، تسلط أوراق هذا الكتاب الضوء على الوضع في عدة دول مختلفة وعلى دوافع المقاتلين القادمين من هذه الدول. ما أصبح واضحا جدا، وعلى الرغم من أن هناك بعض الدوافع المعينة التي تظهر في جميع السياقات، أنه من الحتمي فهم عدم تجانس أتباع هذا التنظيم؛ من حيث الخصائص الفردية ودوافع الجهاديين من كل فئة وبلد.

علاوة على ذلك، فإن تقييم الديناميكيات الجهادية في مختلف أنحاء المنطقة والعالم يُظهِر بشكل واضح، أن مكافحة داعش عن طريق استراتيجيات تقنية وعسكرية قد يقلل من قدرات التنظيم لفترة قصيرة ولكن لن يعالج الأسباب الجذرية للتعبئة الجهادية، ولن يطور مايطلق عليه ب "الروايات المضادة". يمكن أيضا أن تكون تلك التقارير عن الاحتواء المفترض لداعش على وسائل الإعلام الإجتماعية ذات تأثير ولكنه محدود، إذ أن التنظيم –مع استفادته النسبية من اغواء متتبعيه لحظره على شبكات التواصل– سيجد قنوات أخرى للاتصال والتكيف مع هذه الاستراتيجيات وأدواتها. وعلى سبيل المثال، فإن مسيرة تنظيم القاعدة في العراق علمنا درسا أنه ما لم تتم معالجة الأسباب الجذرية، فإنها ليست سوى مسألة وقت وظروف وسوف تعاود هذه الظاهرة بالظهور في شكل أو بآخر.

ونتيجة لذلك، فإن مكافحة المجموعات الجهادية بكفاءة يقتضي الالتزام في حلول طويلة الأمد لمعالجة عدد من المظالم الجدية، التي تسهم في التطرف. إلى جانب الحاجة الواضحة لوقف الصراعات العنيفة التي تمزق عدة دول في المنطقة، وتشمل هذه الاستراتيجيات الآتي:

- إنشاء هياكل للحكم الرشيد والمساءلة
- تعزيز العدالة الاجتماعية وتنفيذ آليات حماية اجتماعية فعالة للتغلب على تهميش شرائح معينة من المجتمع وتقليص الفوارق الاجتماعية والاقتصادية
- الاستثمار في جودة التعليم الأساسي والعالي
- تشجيع التعددية والتسامح في حين القضاء على الأدوات السياسية لديناميكيات الطائفية
- تعزيز الجهات الفاعلة المعتدلة من الإسلام السياسي والسعي إلى حوار حقيقي معهم
- معالجة وافية لقضية العائدين وتجنب (إعادة) التطرف في السجون

"سرّ الجاذبية: الدعاية والتجنيد لدى داعش"

محمد أبو رمان

منذ صعوده العسكري الراهن في المشهد العراقي– السوري في العام الماضي ٢٠١٤، وانتشار ثقافته ونموذجه إلى مساحة واسعة من الدول والمجتمعات العربية والغربية على السواء، ما يزال تنظيم داعش يثير جملة كبيرة من الأسئلة والتساؤلات ويخلق سجالات ونقاشات واسعة، ويتصدّر عناوين الأخبار والتقارير الإعلامية[١].

هذه الأسئلة والنقاشات مسكونة بـ"الصدمة الشديدة" –التي أصابت الرأي العام العربي والغربي، بل وحتى الإدارة الأميركية نفسها التي اعترفت لاحقاً بوجود "سوء تقدير" (من قبل أجهزتها الأمنية) لمدى قوة التنظيم– الناجمة عن البروز المفاجئ للتنظيم.

المؤشرات على الصعود الراهن بدأت في نيسان من العام ٢٠١٣ عندما أعلن زعيم التنظيم أبو بكر البغدادي عن ضمّ جبهة النصرة إلى ما كان يسمى الدولة الإسلامية في العراق، ليصبحا تنظيماً واحداً باسم "الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام"، وهو ما رفضه كلٌّ من زعيمي القاعدة، أيمن الظواهري، وجبهة النصرة، أبو محمد الجولاني، ثم ليستيقظ العالم (بعد قرابة سنة وشهرين) على أخبار وصور سيطرة التنظيم على الموصل، وأجزاء كبيرة من مساحة العراق، وصولاً إلى هيمنته على المناطق التي كان يسيطر عليها بين العراق وسورية، وإطاحته بتنظيم جبهة النصرة في المنطقة الشرقية من سورية، ليضمها إلى ما يسيطر عليه من محافظة الرقة شمالاً، وتحقيقه انتصارات حاسمة على القوات العراقية والسورية، ثم إعلان الخلافة الإسلامية وتنصيب زعيم التنظيم البغدادي "خليفة للمسلمين"، والتحول من "دولة افتراضية" أو "ورقية"، كما كان يصفها خصومها، إلى سلطة حقيقية على أرض الواقع تمتلك الموارد والجيش والإعلام وتتحكم بملايين البشر، الذين يخضعون لهذا النمط من السيطرة والهيمنة في تلك الأراضي.

لم تتوقف صدمة الرأي العام والنخب عند حدود صعود التنظيم بل إن أحد أبرز روافد هذه الصدمة يتمثل في خطاب التنظيم الإعلامي، إذ قدّم أداءً متطوّراً على الصعيد التقني والفنّي والإنتاجي، ومرعبا على الصعيد النفسي والمجتمعي، وأنتج أشرطة مصوّرة غير مألوفة أو مسبوقة حتى من قبل تنظيم القاعدة المركزية نفسه، فهنالك "طفرة كبيرة" في استخدام التنظيم للإعلام واليوتيوب ووسائل التواصل الاجتماعي.

المصدر الثالث للصدمة يتمثّل في السلوك المتوحّش الدموي للتنظيم، الذي لم تصل إليه التنظيمات الراديكالية الإسلامية المعروفة سابقاً، إذ قدّم "إنتاجاً فنيّاً" يصوّر بتقنية عالية مشاهد الذبح والقتل والتفنن فيها، سواء عبر سلسلة أفلام "صليل الصوارم"، أو ما تبعها من تصوير مشاهد قتل الطيار العسكري الأردني، معاذ الكساسبة، والأقباط المصريين والصحوات العشائرية العراقية.

[١] استخدام مصطلح "الصعود الراهن" لتنظيم داعش هنا يعود لأنّ جذوره تعود إلى ما قبل العام ٢٠١٤، فهو تأسس على يد أبي مصعب الزرقاوي في العراق في العام ٢٠٠٣، ثم انضم إلى القاعدة في العام ٢٠٠٤، وتم الإعلان عن تأسيس دولة العراق الإسلامية في ٢٠٠٦، ليتراجع التنظيم بعد ذلك تحت ضربات الصحوات، ثم يعود للصعود والبروز مع العام ٢٠١١، وصولاً إلى إعلان البغدادي عن ضم النصرة، ثم إعلان الخلافة. انظر لمزيد من التفصيل: حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، مؤسسة فريدريش ايبرت، عمان، ط١، ٢٠١٥، ص ٢٣-٧٠.

كل ذلك دفع باتجاه عريض من المثقفين والسياسيين العرب إلى تبنّي نظرية "المؤامرة"؛ أي القول بوجود أيدٍ خفيّة تقف وراء التنظيم وتخترقه، بوصفه أداة لبعض القوى الدولية والإقليمية. وتبدو المفارقة في هذا المجال أنّ الأطياف التي تتحدث عن المؤامرة تتقاذف التهم والحجج، فأنصار النظام السوري والإيراني يتحدثون عنه بوصفه مخلوقاً سعودياً- عربياً، ونتاجاً مباشراً لإضعاف تلك الأنظمة، والدعم المالي والمدّ السلفي الذي اجتاح المنطقة. أمّا خصومه من السنة العراقيين والسوريين فيعتبرونه أداةً إيرانية مخترقة تعمل لصالح طهران، فيما تراه نخبة من السياسيين والأكاديميين العرب مؤامرة أميركية أو إسرائيلية.

في مقابل هذا الاتجاه برز من يربط صعود التنظيم وخطابه بالعامل الثقافي- الأيديولوجي، أي بوجود ثقافة إسلامية وتراث فقهي وفكري ما يحفّز هذا الفكر ويعززه ويجذّره، ويمنحه الطريق السريعة للوصول إلى قلوب وعقول الشباب العربي والمسلم في سرعة قياسية.

في حين شبّك اتجاه آخر بين قوة التنظيم مرتبطة بالظروف السياسية الواقعية والموضوعية، وما يتفرع عن ذلك من عوامل متعددة. لكن تختلف التفسيرات ضمن هذه المقاربة في تقييم أهمية هذه العوامل ومقارنتها ببعضها، في تحديد وتعريف أيّاً منها أكثر حضوراً وتأثيراً في تفسير نفوذ التنظيم وصعوده. فهنالك أولاً سؤال الأزمة السنية في العراق وسورية وتبنّي التنظيم خطاباً هويّاتياً واضحاً صلباً في هذا الشأن، ما سهّل وعزّز قدرته على تجنيد العراقيين ثم السوريين السنة، ونشر دعوته ودعايته في أوساط الشباب الإسلامي السني. وثانياً دور حالة الفوضى والفراغ السياسي والأمني في المنطقة، والصراع والتضارب بين القوى الدولية والإقليمية، ما أعطى مساحةً من الدعم والنشاط لهذا التنظيم وقدرته على الحصول على دعم لوجستي ومالي مستثمراً حالة الفراغ والتضارب القائم. وثالثاً ضعف القوى العلمانية والليبرالية وحتى الإسلامية الأخرى في كل من العراق وسورية، ما يجعل من هذا التنظيم بما يطرحه من خطاب هويّاتي متشدد صلب هو الخيار الأول في مواجهة النفوذ الإيراني وحلفائه في المنطقة العربية من حكومات وقوى سياسية وعسكرية.

ما يزيد من حجم الغموض والتضارب في مقاربات تفسير التنظيم وصعوده وانتشاره هو القدرة الفائقة لديه (مقارنة بالمنظمات الإسلامية الأخرى، حتى في القاعدة نفسها) على التجنيد والوصول إلى شريحة واسعة من الأشخاص في مختلف مناطق العالم، وتكفي النظرة إلى عدد من المؤشرات الرئيسة حتى يتضح حجم قدرة الاتصال والتجنيد والتعبئة لدى هذا التنظيم:

أولاً- هنالك آلاف الأشخاص المنضمين إلى التنظيم من مختلف أنحاء العالم. وبالرغم من عدم وجود إحصائية حاسمة لعددهم، إلاّ أنّ أقل التقديرات الأمنية والبحثية، اليوم، تتحدث عن ١٥ ألف وأعلاها تتحدث عن ٤٠ ألف شخص، وهو رقم غير مسبوق، لا في الحرب الأفغانية (في الثمانينيات) ولا بعد الاحتلال الأميركي للعراق ٢٠٠٣، فهو رقم فلكي مقارنةً بالأرقام السابقة والجماعات الإسلامية الراديكالية الأخرى، وحتى بالجماعات غير الإسلامية.

ثانياً- مستوى الانتشار العالمي، فالتقديرات والتقارير تتحدث عن وصول المشاركين من أكثر من ٨٠ دولة في العالم، نسبة كبيرة منهم من العالم العربي، وهنالك آلاف من أوربا وأسيا الوسطى ومئات من أميركا مع استراليا، وربما تظهر هذه الصفة (التنوع العالمي) بوضوح في الأشرطة الصادرة عن التنظيم.

ثالثاً- التأثير الكبير على النساء والفتيات، بخاصة القادمات من أوربا والغرب، وحتى من الدول العربية، إذ هنالك حضور غير مسبوق وملحوظ لهنّ، فيما تتحدث بعض التقارير عن نسبة تصل إلى ١٠% تمثيل النساء في القادمين إلى التنظيم.

رابعاً- ظاهرة المتحولين دينياً، إذ هنالك نسبة غير مسبوقة، أيضاً، ممن انضموا إلى التنظيم، قادمين من الخارج، ممن غيّروا ديانتهم (غالباً المسيحية)، وأصبحوا مسلمين، وتبنّوا هذه الأيديولوجيا فانتقلوا إلى المناطق التي يسيطر عليها التنظيم.

خامساً- بالرغم من وجود نسبة معتبرة ممن ينضمون إلى التنظيم، ممن لم ينهوا دراستهم وتعليمهم أو من صغار العمر، إلاّ أنّ هنالك نسبة نوعية وفاعلة من أصحاب الكفاءات والمتعلمين ممن يلتحقون بالتنظيم، سواء كانوا من الداخل في العراق وسورية أو حتى من الخارج، فهنالك حاصلون على الشهادات العليا، وأطباء، ومهنيون، وإعلاميون وأساتذة مدارس، وعسكريون محترفون.. الخ.

هذه القدرة الكبيرة لدى التنظيم على التجنيد واجتذاب آلاف الشباب من مختلف دول العالم، وتشكيل ظاهرة غير مسبوقة في هذا المجال، تطرح تساؤلات بنيوية عن الأسباب والعوامل والشروط التي تمنح التنظيم خاصيّة النفود والوصول إلى هذه الشريحة الواسعة، بما أصبح يشبه لغزاً كبيراً بالنسبة للسياسيين والإعلاميين والمتابعين.

ومما يعمّق هذه الأسئلة ويمنحها أبعاداً إضافية مهمة؛ أنّنا أمام حالة تبدو متناقضة أو بمثابة معضلة في الفهم والإدراك؛ فكيف يمكن أن نفسّر هذه "الجاذبية" غير المسبوقة لآلاف الشباب من العالم، وذلك الانتشار الواسع لهذا النموذج والتنظيم بالرغم من السلوك الدموي والمتشدد غير المسبوق، الذي يقوم به وما يتبنّاه من أفكار وخطاب ديني وفقهي وسياسي متشدد ومتطرف؟!

يمكن اختصار جوهر الإشكالية أو المعضلة بالتساؤل: ما هو المغري أو الجاذب في مثل هذا التنظيم الذي يرتدي ثوباً مخيفاً ومرعباً؟! لماذا يفضّل الشباب أو الأشخاص الانضمام إلى هذا النموذج والاستعداد للذهاب إلى مسار مجبول باحتمالات كبيرة بأن يصبح صاحبه انتحارياً أو يُقتل فضلاً عن حياة مسكونة بالممنوعات والمحرّمات والتخلّي عن نمط الحياة المعاصرة، ويزداد هذا السؤال إلحاحاً عندما نتحدث عن الشباب، الذين عاشوا في الغرب أو ينتمون إلى عائلات غنية ويمتلكون موارد مالية ومكانة اجتماعية جيدة؟ ويتفرّع عن هذا السؤال جملة كبيرة من الأسئلة والتساؤلات المرتبطة بما نسميّه "سرّ جاذبية" التنظيم:

أولاً- هل يمكن أن نتحدث عن أسباب مشتركة أو موحّدة تجمع كل من ينضمون إلى التنظيم في مختلف أنحاء العالم؟ أي أنّ ما يجذب ابن العراق وسورية هو نفسه ما يجذب الأردني والسعودي أو السويدي والفليبيني؟ أم نتحدث عن أسباب مشتركة رخوة وأسباب محلية ومرتبطة بكل مجتمع أو دولة أو أولويات مختلفة بين من ينضمون إلى التنظيم؛ ما يعني أنّنا نتحدث عن أسباب خاصة بالسعوديين وأخرى بالأردنيين والتونسيين أو العرب عموماً وثالثة بالأوربيين وقبل ذلك أسباب مرتبطة بالدول التي نما وصعد فيها التنظيم في كل من العراق وسورية؟! وإذا كان الأمر كذلك؛ فما هي الأسباب المشتركة أو العامة، وما هي الأسباب الخاصة بكل منطقة أو دولة أو مجتمع؟!

ثانياً– إذا كانت السمات والخصائص التي تنضم إلى التنظيم مختلفة ومتنوعة؟ فهل هنالك خصائص معينة عامة؟ أو هنالك خصائص في كل دولة؟ سواء في العمر أو المستوى التعليمي أو الاجتماعي الاقتصادي أو المهني؟

ثالثاً– هل تلعب أدوات التجنيد دوراً مهماً في تسهيل العملية؛ فهل انتشار الانترنت، مثلاً، هو الوسيلة الأكثر تداولاً واعتماداً عليها من قبل التنظيم وأنصاره في نشر الفكر والأيديولوجيا والدعاية، ثم التجنيد؟ أم هنالك وسائل أخرى أخرى توازيها في الفعالية، مثل المساجد والاتصال الفردي؟ وهل يختلف الأمر من دول ومجتمع إلى آخر؟

رابعاً– ما هو مضمون الأكثر جذباً للاهتمام وتأثيراً في عملية التجنيد لدى هؤلاء الأشخاص القادمين؛ أهي قضية الظلم الذي يتعرض له السوريون والعراقيون وما يبث من صور للمذابح والقتل؟ أم هي القضية الطائفية والشعور بأنّ هنالك تهديداً هوياتياً شيعياً؟ أم قيمة القوة بحدّ ذاتها جاذبة لهؤلاء الشباب؟

خامساً– هل هنالك بيانات وأرقام عمن تأثروا بهذا التنظيم من الخارج وذهبوا إلى المناطق التي يسيطر عليها؟ ماذا حدث لهم؟ قُتلوا؟ اعتُقلوا؟ رجعوا إلى بلادهم؟!

سؤال الهوية: لماذا أصبحت "داعشياً"؟

"قبل مجيئي إلى سورية، كنت عامل نظافة براتب ٢٠٠٠ دولار شهرياً. وبالرغم من أنني لم أكن غنياً، فقد كانت حالتي المالية جيدة. لم أكن منبوذاً اجتماعياً؛ كان لي عائلة وأصدقاء يساندوني.. كنت أشاهد الهوكي، وأذهب إلى الكوخ وأصيد السمك". بتلك الكلمات كان الكندي–الداعشي أندريه بولين (أبو مسلم لاحقاً)، يخاطب الكنديين والآخرين في أحد الفيديوهات المبثوثة من قبل التنظيم، ويجيب فيه عن السؤال: "لماذا أصبح داعشياً"، ليؤكد أن السبب هو أنه يريد العيش في دولة إسلامية، وهذا لا يعني أنه راديكالي أو غير سويّ.

الدكتورة إيمان مصطفى البغا، عضو هيئة التدريس في جامعة الدمام، وأستاذة الفقه والاقتصاد الإسلامي، وابنة فقيه إسلامي معروف من سورية، التحقت هي الأخرى مع أطفالها بتنظيم داعش، بعد أن تركت جامعتها وطالباتها، وقد كانت تتقاضى راتباً ضخماً.

الطريف أنّ البغا ألفت كتيباً صغيراً (أقرب إلى مقالة قصيرة) بعنوان "أنا داعشية قبل أن توجد داعش"، تقول فيه "منذ أن قرأت عن مآسي المسلمين، وكنت قد قرأت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة والفتوحات، قرأتها عشرات المرات، وقرأت التاريخ المعاصر بكل ثوراته، ودرست فقه الجهاد على يد كبار العلماء، منذ أن فعلت كل ذلك: كنت داعشية التفكير والمنهج، أنا داعشية قبل أن توجد داعش، وأعرف أنّه لا حل للمسلمين إلاّ في هذا الجهاد"[٢].

الشاب محمد ولد بريهيمات، من موريتانيا، درس الاتصالات عام ٢٠٠٧ في جامعة الشيخ آنتا ديوب بالعاصمة السنغالية دكار، وحصل على درجة الماجستير في الاتصالات والشبكات المعلوماتية عام ٢٠١٢، غادر إلى سورية، ومن هناك أرسل إلى والدته رسالة يخبرها فيها بأنّه التحق بتنظيم داعش.

[٢] إيمان البغا، أنا داعشية قبل أن تولد داعش، ٢٠١٤، د.م، ص٢–٣.

يقول، في رسالته، "لتكوني على يقين أني ما التحقت بهذا الطريق إلا بعد تأكدي من صحته"، ثم يضيف "بعد الوصول ما ازددت إلا يقينا لأن منهج الدولة واضح لمن لم يختم الله على قلبه"، على حد تعبيره.

ويصر على رفض الصورة النمطية بالقول "لا يخدعك يا أمي كلام علماء السوء بأنه مغرر بنا، وبأننا صبية لا نفقه شيئا في الدين"[٣].

عمر نموذج آخر مختلف من الأردن، هو طالب حاسوب في جامعة الزرقاء الخاصة، من مواليد العام ١٩٩٥، ووالده من جماعة الإخوان المسلمين، ولم يكن عمر ذا أي توجه إسلامي، ولا يمتلك رؤية أيديولوجية، وكان يعمل في مطاعم وجبات أميركية في محافظة الزرقاء.

القصة تبدأ عندما كان يتردد على مسجد قريب من منزله، ليتأثر بسرعة بمجموعة من المصلين الذين يتبنون هذا الفكر، ثم يأخذ أقساط الجامعة ويسافر بها إلى سورية، وصولاً إلى اللاذقية، لكنه بعد مدة من الزمن يكتشف بأنّ ما هو على أرض الواقع ليست تلك الصورة الجميلة في مخيّلته، فيقرر العودة إلى الأردن، بمساعدة أهله، والسفارة الأردنية في أنقرة، ويصل لاحقاً ليحكم عليه وفق قانون مكافحة الإرهاب المعدل، بخمسة أعوام من السجن.

تقرير الـCNN، الذي تناول موضوع عمر جاء بعنوان "معجب بميكي ماوس والتحق بداعش"!، فعمر، وفقاً لوالدته لا يزال طفلاً في تفكيره، غيّر تخصصه مرات عدة، ويعتمد على أهله في كل شيء، حتى في إعداد الساندويش، عندما زارته والدته في السجن أخبرها بأنّه "رسم سنفور يلاحق ميكي ماوس على الحائط"، خشية والديه اليوم بأن يفعل السجن فيه ما لم تفعله داعش في سورية، إذ أنّ وجوده في المهجع الذي يضم أبناء هذه الجماعات قد يخلق منه متطرفاً حقيقياً، بعدما كانت زيارته لسورية مجرد مغامرة أفلت منها بأعجوبة[٤].

وهكذا هنالك عشرات القصص لشباب أردنيين وعرب، أغلبهم من حملة شهادات الدراسات العليا، ففي الأردن حقق التيار الجهادي اختراقين كبيرين خلال الأعوام الماضية؛ الأول تجاه الطبقة الوسطى، والثاني تجاه المتعلمين وحملة الشهادات وطلاب الجامعات[٥].

لو فتشنا في سيرة العديد ممن التحقوا بالتنظيم من دول مختلفة من العالم، فسنجد أنّنا أمام شخصيات متنوعة، كثير منهم ممن كانوا يحبون الغناء ويلعبون كرة القدم، وآخرون يعيشون حياة مريحة مالياً واجتماعياً.

بالرغم من كل الجهود المبذولة من قبل المجتمع الدولي والدول العربية في مواجهة تنظيم داعش وإضعاف قدرته على استقطاب القادمين الجدد والرد على أيديولوجيته عبر جهود أمنية مكثّفة وتنسيق عالي المستوى؛

وبالرغم، كذلك، من ملاحقة التنظيم، إلكترونياً، في محاولة لحرمانه من شبكة الانترنت التي تمثّل مصدراً ذهبياً وفعّالاً لدى التنظيم في التجنيد والدعاية؛

---

[٣] تقري إخباري بعنوان "رسالة من شاب موريتاني التحق بداعش" على موقع صحراء ميديا، ٢٥ أبريل ٢٠١٥.

[٤] انظر تقرير هديل غبون، هل يمكن لمعجب بشخصية ميكي ماوس أن يلتحق بتنظيمات داعش في سورية؟، CNN العربية، ٢٩ نيسان ٢٠١٥، على الرابط التالي: http://arabic.cnn.com/middleeast/2015/04/29/jordanian-student-isis-mickey-mouse

[٥] محمد أبو رمان، "أي جاذبية لهذا النموذج"، جريدة الغد، ٢٠ اكتوبر ٢٠١٤.

وبالرغم – ثالثاً– من الحرب العالمية الحالية، التي تستهدف التنظيم عسكرياً لإضعافه وقتل أتباعه في كل من العراق وسورية بالطائرات والصواريخ والحروب الداخلية؛ إلاّ أنّ قدرة التنظيم على التجنيد واكتساب الأتباع والأنصار ما تزال فعّالة وقوية، وبدلاً من تحجيمه والقضاء عليه، أصبح تمدّد التنظيم يتجاوز الجغرافيا المباشرة التي يهمين عليها في العراق وسورية، إذ ينتقل عبر "النموذج" الذي يمثّله إلى العديد من المناطق الجغرافية الأخرى، فبايعته جماعات في أفريقيا والوطن العربي، وتأثّر به آلاف الشباب العربي والمسلم، وأصبحت لديه فروع تحاكيه في كل شيء، عسكرياً وأيديولوجياً وإعلامياً وسياسياً.

هذه القدرة الملحوظة، غير المسبوقة، لدى التنظيم على التجنيد والدعاية والتعبئة، طرحت في السجالات والنقاشات العالمية والغربية خصوصاً تساؤلات جوهرية عن سرّ الجاذبية التي يمتلكها مثل هذا التنظيم الذي يراه الغرب وكثير من العرب والمسلمين همجياً بربرياً ودموياً في سلوكه، ولا يتورّع حتى في خطابه الإعلامي والسياسي عن إظهار هذا الوجه المتشدد السافر، بلا أي محاولات للتجميل أو الخداع!

السؤال عن سرّ الجاذبية يستدعي أسئلة أخرى تدور في فلكه؛ فبالضرورة ثمّة أشياء يبحث عنها القادمون إلى داعش من مختلف أنحاء العالم. وهنالك أمور يفتقدونها في مجتمعاتهم قد يجدونها في داعش. وهنالك شيء آخر غير الوجه العنيف الدموي، الذي نراه يبحثون عنه هناك في الرقة والموصل ولدى أعضاء التنظيم المتشدد.

النقطة الفاصلة المهمة في مقاربة هذا الموضوع هي أن نفهم فيما إذا كنّا أمام منظّمة إجرامية إرهابية في عيون أصحابها وأبنائها، آلة للقتل، ومن يأتي إليها هم من المجرمين الباحثين عن الدماء والقتل أو هواة العنف أو المرتزقة أم أنّنا نتحدث عن نوع آخر مختلف عن هذه العصابات والمافيات المعروفة في أهدافها وبنيتها ومساراتها وطبيعة الأفراد الذين ينتمون إليها.

الجواب قد يكون بديهياً، هنا، إذا تجاوزنا الخطابات الإعلامية العربية المعلّبة الساذجة، فمن يأتي إلى داعش ليسوا – غالباً– من أصحاب السوابق الإجرامية ولا من المنحرفين أو الباحثين عن المال؛ هم من أولئك الشباب الصغار والفتيات اللذين يبحثون عن "معنى" أو "هدف" أو "قضية" أو "رسالة"؛ دفاعاً عن الدين أو المظلومين أو البحث عن حلم روحي غير موجود في الغرب، أو البحث عن حياة أفضل، أو عن الخلاص في يوم القيامة عبر الاستشهاد (أي القتل في سبيل الله).

الدافع أو الحافز، الذي يذهب بهم إلى هذا الفكر، كما يقول سيمون كوتي (Simon Cottee) في مقالةٍ مهمة له بعنوان "The Zoo Lander Theory of Terrorism" هو حافز أقرب إلى الشعور الأخلاقي، غالباً، لكن يتلو ذلك عملية "غسيل الدماغ" Brain Washing، من قبل الذين يقومون بعملية التجنيد والتعبئة الأيديولوجية، سواء عبر الانترنت أو حتى عند وصول الأشخاص المجتذبين إلى أحضان تنظيم داعش.[٦]

سؤال الهوية هو مفتاح رئيس في فهم جيل الشباب، الذي يتجه إلى تنظيم داعش اليوم، فمن يشعر بالفراغ الروحي، ومن يتساءل عن علاقته بالكون والوجود أو من يشعر بالاستياء من الواقع الموجود، من يريد أن ينقذ العالم، من يبحث

[٦] Simon Cottee, The Zoo Lander Theory of Terrorism, The Atlantic, 12 May 2015

عن الخلاص الفردي، من يريد مساعدة المظلومين والمضطهدين، من يبحث عن الدين، من يشعر بقلق على هويته الدينية أو الطائفية. كل أولئك أعضاء مرشحين للانضمام إلى تنظيم داعش.

من الضروري هنا التأكيد على أنّنا لا نتحدث عن كتلة واحدة صمّاء متشابهة في معالمها وتفاصيلها من الداعشيين، فالحالة العراقية والسورية عموماً مختلفة، وتجعل من أسباب ودوافع الانضمام إلى هذا التنظيم أو الفكر مختلفة عن غيرها، هنالك صراع مسلّح وتهديد وجودي للسنّة وحالة فوضى، وموازين قوى، ما يضعنا أمام اعتبارات متعددة لأعضاء التنظيم، لكن من المهم إدراك بأنّ سؤال الهويّة السنية والخشية من التهديد الوجودي الآخر (الإيراني- الشيعي) هو أحد الأسباب الرئيسة في تعزيز حضور هذا التيار في الوسط السني العراقي ومنحه حاضنة اجتماعية مهادنة أو محايدة.

بالطبع، لا نستطيع أن نلغي الاعتبارات والحوافز الأخرى لأشخاص يأتون لأسباب شخصية أخرى، لكنّنا نبحث هنا عن الاتجاهات العامة، ومن بينها أنّ من يأتون إلى هذا المجال في الأغلب هم ضحايا لعملية "غسيل دماغ"، استثمرت بحثهم عن الهوية، فوصلوا إلى هذا المكان، بنوايا في الأصل جيّدة وحسنة، لكنّهم في المعركة أو الجهة الخاطئة، على حدّ تعبير المفكر المصري، فهمي هويدي هم "جند الله في المعركة الغلط"!

في المقابل، لدينا توجهات ونظريات أخرى في الغرب لا تركّز كثيراً على موضوع الهوية أو القضية، وتعتبرها مسألة معقدة وغير واضحة تماماً، بقدر ما تركّز على الجوانب العملية والفنية، وهو ما يذهب إليه الباحث جون هورغان John Horgan، إذ يرى من الأفضل أن لا يطرح السؤال: لماذا؟ (أي عن السبب)، بل كيف ومتى وأين؟ كيف أنّ شخصاً معين اندمج في تلك المنظمة؟ وما هي الشبكات التي سهّلت الانضمام؟ أين هي وكيف تعمل؟

المقصود هو الانتقال من المقاربة التي تركز على الأسباب والشروط المتعلقة بالدوافع والخطاب الإعلامي والسياسي الذي يغذي هذا التنظيم ويدعمه بالقادمين إلى المقاربة الأمنية أو الفنية، التي تركز على تجفيف المنابع والتعامل مع الأشخاص المجنّدين.

لا نقول بأنّ المقاربة الثانية ليست ضرورية أو نافعة، بل هي مهمة وأساسية، لكن التجارب والخبرات الراهنة تؤكّد بأنّ تلك الجهود الدولية والإقليمية التي ركزت على الأسئلة التي طرحها هورغان لم تنجح في إضعاف التنظيم أو مواجهة الآلة الإعلامية التي يمتلكها ولا أدواته في التجنيد.

بل تبدو المفارقة أنّنا في حالات متعددة، مثلما حدث في الاعتداء الذي نفذه مايكل زيهاف بيبو، المتأثر بفكر داعش على البرلمان الكندي في شهر اكتوبر من العام الماضي، إذ كانت السلطات الكندية قد منعته من السفر إلى سورية والالتحاق بالتنظيم فقام بتنفيذ العملية.

ومع بروز استراتيجية "الذئب الوحيد" The Lonely Wolf - أي أولئك الذين يتأثرون بهذه الأفكار ويلتزمون بتنفيذ عمليات لصالحها- فإنّ التركيز على الأمور الفنية لن يؤدي إلى تجفيف الظاهرة، بل قد يعيد إنتاجها بصورة أخطر، أي أن يتجه المتأثرون إلى القيام بعمليات في مناطق مختلفة من العالم لا يتجهون فقط إلى أراضي داعش أو جنّتهم المنشودة!

في المجمل، من الضروري أن ندرك هذه النقاط الدقيقة عند التعامل مع تنظيم داعش، إذ قد يساعدنا ذلك على بناء الخطاب الإعلامي والفكري المطلوب وعلى مواجهة الشروط والدوافع التي تعطي القوة والنفوذ لهذا النموذج ليتغلغل في أوساط الشباب في مناطق مختلفة من العالم.

جاذبية "الدولة الإسلامية": نظريات الاستقطاب

حسن أبو هنيّة

المقدمة

على الرغم من الحملة الدولية الواسعة للتصدي لتنظيم "الدولة الإسلامية" عسكريا وإيديولوجيا وإعلاميا، وتصنيفه كحركة "إرهابية"، وكثافة عمليات التضييق والملاحقة والحصار لأعضائه ومناصريه، فضلا عن إيديولوجيته العنيفة واستراتيجيته المتوحشة وتكتيكاته القتالية المرعبة، وحكامته المتشددة، إلا أن التنظيم تفوق على سائر الحركات الراديكالية الجهادية التاريخية على صعيد الجاذبية الإيديولوجية وعمليات الاستقطاب والتجنيد في هياكله التنظيمية، وتستند جاذبية تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى جملة من الأسباب والشروط والظروف الموضوعية، فقد بات التنظيم خيارا مفضلا لدى الجهاديين الجدد، وأصبح بؤرة الجذب الفضلى للجهاديين من مختلف أنحاء العالم ومن كلا الجنسين، وعلى خلاف التجارب الجهادية السابقة لم يعد هدف الجهاديين الجدد يقتصر على الجهاد التضامني والنكائي التقليدي، وإنما يتجاوزه إلى الهجرة والاستقرار والمساهمة في في جهاد التمكين وبناء الدولة والإقامة ضمن حدود خلافته في العراق وسوريا والامتثال طوعا لنظامه الاجتماعي الاقتصادي الشاق وحكامته السياسية المتشددة، وعلى الرغم من بناء تحالف عسكري دولي لمهاجمة معاقل التنظيم، فضلا عن من الإجراءات الصارمة التي اتخذتها معظم دول العالم على كافة الأصعدة القانونية والسياسية والإعلامية، للحيلولة دون تدفق المقاتلين والمدنيين، إلا أن تنظيم الدولة الإسلامية لا يزال يجتذب أفواجا من الشباب.

إن جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية تبدو جلية واضحة من خلال توافد المقاتلين للالتحاق في صفوف التنظيم في العراق وسوريا بصورة غير مسبوقة، فبحسب التقرير الأخير للأمم المتحدة، والذي أعدته لجنة مراقبة نشاط تنظيم "القاعدة" في مجلس الأمن الدولي، بتاريخ ١٩ أيار/ مايو ٢٠١٥، فقد ارتفع عدد المقاتلين الأجانب بنسبة ٧١٪ بين منتصف عام ٢٠١٤ وآذار/ مارس ٢٠١٥، وأشار التقرير إلى أن عدد المقاتلين الذين غادروا أوطانهم للانضمام للقاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا ودول أخرى بلغ أكثر من ٢٥ ألف شخص، وذلك من أكثر من ١٠٠ دولة، وبحسب التقرير فإن أكثر من ٢٠ ألف مقاتل أجنبي توجهوا إلى سوريا والعراق، وكانت وجهتهم الأساسية للانضمام لتنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة[٧].

عمليات الجذب والاستقطاب في صفوق "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا تبرز عبر المقارنة مع أبرز عمليتين لتطويع المقاتلين الأجانب حصلتا في السابق منذ أن تحول هذا الأمر إلى ظاهرة في ثمانينات القرن الماضي، إذ تتخطى أعداد المقاتلين المجندين تلك المستويات إلى حدٍّ كبير، مع الإشارة إلى أن عمليات التجنيد الأخيرة حدثت خلال فترة زمنية أقصر بكثير، فبين عامي ١٩٧٩-١٩٩٢، يُعتقد أن حوالي ٥٠٠٠ شخص قد غادروا إلى جبهة أفغانستان للجهاد

[٧] انظر: الأمم المتحدة: أكثر من ٢٥ الف مقاتل انضموا للقاعدة ولتنظيم "الدولة"، على الرابط:
http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2015/04/150401_un_fighters_islamic_state_qaida

ضد السوفييت، وخلال العقد الماضي في الفترة بين ٢٠٠٣-٢٠٠٧، ذهب حوالي ٤٠٠٠ شخص من الأجانب إلى جبهة العراق للجهاد ضد الاحتلال الأمريكي[٨].

أحد المسائل الأساسية المحيرة التي باتت تشغل الخبراء والمحللين، تتمحور حول سر جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية واستقطابه للجهاديين العرب والأجانب، كخطوة أولية ضرورية لبناء استراتيجية ناجحة للقضاء عليه والحد من نفوذه، فقد تفوق زعيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي على زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري بصورة لافتة، بينما كان مؤسس الشبكة الجهادية في العراق أبو مصعب الزرقاوي ينافس مؤسس تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، لكن الزرقاوي وضع الأسس التي مكنت لاحقا الفرع العراقي المحلي للقاعدة من التفوق على نهج تنظيم القاعدة المركزي العالمي.

تستند جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية بصورة أساسية على معيار النجاعة والنجاح، ففي الوقت الذي أصر فيه تنظيم القاعدة المركزي على المضي قدما في مناكفة العدو البعيد عبر تكتيكات حروب النكاية، ونهج الاستنزاف والمطاولة، كان تنظيم الدولة الإسلامية يصر على قتال العدو القريب عبر استراتيجيات التمكين، ونهج التطهير والسيطرة والمنازلة، فقد شدد تنظيم القاعدة المركزي على كونه طليعة مقاتلة تحمل رسالة للأمة الإسلامية، تناهض الهيمنة الغربية لدفعه إلى الخروج من المنطقة، وأصر على خوض حرب أنصار تستند إلى أسس سياسية مصلحية، أما تنظيم الدولة فقد أكد على كونه طليعة محاربة ممثلة للأمة الإسلامية، تقاتل الأنظمة باعتبارها "مرتدة" ومرتبطة بالغرب، وتسعى لحرمانها وحلفائها من الاستقرار والسيطرة، وتشدد على خوض حروب هوية تستند إلى أسس دينية وجودية، وبهذا تمكن تنظيم الدولة من التفوق مرة أخرى على القيادة المركزية للقاعدة، عندما نجح في استثمار الصدع الهوياتي الطائفي، وتمكن من فرض نفسه كدرع واق للهوية الإسلامية السنية الممتهنة في العراق، وعمل على تأكيدها في سوريا ولبنان، دون الالتفات إلى سياسة النصرة التقليدية، بل فرض السيطرة والتطهير المكاني وإخضاع الخصوم واستلام زمام الحكامة كسلطة متغلبة في مناخ من الفوضى والتوحش.

الجاذبية: علل وأسباب الاستقطاب

تقوم جاذبية "الدولة الإسلامية" وقدرتها على التجنيد والاستقطاب على ستة أسباب وعلل رئيسية؛ وهي:

أولا: فشل الدولة القطرية؛ فالدولة العربية والإسلامية التي جائت عقب الحقبة الكولينيالية، فشلت في تلبية طموحات شعوبها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، فقد تحولت الأنظمة السياسية إلى نمط الدكتاتورية، وأخفقت في تحقيق التحديث والاستقلال، وقد برز فشل الدولة القطرية على كافة الأصعدة الحيوية، وتتمثل في:

[٨] انظر: هارون ي. زيلين، المقاتلون السنة الأجانب في سوريا: الخلفية والعوامل المسهّلة والاستجابات المختارة، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/sunni-foreign-fighters-in-syria-background-facilitating-factors-and-select

أ ـ سياسيا؛ تفشي السلطوية الدكتاتورية وغياب الحكم الرشيد فقد نجم عن سوء الحوكمة شعورٌ راسخ بالظلم، وغذّى هذا الشعور القمع والعنف المنهجي الذي تعرّض إليه المواطنون العرب على أيدي حكوماتهم على مدى عقود باعتبارهم خطراً على الأمن الوطني.

ب ـ اقتصاديا؛ أسفرت سياسات الدولة بطبائعا الريعية الفاسدة، وأنظمتها النيوليبرالية الرثة عن انهيار الطبقة الوسطى، وغياب الشفافية وهيمنة المحسوبية وفقدان المساواة، الأمر الذي أدى إلى انعدام الفرص الاقتصادية وضعف نظم الرعاية الاجتماعية التي توفّرها الدولة، على المواطنين العرب اللجوء إلى أطراف أخرى بديلة عن الدولة والقطاعات الاقتصادية القانونية. وحين نفّذت الدول العربية برامج التحرير الاقتصادي، قوّضت أنظمة الرعاية الاجتماعية القائمة وألغت ضمانات التوظيف في القطاع العام من دون تقديم بدائل. ولم تعزّز الحكومات العربية الاستثمارات في القطاعات الإنتاجية، ولم تولّد اقتصاداتها لا العديد الكافي من الوظائف المطلوبة ولا النوعية الضرورية. والواقع أن أعلى مستويات البطالة تُسجّل اليوم في صفوف الأشخاص الحائزين على شهادات التعليم العالي.

ج ـ ثقافيا؛ فشلت أنظمة التعليم العربية في تناول العديد من المثالب في العملية التربوية. فعوضاً عن غرس الوعي المدني ومبادئ المواطنة وقيم التضامن الاجتماعي والقبول بالآخر والتركيز على المهارات التحليلية الضرورية والتفكير النقدي، اعتمدت مناهجها على الأساليب التلقينية لا التفاعلية، وعلى التقبّل غير النقدي لفكرة السلطة الهرمية من دون مسائلة، عزّزت مناهج التاريخ والتربية الدينية عقلية "نحن" في مواجهة "هم"، على أسس عرقية وإيديولوجية وطائفية، ماجعل الشباب عرضة إلى تأثيرات شتّى وساهم في تغيّر المشهد الثقافي العربي بشكلٍ جذري، وسهّل انتشار الإيديولوجيات المتشدّدة والتلقين العقائدي المبكر للأطفال والشباب[٩].

أما المؤسسة الدينية الرسمية التي استدخلتها الدولة الوطنية العربية في أجهزتها الإيديولوجية لأضفاء المشروعية على نظامها الحاكم، واحتكار تفسير وتأويل الدين في مواجهة الإسلام السياسي، فإنه لم يعد قادرا على الصمود أمام التحديات، ويفتقر إلى القدرة على إقناع الجماهير الغاضبة بالالتزام بأخلاقيات الطاعة لولاة الأمر المستبدين، وهو عاجز عن تحقيق مطالب الاستقرار باستدعاء مقولات الفتنة، فقد أثبتت الحراكات الاحتجاجية الثورية العربية بؤس المؤسسة الدينية الرسمية وترهلها وضعفها، وعدم قدرتها على تلبية الحدود الدنيا للمطالب الشعبية.

ثانيا: بروز النزعة الطائفية؛ عقب مرور أكثر من أربع سنوات على انطلاق "الثورة السورية"، بات المرض بالطائفية وباءا متفشيا في الجسد العربي الإسلامي، فقد هيمن المنظور الهوياتي الطائفي على خطاب معظم الدول والقوى والفعاليات والحركات والتوجهات محليا وإقليميا ودوليا، في تصوير طبيعة الصراع في سوريا، وأصبحت "الطائفية" كلمة مفتاحية أساسية في حرف طبائع الصراع وأداة فعالة تستخدمها الأنظمة والجماعات لتحقيق أهداف إيديولوجية وسياسية. فقد عمل نظام الأسد منذ البداية على ترويج خطاب التخويف الطائفي لتحويل مسار الصراع من ثورة ضد فساد واستبداد النظام إلى صراع طائفي بين الأكثرية السنية والأقليات المسيحية والعلوية والدرزية، لجلب الدعم

[٩] انظر: مهى يحيَ، الجاذبية القاتلة: خمسة أسباب لانضمام الشباب إلى داعش، على الرابط:
http://carnegie-mec.org/publications/?fa=57251

الإسلامي الشيعي، كما استثمرت القوى السلفية الجهادية على اختلاف مسمياتها موضوعة الطائفية في توصيف نزاعها وطبيعة حربها ضد النظام لجلب الدعم والتأييد الإسلامي السني.

على الصعيد الإقليمي استثمرت القوى الإقليمية خطاب "الطائفية" لتثبيت شرعيتها المتآكلة بفعل "ربيع الثورات العربية"، وللمحافظة على وجودها وبقائها في السلطة وتمديد نفوذها، فالثورات العربية التي عصفت بمحاور ما قبل الثورة التي اختزلت بمحوري دول "الاعتدال العربي" ومحور "الممانعة والمقاومة" عملت على إعادة بناء المحاور على أساس "الطائفية" لتحل مكان الأسس "الجيوسياسية".

أما على الصعيد الدولي فقد عززت الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الروسي خطاب الثقافة الطائفية فروسيا أعلنت مبكرا على لسان وزير خارجيتها بأنها لا تريد حكومة إسلامية سنية الطابع في سوريا، أما الولايات المتحدةالأمريكية والدول الغربية فقد شهدت عودة إلى السياسات الاستعمارية التي تمثلت بدعم وإسناد خطاب "الطائفية" تحت ذريعة حماية الأقليات، وعادت بقوة التنظيرات الاستشراقية والثقافوية بالنظر إلى المنطقة من خلال المقاربة "الطوائفية لتفتيت المنطقة بهدف السيطرة والهيمنة والاخضاع .

مفردات الخطاب الطائفي على الجانب السني تتلخص بنعت نظام الأسد وحلفائه في إيران وحزب الله اللبناني والمليشيات العراقية بالشيعية، والنصيرية، والرافضة، والمجوس، والصفويون، وحزب اللات، وحزب الشيطان، وعلى الجانب الآخر الشيعي مفردات الخطاب تصف التحالف المقابل بالسني، والناصبي، والتكفيري، والأموي، والوهابي، وهي جملة من النعوت والأوصاف التاريخية باتت تستعمل بكثافة في تصوير وتمثيل الهويات كأعداء، واعتبارهم كفارا يهدفون إلى تحريف الإسلام عن أصوله النقية المتخيلة[١٠].

والواقع أن العديد من الحكومات العربية لطالما استخدمت الطائفية أداةً لتوطيد نفوذها السياسي، من خلال إقصاء المجموعات الإثنية والدينية بشكل متكرّر عن العمليات السياسية. والآن يستغلّ كلٌّ من السعودية وإيران الفزاعة المذهبية في تنافسهما السياسي الإقليمي[١١].

أحد أسرار جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية هو الإدراك المبكر للمسألة الهوياتية، والتعامل مع الرؤية الطوائفية للإمبريالية الأمريكية منذ احتلال العراق، فقد دشنت الولايات المتحدة سياسات الهوية في العراق منذ احتلاله ٢٠٠٣، كما أن الاستراتيجية الأمريكية لمحاربة "الإرهاب" عقب سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على الموصل في حزيران/ يونيو ٢٠١٤ ارتكزت على براغماتية هشة وضارة، بالاعتماد على قوى حليفة تمارس أعمالا إرهابية كالمليشيات الشيعية المتطرفة، الأمر الذي ساهم في تنامي قوة هذه الميليشيات وسيطرتها على كافة أجهزة الدولة العراقية الهشة، وعملت على ترسيخ سياسات التهميش والإقصاء للمكون السني، كما ساهمت في مد النفوذ الإمبريالي الإيراني وترسيخ هيمنته المضاعفة

[١٠] حسن أبو هنيّة، انحراف الصراع في سوريا: المرض بالطائفية، على الرابط:
http://arabi21.com/story/725770/%D8%A7%D9%86%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D9%81-

[١١] غريغوري غوس، ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز، الدوحة، رقم ١١، يوليو ٢٠١٤.على الرابط:
http://www.brookings.edu/~/media/research/files/papers/2014/07/22-beyond-sectarianism-cold-war-gause/arabic-pdf.pdf

على العراق، الأمر الذي وفر لتنظيم الدولة الإسلامية جاذبية مؤكدة للتعبئة والتجنيد في صفوف السنة، ففي الوقت الذي تثبّت فيه المكونات الشيعية من سيطرتها ونفوذها في العراق وسوريا بالاستناد إلى الراعي الإيراني، ويوسع الكرد من مكانتهم واستقلالهم، فإن المكون السنّي في العراق وسوريا لا يتمتع بإسناد ودعم استراتيجي حاسم من الدول السنيّة وبهذا فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تعتمد على ذات الأسس الهوياتية والسياسية الخاطئة التي تبنتها منذ احتلالها للعراق عام ٢٠٠٣، وقد نجح تنظيم الدولة الإسلامية في فرض جاذبيته من خلال الحفاظ على منظمة بيروقراطية مركزيته ممتدة، واستثمر نجاحه الميداني في بناء تحالف سني مع قوى وفعاليات وحركات عراقية على أسس هوياتية دينية، وتمكن من الظهور كدرع فعال في حماية وصيانة الهوية السنيّة الممتهنة بفعل سياسات المالكي الطائفية، فعلى مدى ثلاث سنوات من الاحتجاجات السنية السلمية في العراق والحراكات الاحتجاجية السنية المسلحة في سوريا، برع التنظيم في البرهنة على خواء العملية السياسية وعدم جدوى المطالبات السلمية، وتصوير الصراع مذهبيا طائفيا بين السنة والشيعة، والتأكيد على غياب رؤية واضحة للدول السنية في المنطقة في التعامل مع إتلاف شيعي متحد تقوده إيران، كما برهن تنظيم الدولة الإسلامية على فشل سياسات النخب السنية العراقية في توفير الحد الأدنى من العدالة ومواجهة فساد العملية السياسية التي بنيت منذ الاحتلال الأميركي للعراق عام ٢٠٠٣ على أسس هوياتية مكنت المكونات الشيعية من الهيمنة تحت غطاء حكم الأغلبية، وبهذا تحققت رؤية التنظيم بأن المسألة الهوياتية والسياسات الطائفية هي المحرك الأساس للتحركات المحلية والإقليمية، وقد بلغت مقولة المحركات الطائفية أوجها مع دخول الثورة السورية عامها الرابع مع التدخل الإيراني الصريح في دعم نظام الأسد العلوي، ومن خلال الدفع بالمليشيات الشيعية العراقية وحزب الله اللبناني بصورة فجة، الأمر الذي أقنع قوى سنيّة فاعلة بمبايعة تنظيم الدولة الإسلامية والعمل تحت قيادته، وفي مقدمتها المجالس العسكرية المكونة من بعض أفراد الجيش العراقي السابق، والعناصر العشائرية المسلحة ومعظم جماعات المقاومة العراقية، أمثال: "الجيش الإسلامي"، و"حماس العراق"، و"كتائب ثورة العشرين"، و"جيش المجاهدين"، و"أنصار السنّة" و"جيش الطريقة النقشبندية"[١٢].

ثالثا: رمزية الخلافة الإسلامية؛ على الرغم من إلغاء نظام الخلافة الإسلامية في نسختها العثمانية الأخيرة عام ١٩٢٤، فإن مفهوم "الخلافة" كنظام سياسي إسلامي يجد صدى عاطفيا كبيرا لدى الشعوب العربية والإسلامية، ففي استطلاع للرأي أجرته مؤسسة "غالوب" عام ٢٠٠٦، أُستطلع فيه رأي مسلمين في مصر والمغرب وإندونيسيا وباكستان، أشار إلى أن ثلثي المشاركين يؤيدون فكرة "توحيد كل الدول الإسلامية" في خلافة جديدة"[١٣]، الأمر الذي استثمره تنظيم الدولة الإسلامية عقب سيطرته على مدينة الموصل بالإعلان عن قيام دولة "الخلافة" في ٢٩ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، كخطوة استراتيجية هامة للتأكيد على هويته الدينية الإسلامية، وترسيخ مشروعية هياكله التنظيمية المركزية، لضمان الطاعة القسرية والطوعية منعا لأية تصدعات تنظيمية محتملة، فإعلان الخلافة هو السلسلة الأخيرة من حلقات استراتيجية الجهادية العالمية، وهي الغاية النهائية لتحقق الرسالة الجهادية في التاريخ المشخص، وإذا كان تنظيم القاعدة يقوم على بناء شوكة النكاية من خلال تنظيم عسكري طليعي نخبوي لا مركزي عبر سياسات دفع الصائل استنادا إلى مفهود الجهاد الدفاعي، فإن تنظيم الدولة الإسلامية يقوم على تبني شوكة التمكين من خلال فرض السيطرة

[١٢] انظر: حسن أبو هنيّة، جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية، على الرابط:

http://altagreer.com/%D8%AC%D8%A7%D8%B0%D8%A8%D9%8A%D8

[١٣] انظر: إدوارد ستورتن، لماذا تجذب فكرة الخلافة المسلمين؟، على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/10/141026_islamic_caliphate_return

المكانية من خلال تنظيم مركزي، بجيش هجين تقليدي حداثي مركب عبر سياسات إدارة التوحش استنادا إلى مفهوم الجهاد الهجومي.

بإعلانه إقامة خلافة إسلامية في المناطق التي يسيطر عليها في العراق وسورية، ودعوته المسلمين في كل مكان إلى مبايعة "الخليفة" أبو بكر البغدادي، أظهر تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش) أن لديه طموحات عالمية. وسواء كانت هذه الطموحات حقيقية أم لا، فإن العديد من المراقبين الخارجيين يفترضون أن جاذبية التنظيم تتجاوز حدود العراق[١٤].

رابعا: مناهضة الإمبريالية الغربية؛ دخلت الجهادية طور العالمية كردّ فعل على ديناميكية العولمة[١٥] عقب التحولات البنيوية في الحقل الاستراتيجي الدولي بين عامي ١٩٨٩ و١٩٩٢ بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان في ١٥ شباط / فبراير ١٩٨٩، ونشوب حرب الخليج الثانية بعد غزو العراق للكويت في ٢ آب/ أغسطس ١٩٩٠، والحملة الأمريكية الفاشلة في الصومال في ٩ كانون أول/ ديسمبر ١٩٩٢[١٦]، فقد أدى انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك المنظومة الاشتراكية إلى بروز الولايات المتحدة كقوة إمبراطورية إمبريالية مهيمنة تسعى للسيطرة التوسع وفرض نظام عالمي جديد، فقد شهدت التحولات الاستراتيجية تغيرا في التصور الأمريكي المتعلق بالواقع السياسي الدولي، الذي ساد أثناء حقبة الحرب الباردة، والذي تبنى استراتيجية أمريكية سياسية عسكرية، تقوم على مبدأ"الاحتواء"، للمجال الجيوسياسي للشيوعية، ومبدأ "الردع" للقوة السوفييتية التقليدية والنووية، حيث وقعت الولايات المتحدة في أزمة فراغ أيديولوجي، وسياسي أدى إلى ظهور رؤى متعددة في تحديد المستقبل[١٧]، تزامن مع فشل الجهادية المحلية والجهادية التضامنية الخارجية، حيث تنامت سردية جهادية بأن "العدو القريب" الذي تمثله الأنظمة الدكتاتورية العربية والإسلامية لا يقوم بذاته، وإنما يستند إلى القوة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من الإسرائيليين، وبهذا بدأت تتسرب سردية أولوية القتال ضد "العدو البعيد"، وعولمة الجهاد في سياق بروز ثلاثة ظروف استراتيجية؛ الأولى: محلية وطنية وتتمثل بإنغلاق الأنموذج السياسي وفشل وعود التحول الديمقراطية ورسوخ الاستبداد، والثانية: إقليمية وتتمثل بعدم التوصل إلى سلام عادل وحقيقي في فلسطين، والثالثة: عالمية وتتمثل بانهيار الاتحاد السوفيتي وسيادة القطب الأمريكي الواحد وحلول العولمة[١٨].

لقد طور تنظيم "الدولة الإسلامية" إيديولوجية الجهادية العالمية من خلال دمج الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية، إذ قد نفسه كمناهض للإمبريالية الغربية، فبعد سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على الموصل في ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٤، قامت الولايات المتحدة بشن ضربات جوية بشكل منفرد في العراق في ١٦ آب/ أغسطس ٢٠١٤ للحد من تقدم

---

[١٤] انظر: يزيد صايغ، داعش: خلافة إسلامية عالمية أم دويلة إسلامية في العراق؟، على الرابط:
http://carnegieendowment.org/2014/07/24/%D8%AF%D8%A7%

[١٥] انظر: جان بودريار، ذهنية الإرهاب لماذا يقاتلون بموتهم، إعداد وترجمة، بسام حجار، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

[١٦] انظر: أوليفيه روا، عولمة الإسلام، ترجمة لارا معلوف دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص ١٩٥.

[١٧] بدا واضحا أن العدو الجديد للإمبراطورية الأمريكية سيكون "الإسلام"، فقد كتبت الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون يقول: "يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة، وأن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيساً. وأن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معاد وعنيف"، ريتشارد نيكسون، أمريكيا والفرصة التاريخية، ترجمة د. محمد زكريا اسماعيل دار بيسان للنشر، دمشق، ١٩٩٢، ص ١٨٧.

[١٨] فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي في زمن القاعدة، ترجمة سحر سعيد، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦، ص٦٠.

التنظيم باتجاه منطقة شمال كردستان، ثم شكلت تحالفا دوليا في ٩ أيلول/ سبتمبر من نفس العام، حيث توسيع نطاق الهجمات الجوية لتشمل سوريا في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٤، الأمر الذي عزز من جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية باعتباره يواجه "حملة صليبية"[١٩] جديدة تستهدف العالم الإسلامي.

ساهم انعدام الثقة في الغرب في تأجيج الأوضاع سلباً، وتسلّط الدولة الإسلامية في سردياتها الضوء على المعايير المزدوجة الواضحة التي يعتمدها المجتمع الدولي والقوى الغربية. فالاحتلال المتواصل للأراضي الفلسطينية، والحصانة الجليّة التي تتمتّع بها إسرائيل على الرغم من اعتداءاتها المتكرّرة ضد العرب، هما جرح لا يندمل لدى الكثيرين، إذ أن ٧٧ في المئة من العرب يشعرون أن قضية فلسطين عربية، لا فلسطينية وحسب. وفي حين تدخّل الغرب وجيوشه في العراق وليبيا واليمن، فشل في دعم الانتفاضة المدنية في سورية، وبناء الدولة في ليبيا، والديمقراطية في مصر، ما يعزّز تهمة النفاق والرياء الغربيّين. وفي هذا السياق، تبدو الخلافة الإسلامية للكثير من الشباب، مع ما تتمتّع به من قوة واضحة على الأرض، بديلاً منطقياً عن فشل العرب والمسلمين في تحصيل حقوقهم[٢٠].

خامسا: الثورة الاتصالية وشبكات التواصل؛ تعتبر الجهادية العالمية عموما وتنظيم الدولة الإسلامية خصوصا، أحد أهم الحركات والتنظيمات الراديكالية التي استثمرت الثورة الاتصالية في بث رسالتها الدعوية الدينية، وإذا كان الجيل الأول من لجهاديين اعتمد في بث دعايته خلال حقبة الثمانينيات من القرن الماضي على وسائل الاتصال التقليدية الشفوية والكتابات الورقية، فقد استثمر الجيل الثاني دخول شبكة الانترنت منذ منتصف التسعينات من خلال تأسيس آلاف المواقع الجهادية، ومع الجيل الثالث الذي ولد من رحم الثورة السورية بداية عام ٢٠١١، اعتمدت الجهادية العالمية وخصوصا تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا على وسائل التواصل الاجتماعي، وفي مقدمتها "تويتر"، و"فيسبوك" و"دياسبورا" بصورة مكثفة. كما يضع التنظيم روابط له على جاستبيست دوت أي تي (Justpaste.it)، وهو موقع بولندي، لمشاركة الأفلام والبيانات.

وعلى الرغم من تنسيق الولايات المتحدة مع إدارة مواقع التواصل وخصوصا "تويتر" للقيام بحملة واسعة لحرمان تنظيم الدولة الإسلامية من استغلال وسيلة الاتصال الإلكترونية الأهم في بث دعايته الإيديولوجية، وحرمانه من عمليات التجنيد والتعبئة، وذلك بتتبع حسابات التنظيم وأنصاره وإلغاؤها، وذلك من خلال تتبع المعرفات، إلا أن الأمر يبدو مستحيلا مع وجود ملايين التغريدات وجيش إلكتروني يتكون من أكثر من ١٢ ألف مناصر، فضلا عن مئات الأعضاء الفاعلين في صفوف تنظيم الدولة الذين يتوافرون على خبرات كبيرة في مجال المعلوماتية، وقد تكمن تنظيم الدولة من استقطاب المئات من الكوادر المحترفة في مجال الإعلام والدعاية من العرب والأجانب، إذ يتمتع الإعلام بأهمية كبيرة داخل هيكلية تنظيم الدولة الإسلامية، وهو من أكثر التنظيمات الجهادية اهتماما بشبكة الإنترنت والمسألة الإعلامية، فقد أدرك منذ فترة مبكرة من تأسيسه الأهمية الاستثنائية للوسائط الاتصالية في إيصال رسالته السياسية

---

[١٩] لم يقتصر وصف الضربات الجوية لقوات التحالف بالصليبية على تنظيم الدولة الإسلامية، بل نعتها بذلك مناهضي التنظيم، فقد وصف منظر التيار السلفي الجهادي عصام البرقاوي الشهير بأبو محمد المقدسي الضربات التي وجهها التحالف الدولي الأميركي والعربي إلى مواقع لتنظيم الدولة الإسلامية وتنظيمات جهادية في سوريا والعراق بـ"الحرب الصليبية".انظر: المقدسي: ضربات التحالف حملة صليبية، الجزيرة نت، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/arabic/2014/9/24/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%AF%D8%B3%D9%8A-%D8%B6%D8%

[٢٠] نظر: مهى يحيَ، الجاذبية القاتلة: خمسة أسباب لانضمام الشباب إلى داعش، على الرابط:
http://carnegie-mec.org/publications/?fa=57251

ونشر أيديولوجيته السلفية الجهادية، فأصبح مفهوم "الجهاد الإلكتروني" أحد الأركان الرئيسية، وقد شهدت الهيئة الإعلامية لتنظيم الدولة تطورا كبيرا بالشكل والمحتوى، وتتمتع بدعم وإسناد كبير، وتعتبر مؤسسة "الفرقان" الإعلامية الأقدم والأهم، وقد ظهرت مؤخرا مؤسسات إعلامية عديدة تتبع التنظيم، مثل: مؤسسة "الاعتصام" ومركز "الحياة"، ومؤسسة أعماق، ومؤسسة البتار، ومؤسسة دابق الأعلامية، ومؤسسة الخلافة، ومؤسسة أجناد للإنتاج الإعلامي، ومؤسسة، والغرباء للإعلام، ومؤسسة الاسراء للانتاج الاعلامي، ومؤسسة الصقيل، ومؤسسة الوفاء، ومجموعة من الوكالات التي تتبع الولايات والمناطق التي تسيطر عليها، كوكالة أنباء "البركة" و"الخير" وغيرها. كما صدر عدد من المجلات بالعربية والإنجليزية أمثال: "دابق" و"الشامخة"، وأنشأت الهيئة إذاعات محلية، مثل إذاعة "البيان" في مدينة الموصل في العراق، وإذاعة أخرى في مدينة الرقة في سورية، وهو على وشك إطلاق قناة الخلافة التلفزيونية.كما يواصل التنظيم نشاطه الإعلامي من خلال العمل في المدونات، ومن أهمها مدونات باللغتين الروسية والإنجليزية،إذ تقوم الهيئة بترجمة الإصدارات الإعلامية إلى لغات أجنبية عديدة، كالإنجليزية والفرنسية، والألمانية والإسبانية والأوردو، وغيرها[٢١].

بدا جليًّا أن تنظيم الدولة الإسلامية يتميز عن سائر التنظيمات الجهادية الأخرى بامتلاكه أداة إعلامية قوية، خاصةً في الفضاء الإلكتروني، وفّرت له مجالا حيويًّا واسعًا للدعاية والتجنيد، وجلب المزيد من مصادر التمويل.ولكن مع تطور الأحداث، بدا أن القدرات التكنولوجية لتنظيم الدولة الإسلامية لم تكن مجرد أدوات مساعدة وداعمة لحروبها وعملياتها العسكرية على الأرض فقط، وإنما قدرات تم تسخيرها من أجل تشكيل خطٍّ جهادي جديد موازٍ لنظيره العسكري، يُسمى "الجهاد الإلكتروني"[٢٢].

سادسا: الثورات المضادة للربيع العربي؛ لا جدال بأن الموجة الثورية الديمقراطية التي اجتاحت العالم العربي بداية ٢٠١١ كان لها وقع الصدمة على الأنظمة السلطوية في المنطقة، فبعد عقود عديدة من انشغالها بملاحقة ومحاصرة ومحاربة حركات "الإسلام الجهادي" التي تبنت القوة المسلحة كنهج وحيد لمعارضة السلطوية، وهي إيديولوجيا عنيفة أنتجتها السياسات السلطوية وممارساتها القمعية، جائت الثورات بحركات "الإسلام السياسي" التي تبنت نهجا سلميا إصلاحيا يناهض السلطوية وفق شروط الحد الأدنى من المعارضة. ويبدو أن موجة التحولات التي تهدد وجود الأنظمة السلطوية في العالم العربي كانت أشد وقعا وخطرا من هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على الأراضي الأمريكية، فإذا كانت الولايات المتحدة قد ميّزت بين الإسلام الجهادي والإسلام السياسي عقب "الحدث" وقصرت مفهوم "الإرهاب" على أعدائها من الجهاديين وممثلهم تنظيم "القاعدة"؛ فإن الأنظمة السلطوية العربية قد وسعت من إدراكاتها لمصادر التهديد والخطر ليطال مفهوم "الإرهاب" حركات الإسلام السياسي وممثله الأبرز جماعة "الإخوان المسلمون". فقد عادت الأنظمة السلطوية إلى الشرق الأوسط بصورة أكثر قمعا، وتنامت الصراعات الطائفية بشكل حاد، وأصبحت الديمقراطية والحرية والعدالة بعيدة المنال، الأمر الذي استثمرته الجهادية العالمية بالتدليل على صواب نهجها العنيف بالتغيير، وبات خطابها الراديكالي أكثر جاذبية للأجيال الشابة في المنطقة.

---

[٢١] انظر: حسن أبو هنيّة، الآلة الإعلامية لتنظيم الدولة الإسلامية: جيش الخلافة الإلكتروني، على الرابط:
http://arabi21.com/story/803770/%D8%A7%D9%84%D8%A2%D9%84%D8%A9-

[٢٢] انظر: تال كورين وجابي سيبوني، "الخلافة" تمتد للفيس بوك: كيف تجند " داعش" الجهاديين الجدد في الفضاء الإلكتروني؟، على الرابط:
http://www.rcssmideast.org/Article/2654/%D9%83%D9%8A%D9%81-
%D8%AA%D8%AC%D9%86%D8%AF--

لقد زادت مواجهة الانتفاضات العربية الأمورَ سوءاً. فالقمع القاسي للحراك الشعبي في بعض الدول العربية، والذي اصطبغ أحياناً بصبغة إيديولوجية أو طائفية، فاقم الشقاق المجتمعي وأجّج الاستقطاب الاجتماعي والتوترات الطائفية. ومن وسائل العنف الذي مارسته بعض الدول ضد المدنيين، استخدام البراميل المتفجّرة والأسلحة الكيميائية في سورية، والقتل الاعتباطي، والإخفاء القسري، والدعاوى القضائية المغرضة ضد أحزاب المعارضة في مختلف البلدان العربية. هذه الإجراءات أحدثت تصدّعات في المجتمعات العربية، وولّدت شعوراً أكبر بالتهميش لدى شباب يشعرون بالقوة والقدرة على التأثير بفضل انتفاضاتهم التي أطاحت زعماء سلطويين، ويبحثون عن مغزى أكبر لحياتهم ويسعون إلى توكيد أكثر لهويتهم. فإغلاق الطريق أمام التغيير والإصلاح بالطرق السلمية والمبالغة في قمع مَن يفكر بالإصلاح سلميًا. ومن المسلّم به تاريخيًّا ومنطقيًّا أن إغلاق الطريق السلميّ في التغيير يدفع تلقائيًا لاستخدام القوة، سواء بطريقة منظمة منهجية أو طريقة فوضوية عشوائية. وبما أن المشروع الجهادي بتنظيره الفكري وتنظيمه الحركي جاهز لتلقي من يتبرم من إغلاق الطرق السلمية، فليس غريبًا أن يلجأ هؤلاء الشباب للتنظيمات الجهادية تلقائيًّا. ولعل هذا يبين لماذا يتهكم كثير من الجهاديين في "تويتر" على دعاة السلمية والإصرار عليها[٢٣].

خاتمة

تتلخص جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية بتوافرها على إيديولوجية دينية تتعلق بتمثيل الإسلام السني وحرصه على بناء دولة تقوم على مفهوم الخلافة وتطبيق الشريعة، وتقديم نفسه كمدافع عن الهوية السنية في مواجهة التمدد الإيراني والنفوذ الشيعي، وكقوة مقاومة لمواجهة الهيمنة الغربية باعتبارها تقود حملة صليبية، وهي تستثمر شبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وتمتلك خبرات فنية رفيعة في بث دعايتها الإيديولوجية الجهادية، وساهم في جاذبية التنظيم وتدفق المقاتلين جملة من العوامل الموضوعية، ومنها: سهولة السفر عن طريق تركيا كونها وجهة سياحية مفضلة، ووجود شبكات دعم وإسناد محلية لديها خبرات واسعة،وسهولة التجنيد عبر وسائل التواصل الاجتماعي، الصدع والانقسام السني الشيعي والتعاطف والتلاحم الهوياتي الديني، وجاذبية الجهاد الشامي بحكم الجغرافية الخلابة والمدهشة، وعامل الجذب الديني ـ التاريخي وارتباط الشام بالملاحم والفتن آخر الزمان، وهاجس فكرة الخلافة الإسلامية ومقرها التاريخي في دمشق.

لا شك بأن الحدّ من جاذبية الدولة الإسلامية والقضاء على إيديولوجياتها العنيفة، يتطلب اتخاذ جملة من الإجراءات بعيدة المدى تتجاوز المقاربة العسكرية والأمنية الآنيّة، وتستهدف معالجة جذرية للأسباب والشروط والظروف الموضوعية العميقة التي أدت إلى ازدهاره ونموه وانتشاره، وذلك عبر تقديم نموذج ناجح للحكم الرشيد يتوافر على تجديد الثقة بإمكانية التغيير والإصلاح، وترسيخ قيم سياسية تستند إلى مبادئ الحرية والعدالة والديمقراطية والتعددية.

---

[٢٣] انظر: تركي الجاسر، ما الذي يستهوي الشباب في تنظيم "دولة العراق والشام"؟، على الرابط: http://altagreer.com/%D9%85%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D9%8A%

الحالة السورية

حسان الصفدي

المقدمة

لما كانت الدولة الإسلامية في العراق والشام هي ظاهرة متعدية للحدود فكراً وتحشيداً وأداءً فإن الحديث حولها في أي بلد يستوجب استحضار جذور الظاهرة وحقيقتها ثم الحديث عن الإفتراقات -إن وجدت- في تجلياتها من بلد إلى آخر.

هناك مجموعة من العوامل والأسباب الكامنة وراء ظهور وصعود تنظيم الدولة الإسلامية، والتي ساهمت في ترسيخ وجود التنظيم والسيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي، وجموع من الناس. وتشمل هذه العوامل: التاريخية والاجتماعية والفكرية، والعناصر السياسية.

العوامل التاريخية

وجاء ظهور تنظيم "الدولة الإسلامية" وسيادته نتيجة لفشل استراتيجية تنظيم القاعدة، وفكر قادتها وكوادرها. بخلاف القاعدة التي شنت جهادا مفتوحا غير واضح الأهداف والمعالم والساحات، وقدمت مشروعا ضبابيا ليس له تجليات وتجسيدات واقعية، بينما استطاعت الدولة الإسلامية في العراق والشام ومن خلال بلورة المرتكزات الثلاثة آنفة الذكر عمليا و تجسيدها واقعيا أن تنقل الحلم من عالم الأفكار المجردة إلى عالم الحقائق الملموسة والمجسدة. نجحت الدولة الإسلامية في مشروعها حتى الآن في تجسيد التنظيم والدولة التي تقف على ثلاث ركائز أساسية هي: الحاكم (الخليفة)، الأرض (سوريا والعراق)، ونظام الحكم (الدولة)

العوامل الإجتماعية

إن تنظيم داعش هو ظاهرة من ظواهر (العنف الإنتقالي)، وهي حالة من حالات الإنفلات المجتمعي الذي يقع جراء إعادة فرز القوى في الدولة واضمحلال القوى التقليدية الفاعلة ويمكن ملاحظة ظهور هذه الكيانات الطارئة في كل مراحل التحول المجتمعي عبر التاريخ بشكل منظومة عنف تؤطر وتستقطب حالة الفوضى والإنفلات تحت شعارات براقة.

العوامل الفكرية

إن تكلس الحركات السياسية العربية المعاصرة (الإسلامية منها والعلمانية) وتخندقها خلف قوالب جامدة من تأصيل ستينيات القرن الماضي، وفشلها الذريع في مواكبة التطورات السياسية والإجتماعية والفكرية على مستوى المرتكزات

وأسلوب الخطاب ، وكذلك غياب إمكانية تشكل حراك فكري ناضج يتولد من رحم الواقع ويتواكب مع التحديات الكبرى، كل ذلك أدى إلى حدوث فراغ لا تسمح طبيعة الحياة إلا بملئه، ولكن عندما يغيب الرشد والحراك الموضوعي المتدرج و الطبيعي ، يحدث ما نرى من عنف مجتمعي سياسي أو غير سياسي ، مؤطر أو حتى عشوائي.

العوامل السياسية

يعد انسداد الأفق السياسي على المستوى المحلي و على مستوى قضايا الأمة الكبرى من أحد القضايا السياسية المؤثرة. أدى ذلك إلى عدم وجود مشروع حقيقي أو دور وطني واضح لأنظمة دول أصبحت تحصي الأنفاس أكثر مما تحمل قضية اوطان. وعلاوة على ذلك، تم التخلي عن مبدأ تداول السلطة بتدوير الكراسي حتى لنفس الأشخاص من النخبة السياسية داخل الدوائر الحاكمة. ومما زاد من تفاقم الواقع السياسي هو التحالف والعلاقة المتبادلة للمنفعة بين الاستبداد والفساد. وبذلك، تم طمس معالم المجتمع المدني وإجهاض محاولات انبعاثه والتركيز على مركزية مؤسسات الدولة التي فشلت في أداء واجباتها الأساسية ناهيك عن ملء القيام بدور مؤسسات المجتمع المدني.

عوامل مساهمة في جاذبية تنظيم "الدولة الإسلامية"

ترتكز عوامل جاذبية الدولة الإسلامية في العراق والشام على فهم عميق للخلفيات الثقافية والأوضاع المعيشية وبالتالي الحاجات النفسية لجيلٍ جديد يحمل رفضاً لواقعٍ ضاغط ولا يجد مشروعاً مقنعاً للحل. ويمكن تصنيف عوامل جاذبية داعش إلى :

عوامل الجذب على مستوى الإقليم

شكلت داعش عملية تعويض عن شعور المهانة والمذلة الوطني، فعندما تتخلف المؤسسات الرسمية المعنية عن أداء دورها، وتبنى الجيوش والمؤسسات الأمنية لحماية أنظمة وحكومات لا لحماية الأوطان، فسوف تنشأ مجموعات تضطلع بنفسها أو –تدعي ذلك– للقيام بالواجب الوطني.

كما شكلت داعش متنفساً انتقامياً للواقع الإجتماعي المعاش المغتصب مادياً ومعنويا. وتتجلى كواجهة تجمع بين نفرة دينية سطحية غير متعمقة تلاقت مع سلوك طائفي اجرامي، وأوجه الشبه التاريخية الجاهزة للاستحضار بين السنة والشيعة. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، وأهمها ما يلي:

* استخدام الحجج الشرعية المفرطة في التبسيط[٢٤].
* تطويع جهود الحركات والمدارس الإسلامية المعاصرة التي سعت لإعادة الحكم الإسلامي وتوظيفها ضمن مشروع داعش.
* اسقاط الأحاديث الشريفة حول الملاحم و أحداث آخر الزمان، دون النظر إلى مقدماتها وسياقاتها الزمانية والمكانية. ولعل حرص داعش على احتلال دابق وتسمية صحيفتها بهذا الاسم الوارد في الحديث النبوي مؤشرا هاما حول هذا.

---

[٢٤] انظر، إرهابيون لمحاربة إرهابيين، باكير حسين.

* الفتاوى غير الناضجة وغير الواعية لمعطيات الواقع ولا لظروف المستفتي وهو ما يمكن تسميته (عقدة المفتي جوجل).

وثمة عامل آخر على المستوى الإقليمي استفاد منه تنظيم الدولة الإسلامية وهو التربة الخصبة للإرهاب والتطرف في المجتمعات العربية، ومطالبتها باستعادة" الحلم الضائع[٢٥]".

إذ يرى شباب التيار الإسلامي خصوصاً وثوار الربيع العربي عموماً أن مشروعهم قد سرق، وقد بدأت تظهر مسميات ربما لاتكون فاعلة أو واعدة لكنها تشكل مؤشرا خطيرا مثل (داحم/ الدولة الإسلامية في حلوان والمطرية) ، و(داهف/ الدولة الإسلامية في الهرم وفيصل) ، و(دامل/ الدولة الإسلامية في مصر وليبيا)، كما أعلنت عدد من التنظيمات السلفية الجهادية انضمامها إلى داعش في عدد من البلدان.

عوامل الجذب على مستوى العالم الغربي

هناك مشكلة ما بعد الحداثة، وتعد تقابل فرط المادية وفرط نزعة التمتع (الانغماس الذاتي). ومن ثم، فإن النسخة الحديثة من البطولة هي نزعة بطولية حداثية تعطي معنى للحياة، ، وفرصة لتوبة آنية متوفرة وجاهزة وسريعة وسهلة التناول ومضمونة النتائج مثل الوجبات السريعة أو عقدة رامبو. بل يذهب بعض المفكرين الغربيين إلى أن ظاهرة القاعدة وأخواتها ما هي إلا نتاج طبيعي لعنف الحداثة الغربية.

حيث يعلق جاك دريدا على أحداث الحادي عشر من سبتمبر: "أن أكثر ما هو مرعب في هذا الإرهاب ضد الغرب، هو أنه وليد الغرب نفسه، وبأدوات الغرب نفسه، إنه عنف الحداثة ضد الحداثة وليس عنفاً من خارجها". وكما يقول جان بودريار: "إن القاعدة عنف مضاد لعنف العولمة، ولا ينبغي فهم هذا العنف المعولم خارج سياق العنف الموسع والموجه الذي مارسته سياسات الغرب نفسه."

و يشير الأستاذ أحمد أبا زيد إلى أن عنف الصورة الذي تعتمده داعش يعتمد على المبدأ القائل: "لا يكون الفعل الأفظع أخلاقياً و إنسانياً هو الأحق بتعاطف الجمهور، وإنما الفعل الذي استطاعت الصورة تأكيد فظاعته"، وهذا ما تؤكده ظاهرة الالتفات العالمي الكبير إلى مشهد إحراق الطيار الأردني معاذ الكساسبة أضعاف التفات العالم إلى إحراق آلاف المدنيين بكافة أنواع الأسلحة في داريا ودوما وحلب وحمص وغيرها من المدن السورية.

إن الاتجاه إلى بطون كتب التراث للبحث عن جذور لهذا الفعل ليس هو الاتجاه الصحيح –ونتحدث هنا عن تأثير ظاهرة داعش على الشباب في العالم الغربي– بل الأصح البحث في المنظومة الحداثية التي تشكل جذراً أقرب للصورة التي يقدم بها العنف، خاصةً أن القائمين على هذه المنتجات (الفنية) هم غالباً من الغربيين الذين فتحوا عيونهم على إنتاجات الغرب الفنية ولم تتح لهم فرصة الاطلاع على كتب التراث الإسلامي كثيراً.

[٢٥] انظر، لماذا ينضم شباب الإقليم إلى داعش، ورداني يوسف، موقع مجموعة الخدمات البحثية.

إن النزعة الإنتقامية لعمليات الطمس والتشويه هو عامل آخر لجاذبية داعش في الغرب. وكانت عمليات الشيوعية ضد المسلمين في الجمهوريات التي ضمت إلى روسيا (الشيشان والأوزبك، والطاجيك) خلال الحقبة السوفياتية لأكثر من قرن واحد مثل هذا دافعا للانتقام. فلم تنجح في منحهم هويّة مصطنعة وإلحاقهم بها، ولا هي تركت لهم هويتهم الأصلية الواضحة المعالم، بل طمستها وسطّحتها.

يناشد تنظيم الدولة الإسلامية أيضا بعض الغربيين عن طريق إثارة المغامرة والتشويق مع نكهة دينية. وذلك من خلال تقديم أمثلة من الأبطال الأسطورية للتغلب على الظالم، وما المشهد الهوليودي لمقاتلي داعش في فيلم إحراق الطيّار الأردني إلا من هذا القبيل.

أيضا، تبني فكرة "أسلوب الحياة" ونظام حكم يوفر الإنعتاق والتحرر من قيود العلمانية الشمولية المفرطة التي لا يوجد للمتطلبات الروحية فيها من متنفس، والعقلانية العلمية الصارمة التي لا تسمح للعواطف والأشواق النفسية بالتعبير عن وجودها، من أجل الحلم، والتحرر، وإثبات الذات، والتحدي، والإنجاز، والوصول إلى الفردوس الحقيقي، وهذه كلها عبارات يتم التركيز عليها في أدبيات التنظيم بتركيز وتواتر.

عوامل الجذب على المستوى العالمي العامّ

على الصعيد العالمي، يوظف تنظيم الدولة الإسلامية الخطاب الذي يساهم في مناشدته لمجموعة واسعة من الناس، من خلفيات وظروف مختلفة، من خلال تبنٍ معمم، وغالبا عالمي، للقيم والمبادئ، وغالبا الحوافز. ويشمل هذا الخطاب الأفكار المبسطة والأهداف الواضحة، وتقديم نموذج لدولة وليس تنظيما، والإعلان السافر للعداء لكل الظلمة، التمويل ودفع رواتب للمقاتلين منتظمة ومغرية بالمقارنة مع المقاتلين في الصفوف المقابلة، وحسن تسويق الإنجازات على الأرض، مما يعطي الإنطباع للمخاطب أنه يراهن على الحصان الرابح، وطرح نموذج مثالي مقنع ومغري لنوعين رئيسين من البشر: فمن كان يريد الجنة و فردوسها فهي في متناول يده، ومن كان يريد التمكين في الحياة وامتلاك النفوذ والقوة فداعش لا تستجدي عطف أحد، بل ترهب الخصوم وتزرع في نفوسهم الرعب.

الوسائل وأدوات الإنجاز

- العمل بعقول شبابية: فغالبية القيادات من الشباب تقوم بإنتاج الملابس التي تحمل شعارات التنظيم، وإصدار لعبة إلكترونية تحاكي انتصارات التنظيم وبطولات عناصره تسمى (صليل الصورام).كما يتم الإعلان حسب ما ورد في صحيفة الديلي مير البريطانية عن توافر فرص عمل للشباب مثل القضاة وخبراء البترول يصل راتب أحدهم إلى ١٤٠ ألف يورو، كما يتم الإعلان عن فرص زواج .
- طرح نماذج جاذبة: يتم طرح صور بعض المقاتلين وهم يلعبون البلياردو، وإبراز إنضمام مغني الراب الألماني دينيس كوستر (أبو طلحة) ومطرب الراب البريطاني المصري الأصل عبد المجيد عبد الباري، والمقاتل

الشاب الأسمر وهو يقول "أشعر أني في حلم... المتعة التي نحن فيها لا يمكنكم تخيلها... إنّها والله متعة عظيمة".

- الإعلام: أصدر التنظيم مجلة دابق في ٢٠١٤/٧/٨ بعدة لغات، كما ويتم استخدام أحدث أساليب التصوير والإخراج. وقد رصد الباحث في قضايا الإرهاب جي إم بيرغر ثلاثة ملايين تغريدة لداعش على تويتر يحركها أكثر من ٧٥٠٠ حساب. ووصف تقرير صدر عن موقع Bustle داعش بأنها من أكثر الجماعات المتشددة في حسن توظيفها لوسائل الإعلام الحديثة، وقد غطّت على جبهة النصرة تماما.
- تقديم حزمة متنوعة لإقناع أكبر عدد من الشرائح المستهدفة، ومخاطبة الشريحة الواحدة من عدة جهات: فإقامة الدين، وبناء الدولة الراشدة، ورفع الظلم، وتحرير الأوطان، وعدالة التوزيع، وتكافؤ الفرص، كلها مداخل يتم من خلالها استجلاب كل مستهدف حسب اهتماماته وتطلعاته. وقد أوضحت وثائق التنظيم الهرمي لداعش والتي أعلنتها مجلة ديرشبيجل الألمانية بعد حصولها عليها من أوراق حاجي بكر، العقيد سمير عبد محمد الخليفاوي، بعد مقتله في تل رفعت وهو القائد الحقيقي للتنظيم وضابط الإستخبارات العراقي السابق قدرة التنظيم على تجنيد مقاتلين من جنسيات مختلفة وأعمار مختلفة حيث كان للتنظيم في ريف حلب خريف عام ٢٠١٣ ألفان و ستمئة و خمسون مقاتلا أجنبيا ثلثهم من التونسيين ثمّ السعوديين وأتراك ومصريين وشيشان وأوروبيين وأندونيسيين. وقد أفصح وزير الداخلية المغربي للغرفة الثانية في البرلمان بتاريخ ٢٠١٤/٩/١٤ أن عدد المغاربة الذين التحقوا بالتنظيمات المتشددة يفوق ٢٠٠٠ مقاتلا، وذكر وزير الداخلية التونسي أن قرابة ٢٥٠٠ تونسيا قد تجندوا في هذه التنظيمات، وأن أجهزة الأمن قد منعت أكثر من ٩٠٠٠ شابا وفتاة من اللحاق بهم.
- الإعتماد على المناطق الرخوة لإثبات الإنجاز: وقد ساعدهم كل من النظام العراقي والسوري–كل لحساباته الخاصّة– أحيانا بأخطاء وأحيانا بعجز وأحيانا لأسباب أخرى، على تحقيق ذلك.
- بيع الوهم: يعتمد التنظيم على تسويق وهم تحقيق الحلم الموعود والفردوس المفقود ، بآراء ومقولات تسطيحية وحجج شرعية واهية، لكنها دائما تدغدغ عواطف غير العارفين، أصحاب النفوس الطامحة إلى أهداف استثنائية نظيفة أو غير نظيفة. وقد ألّف أحد شيوخ "الخليفة البغدادي" كتابا دحض فيه مقولات الدولة الموهومة أسماه "الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم"[٢٦].كما فنّد الشيخ محمد سرور زين العابدين وهو من أكابر التيار السلفي حول العالم دعاويهم في كتابه "خوارج العصر[٢٧]" وبيّن أنها قائمة على الجهل والغرور.
- الإعتماد على الرؤية الدينية، وإقامة الدولة، ورفع المظلومية: فالخطاب المعتمد من قِبلهم متعدد ليناسب شرائح مختلفة ويتعرض لزوايا نظر عديدة. فمن كان يريد نصرة الدين يجد عندهم ضالّته، ومن فقد مؤسسات الدولة والإنتماء إليها (كما في العراق بعد حل مؤسسات الدولة بما فيها الجيش) سوف يحققون له الأمان المفقود، ومن تغلبه إنسانيته فيبكي الظلمَ الذي يتعرض له الناس سوف يشفون له غليله. وقد تحدث عن كل هذا مايكل شوير في كتابه Through our Enemies Eyes.

[٢٦] الدولة الإسلامية بين الحقيقة والوهم، المنصور أبي عبدالله محمد، دار الجابية ٢٠١٤.

[٢٧] خوارج العصر، زين العابدين محمد سرور، دار الجابية ٢٠١٢.

- البناء على أفعال الخصم: يستجيب تنظيم الدولة بطريقة استراتيجية لتصرفات خصومه ويطور استراتيجياته بناء على ذلك. عندما أعلن أوباما أن غاية التحالف الأربعيني هو الحد من انتشار داعش، فعن أي أعداد نتحدث؟ وما هو حجم هذا التنظيم ومدى قدراته؟ وعندما تتركز نسبة ٧٥% من غارات التحالف على عين العرب/ كوباني بعدد بلغ ٤٢٨ غارة من أصل ٥٥٩ غارة شنّها طيران التحالف من ٢٠١٤/٩/١ ولغاية ٢٠١٤/١٢/٣١ وبلغت حصة مواقع داعش في حلب منها فقط ٢١ غارة. إذا فما هي الأهداف الحقيقية لأعداء داعش؟ ويركز أيضا تنظيم الدولة على، ويسلط الضوء، على انسحابات الجيش العراقي والسوري غير المفهومة. وفي الوقت نفسه، يلعب على مشاعر المتعاطفين معه بوصف العدو: ظالم، طائفي، مستعمر، كافر، عميل، الخ.

الحالة السورية

الثورة السورية في أساس انطلاقها ثورةٌ ضد الظلم والاستبداد والفساد، ولم تكن تحمل أيديولوجية سياسية، أو دينية، أو طائفية محددة، ثم ابتدأت تأخذ بعداً إسلامياً لأسباب متعددة، لا يسمح المقام بشرحها لأنها خارج نطاق الورقة. وتواجه داعش معوقات متعددة تحول دون تمكنها من الساحة السورية، بما في ذلك ما يأتي:

١- ليست سوريا هي بؤرة التركيز لدى داعش وذلك للأسباب الآتية: فإن غالبية قياداتهم عراقية، وممارساتها في العراق أعمق وأكثر خبرة. كما أن الحاضنة في العراق أكثر قبولاً للتنظيم بسبب تاريخها الأليم مع ممارسات الحكومة الطائفية وشعورها بالتهديد من الميليشيات التي تقود المعارك ضد داعش وبتأييد ودعم أمريكي واضح، بينما ترى الحاضنة في سوريا نفسها بين مطرقة داعش وسندان النظام. غياب حركات المقاومة العراقية الأخرى عن الساحة، ونزولها تحت الأرض، بينما وقف الثوّار السوريون في مواجهة داعش. غياب المنافس في العراق من نفس البيت الداخلي (وراثتهم لكامل قواعد تنظيم القاعدة في العراق) بينما تتواجد في سوريا جبهة النصرة وهي تنازع داعش شرعية السلفية الجهادية و كذلك فصائل إسلامية كبرى تعادي داعش مبدئياً.

٢- موقف علماء الشريعة السوريين الواضح والمبكر والحاسم المعادي للتنظيم.

٣- وسطية الشعب السوري.

٤- عدم قدرة التنظيم على الإمتداد في الأماكن ذات الكثافة السكانية أو ذات البنية الإجتماعية المتجانسة (تواجدهم في الحجر الأسود و مخيم اليرموك على وجه التحديد من بين كل المناطق في ريف دمشق)، ولا يتجاوز عددهم الألف مقاتل بينما يتجاوز عدد الثوار في ريف دمشق الثلاثين ألفاً.

٥- وجود داعش في سوريا مرتبط ببقاء النظام من حيث النشأة والإنجاز وآفاق الوجود.

٦- الفكر المتطرف غريب عن الفكر الإسلامي السوري ، ولولا تمادي النظام في بطشه لما أتيحت الفرصة لدخول هذا الفكر إلى الساحة السورية فأول من طرح فكرة الخلافة كان حزب التحرير الإسلامي ثمّ جاء مهاجرو تنظيم القاعدة (جبهة النصرة) وصولاً إلى مقاتلي داعش، وكان بطش النظام وتنكر العالم لنصرة الثورة السورية هما العامل الأكبر في انتشار هذا الفكر المتطرف الغريب.

٧- معاداة داعش للثوار السوريين، وتكفير عموم أهل الشام وطرحها لأولوية قتال المرتدين (الثوار السوريون وعموم أهل البلد) على الكفار الأصليين (النصيريين العلويين).

٨- إن طبيعة عناصر تنظيم داعش في غالبيتهم إمّا متدينون ذوو خلقٌ جاف وغلظة ووافدون لا ينتمون إلى المجتمع السوري، وإمّا من أصحاب السوابق الذين رفضتهم التشكيلات الثورية الأخرى واحتفى بهم التنظيم، وفي الحالتين فالنموذجان مرفوضان شعبيا ولا مستقبل لهم.

٩- معظم السوريين الذين انضموا إلى داعش -وهم أقلية فيها- انضموا إما بسبب: التمويل، أو انفراط عقد فصيل ثوري عسكري، أو بسبب الإحباط من الموقف الإقليمي و الدولي.

خاتمة

إن ما تمّ ذكره في البحث يقدم كقراءةٍ للفرص والتحديات التي تواجه تنظيم داعش، وبالتالي يمكن استنباط خارطة طريق لمقاومته يجب أن لا تركز على الجانب الأمني وحده، فالأمر أكثر تعقيدا بكثير من ذلك! كما إن الصفّ الإسلامي مطالبٌ بتعديل خطابه حول داعش، فقد لجأ إلى تصنيفهم بالخوارج (وهو فصيل في القرن الأول للإسلام أطلق على المجموعات التي اتخذت مواقف راديكالية في صراعها مع كل من السنة والشيعة، وهم المتطرفون ذو الطراز الأصيل في الإسلام) لتبرير قتالهم، ولكنه بذلك قد جرّ نفسه إلى الميدان الذي يتقنه التنظيم ويحبذه. فإذا كانت التهمة الموجهة إليهم أنهم خوارج فهم يتهمون الآخرين بأنهم مرجئة (وهو الفصيل الذي كان في المعارضة مع الخوارج والسنة، ولا سيما على مفهوم التكفير، معتبرا أن الله وحده قد يلقي مثل هذا الحكم يوم القيامة)، وندخل في جدل -على الأقل- لن يفهمه الكثيرون، ولكنه للأسف يقر للتنظيم بأنه جزء من البيت الإسلامي. صحيح أنه منحرف ولديه أخطاؤه ولكنه يعالج كجزء سقيم من داخل البيت الإسلامي وهنا مكمن الخطر، ويبشر بمزيد من الصراع الأيديولوجي بين المسلمين.

هنا، أنها ليست مهمة أحد أن يلقي حكم تكفير التنظيم ولا عناصره ، فمنهم المؤمن ومنهم غير ذلك، ومنهم المستقيم المضلل أو الجاهل ومنهم قاطع الطريق المرتزق أو المأجور. يعد هذا نقاشا دينيا مذهبيا وأيديولوجيا لا يخدم أي غرض في إيجاد حلول للتحديات الناجمة من تنظيم الدولة الإسلامية نفسها، ومن العوامل التاريخية والاجتماعية والفكرية والدينية والسياسية في المنطقة التي ساعدت على ظهور وصعود تنظيم الدولة الإسلامية.

إن التوصيف الصحيح لهذا التنظيم باعتباره فاشي براغماتي عدواني، يستخدم شعارات الدين، وليس مشروعا إسلامياً ولا وطنياً ولا إنسانياً. وعليه فتجب محاربته لأن في مآلات مشروعه وثنايا تطبيق هذا المشروع إساءة إلى الدين والوطن والإنسانية.

أن أهم وأقوى عامل جذب وأكثرها بريقا للتنظيم لدى مناصريه هو الطريقة التي تتم محاربته بها والقوى التي تحاربه، وما لم يتم استبدال المقاربة التي يتم التعامل معه من خلالها فنحن أمام تحد طويل مرير طعمه علقم لن يعفى أحد في شرق أو غرب من تبعاته، وربما سنرى معها وعندها داعش ألطف من وريثاتها. يعد هذا عاملا يساهم في تأجيج غضب

المتعاطفين مع داعش، الذين قد يتحولون بسهولة إلى مقاتلين فعلين. فإننا لا بد أن نشهد ظهور جيل جديد، أكثر تطرفا وراديكالية، الذي من شأنه أن يعيث فسادا، إذا لم يتم التطرق إلى العوامل الرئيسية التي تسهم في جاذبية تنظيم الدولة الإسلامية، وخاصة للأجيال الشابة.

الحالة العراقية

عثمان المختار

منذ فترة أعكف على كتاب سيحمل عنوان " حكايات من زقاق فلوجي " أتحدث فيه عن شبان عراقيون للأسف الآن هم من مقاتلي تنظيم بشع استغله الجميع واستفاد منه إلا من يدعي هذا التنظيم إنه يمثلهم فقد أعان عليهم الغير وجار بنفسه عليهم. لم صاروا مقاتلين؟ لم صاروا إرهابين؟ كيف يمكن لشخص أن يتحول وينقلب بحياته رأسا على عقب؟ ما هو العامل أو مجموعة العوامل التي دفعتهم لذلك؟ هل هو الجهل، التخلف، الفقر، الانتقام، أم غسل دماغ فكري نابع من المساجد وحلقات تحفيظ القرآن والحديث؟

وهل أصبح تنظيم داعش يتفاوت في تفكيره وغايته وأهدافه أم بات عبارة عن جنود "زومبي" يتحركون وفق صوت هاتف يصل من رؤوسهم الى أذرع خشنة تحمل البنادق والمدافع؟

ولم لم يكونوا مثلي مراقبين أو حتى فارين من الوضع المزرى؟ ألم يكن أحدهم سكيّر والآخر يقضي ثلاث ساعات بطولها كل يوم بالطريق للذهاب من الفلوجة الى بغداد من أجل معاكسة الفتيات والتحرش بهن؟ كان هذا الشاب خفيف الظل جميلا مرحا ما الذي حوله الى هذا الشكل؛ لحية وعمامة ويد مبتورة وتكفير تكفر منه حتى الأرض؟

قبل عامين فقط دخل على مسجد قرب دارهم وأراد أن ينكل أو يوقع بأبوه الذي حرمه من شراء سيارة جديدة وكان الشهر رمضان فقال لهم: "يا جماعة والدي يسلم عليكم ويقول اليوم كل مصلي المسجد افطارهم عندي فذهب العشرات من المسجد الى بيتهم بينما فر هو الى بيت عمه المجاور يضحك على موقف ابوه المحرج والمخجل".

لماذا مثل رامي وغيره صاروا "دواعش" كما يسمونهم ولماذا شبان قبله انضموا بالقاعدة؟ لماذا صار قاتلا محترفا وهو من كان يبكي إذا دهست سيارة قطه؟

كل تلك الأمور دفعتني لدراسة الموضوع بشكل مباشر وغير مباشر، توصلت خلالها الى حقيقة بسيطة جدا خاليه من التعقيد؛ ثلاث عوامل رئيسية ومثلها فرعية وحل واحد ينفع للعراق وسوريا ونصائح باعتبار هذا التنظيم يجب أن يكون الأخير لأنه في حال القضاء عليه وخروج نسخه ثانية منه ستكون أبشع بكثير.

ما يهمنا اليوم من كل هذا هو معرفة السبب أو مجموعة الأسباب التي تدفع الناس للانضمام من مختلف دول العالم عرب وأجانب شباب وشابات وكهول ومراهقين متعلمين وأميين لهذا التنظيم، الذي تشير تقارير أخيرة– بعضها تناولته وسائل إعلام– إن معسكراته في العراق وسوريا غصت بالمتطوعين ما دفع قيادة التنظيم الى تقليص مدة التدريب التي يتلقاها المتطوع في المعسكر سواءا كانت فترة تعليمه القتال أو تعليمه اللغة العربية، وقبل هذين الاثنين تعليمه ما يعرف ب(مناهج أصول الدين)؛ وهو منهج إسلامي مستحدث لم يتحدث به من علماء الامة السابقين ولن يتحدث به اللاحقين يختلف عن كل المناهج التي عرفتها المدارس الإسلامية منذ قرون طويلة.

إن أهم العوامل بل وأكثرها دفعا للناس للإقبال على التنظيم هو (الاضطهاد والظلم) سواءا كان الديني بمفهومة الطائفي الحالي أو السياسي بمفهومه العالمي أو حتى الشخصي. إن "ثلاثة عشرة سنة من الظلم والاضطهاد والتمييز وحملات الاعتقال والتهجير ومئات الاف من القتلى والجرحى على أسس طائفية ضيقة بلغت ذروتها في عهد المالكي. حيث لا يمكن لكل تلك الظروف أن تخرج من هذا المجتمع لاعب كرة قدم أو فنانا أو حتى تكون مهيأة لولادة حزب سياسي سلمي أخضر. فبالتأكيد ستكون متلازمة الخوف، والاضطهاد حاضرة عنده ويعمل على معالجتها بأي شكل، بمعنى آخر يبحث عن الراحة وفي حال يأس من العثور عليها ستكون ردة فعله وحشيه للغاية وهذا سلوك انساني فطري".

"الجميع توقع أن ينتهي الحال بالعراق إلى شيء سيء بسبب سياسية الحكومات المتعاقبة اتجاه مكون معين فالاعتقالات بالجملة والقتل بالجملة أيضا، تشريد وفقر وحرمان متعمد، لا وظائف لا أمن لا اعمار لا خدمات، تمييز طائفي ضيق للغاية استمر طيلة السنوات الماضية. كما إن مليون عائلة حرمت من معاشها الشهري. انتهى كل هذا بثورة سلمية واعتصامات مفتوحة قمعت بشكل بشع للغاية من قبل الحكومة وراح ضحيتها مئات منهم في الفلوجة وبعقوبة والحويجة والموصل. كل ذلك هيأ الأرض لولادة تنظيم متطرف بشع– لكن من سوء حظنا– إن هناك فعلا تنظيما متطرفا يربض على الحدود في سوريا وله تواجد ضعيف جدا بالعراق استغل ما حصل. ومع الأسف، انتبه الغرب له متأخرين وهو ما بدا من مطالبة رؤساء الدول الكبرى لرئيس حكومة العراقية بتحقيق مصالحة وطنية واشراك كل الطوائف بإدارة البلاد في إشارة باتت بديهية عن السنة".

ولا يختلف الحال في سورية عن العراق بشكل جذري، حيث تتشابه الظروف الى حد كبير في مفاصل أخرى من فصول الاضطهاد. إلا أن ما يهم هو أولئك القادمين من الغرب والشرق تاركين كل شيء وراءهم ليفجروا أنفسهم بعمليات انتحارية أو يقاتلوا فيقتلون أو يقتلون.

في هذا المجال من الخطأ الجزم على جميع المتطوعين بأنهم من ضحايا الاضطهاد في بلدانهم، بل يمكن القول إنهم ضحايا لضحايا الاضطهاد– إن جاز ذلك–؛ فالصور التي تتناولها وسائل الاعلام فضائيات وانترنت وصحف عن مجازر البراميل المتفجرة وحفلات الإعدام الميدانية حرقا أو سحلا او حتى سحقا على يد النظامين العراقي والسوري والمليشيات التابعة له المرعية إيرانيا كفيلة للكثيرين بالتوجه إلى البلدين والقتال فيه على غرار ما حصل في البوسنة والهرسك مطلع تسعينات القرن الماضي. حيث شهدت هجرة عرفت باسم "هجرة النصرة" من جميع الدول العربية والإسلامية وحتى الغربية ولم تكن حينها وسائل الاعلام بهذا الانتشار. كما لم يكن العالم الإسلامي محتقنا بهذا الشكل، لكن هناك نسبة أخرى دفعهم إيمانهم بالمشروع الذي رفعه قادة تنظيم الدولة منذ أول أيام له ولبوا نداء التطوع للقتال في صفوفه أو ما يعرف بـ"النفرة". لكن تلك النسبة ليست بالكثيرة ولا تشكل ثقلا في الهيكل التنظيمي أو القتالي لداعش على الإطلاق إلا أن وقعها الإعلامي والسياسي عالي جدا. ومثال ذلك مؤخرا، قائد القوات الخاصة الطاجيكية غول مراد حليموف الذي وصل إلى سوريا متوعدا نظامه بالعودة بعد اسقاط نظام بشار الأسد وإقامة حكم إسلامي في بلاده.

ومن المهم الإشارة الى أن غالبيتهم يسجلون بقوائم (العمليات الاستشهادية) التي يضعها التنظيم في كل ولاية لمن يرغب بتفجير نفسه على العدو.

العامل الثاني الذي يدفع الشباب للتوجه الى داعش هو اليأس. ويعتبر أكثر شمولا من العامل الأول من حيث نسبة من وقع تحت طائلته؛ فاليأس بالعراق وسوريا من تحرك العالم لنجدتهم واخفاقه في إيقاف حمامات الدم اليومية بحق المدنيين، على الرغم من مؤتمرات جنيف وباريس وواشنطن وعواصم غربية وعربية مختلفة دفع الشباب إلى التفكير بالقوة الأكثر فاعلية على الأرض وعدم البقاء بموقف متفرج حتى وصول مناجل النظام أو قد يكون داعش نفسه صاحب المنجل الذي سيقتله.

هذه العوامل أوصلتهم إلى مرحلة يأس من تغيير الحال وإمكانية نفع الوسائل السلمية الداخلية أو الجهود الخارجية الدولية ذات الطابع السياسي في تغيير الحال. كان "نصف مقاتلي الدولة الإسلامية لو وجدوا أمل بأي تغيير سياسي أو سلمي يوقف نحرهم وطوائفهم لما صاروا اليوم مع التنظيم". "اليأس يفعل كل شيء، نحن نتحدث عن شبان أغلقت كل الأبواب بوجوههم ثم فجأة انفتح لهم باب نهايته شعاع أمل ليس بالنجاة أبدا، لكن لأخذ الثأر أو الانتقام أو شفي الغليل. من المؤكد إنهم سيذهبون إليه بحثا عن الخلاص".

ولعل وصول شبان من دول عربية فشلت –أو بمعنى أدق– وئدت فيها الثورات السلمية بشكل بشع يفسر ذلك. إذ إن الرغبة بالانتقام عامل أخير ومهم في انضمام الشبان لتنظيم الدولة؛ الانتقام من النظام العراقي وانتهاكاته وسياسته الطائفية وإفشال التجربة الأميركية فيه، الانتقام من النظام السوري وسيل الدم اليومي، الانتقام من دولهم بالنسبة لغير العراقيين والسوريين، الانتقام من الاهل والمجتمع، الانتقام من النفس في بعض الأحيان والشعور بالذنب ومحاولة تكفير الخطايا بالجهاد كما يسعى إعلام تنظيم الدولة في جذبه للشبان.

كل هذا الكم الهائل من الألوان التي اختصرت بثلاث عوامل، لا يمكن اعتبارها الوحيدة بل الأبرز في آلية التجنيد لدى تنظيم الدولة الإسلامية. وتعتبر عاملا مشتركا بين نحو ٧٠% من مقاتلي التنظيم الذي من المتوقع أن يرتفع عدد مقاتليه إلى ٩٠ ألف مع نهاية الربع الأخير من العام الجاري.

تضاف لها عوامل جرائم المليشيات الحالية ورد الفعل المضاد، حيث بات خيار العراقيين والسوريين في مناطق كثيرة إما أن تكون مع داعش أو الحشد الشعبي أو داعش ومليشيات حزب الله وشبيحة الأسد فضلا عن العامل المادي والفقر المدقع والحرص على مرتبات عالية من التنظيم وأخرى كحماية النفس والعائلة والحصانة الممنوحة لمقاتلي التنظيم وأخرى الإكراه على الانتماء. والعامل الأهم والأخطر هو غسل الأدمغة واستغلال السذج وقليلي التعليم وهم يشكلون عصبة أو عماد كتائب الانتحاريين بالتنظيم.

ونجح تنظيم الدولة مؤخرا من توزيع مساعدات مالية وغذائية على الأهالي وحملات مساعدات مختلفة، تبدأ من تنظيف الشوارع من قبل المقاتلين وتنتهي بحملات تبرع بالدم للمدنيين الجرحى وصد هجمات لمليشيات طائفية استهدفت عدد من مدنهم وهذا كله عامل جذب آخر لهم. إذ يسعى داعش إلى إشعار الناس بأن حكمه هو الأفضل في الموصل أو الرقة أو دير الزور أو الانبار. وأن أمنهم أفضل من أمن من يسكن في بغداد؛ دكاكين مشروعة، لا لصوص ولا حملات دهم، ولا خوف من قادم، لا يوجد شيء يخشى منه الساكن في مناطق داعش باستثناء الخطوط الحمر التي وضعها التنظيم وأوغل بالبشاعة في التنكيل بمن يخالفها.

وتمكن الأهالي من تجنبها وأبرزها ما يسميه "العمالة للمرتدين والكافرين والتجسس والمس بنظام الخلافة". وتجد في كل بلدة يافطة كبيرة كتب عليها عنوان "وثيقة المدينة" توضح القوانين المحذور والممنوع والمسموح به.

ويقول مواطن اسمه أحمد أبو سعيد ٣٩ عام (حركي)، يسكن في منطقة باب الطوب وسط الموصل: "المدينة آمنة جدا لا خوف من الشرطة الإسلامية ما دمت أنك تنفذ ما جاء بالقانون". ويضيف "كنا سابقا- أيام حكومة بغداد- نشهد اعتقالات وتعذيب واتاوات وسرقات وخوف من المجهول، هذه كلها انتهت". ويتابع " لا يوجد أحد في كل هذه المدينة يرغب ببقاء حالنا هكذا. لكن عندما نوضع في مقارنة بين حكومة بغداد وجيشها الطائفي وميلشياتها الهمجية بالتأكد نريد هذا الوضع؛ وتعتبر تكريت مثالا حيا على ذلك. ويمكنك القول أننا بتنا معلقين في الهواء لا أرض ثابته تحتنا تسندنا".

بينما تبقى النخبة المقدرة بنحو ٣٠%، وهم قيادات ومنظري وولاة الولايات وقادة الفصائل وقضاة المحاكم الشرعية، هم ممن يمكن أن نطلق عليهم بأنهم العقائديون أو العاملون مع التنظيم قلبا وقالبا منذ اللحظة الأولى لهم بتلك الجماعة.

من كل هذا نتوصل إلى أن هذا التنظيم لم يستوعب كل مقاتليه على أساس جهادي سلفي على الإطلاق، بل حالفه الحظ بالولادة في بيئة متعبة حد الانتحار الجماعي وفوضى مرعبة وعالم منقسم على مكان انعقاد مؤتمر يناقش الوضع بالمنطقة. فكيف سيجد حلا في حال التأم واجتمع؟ مما يعني إن لدينا أكثر من نصف مقاتلي التنظيم جاءوا للتنظيم ليس لأسباب دينية بحتة، بل كان العامل الديني لهم أمرا ثانويا جدا مقابل العوامل الثلاثة الرئيسية التي تم ذكرها. لذلك، نجد إن دورات العقيدة والتوحيد والشريعة وغيرها تكون أول ما يتلقاه المتطوع عند وصوله "أرض الخلافة". هذا يجعلنا نستنتج إن "قيادة التنظيم نفسها عاقلة لدوافع قدومهم إليها وتسعى وفقا للمثل العربي القديم (الحب بعد الزواج) بمعنى أنهم سيتم أدلجتهم دينيا وفقا لفكر وثوابت التنظيم وهي الأفكار التي نجحت إلى حد بعيد في تحقيق ما وصلت إليه اليوم.

الخلاصة، إن محاولة استخدام القوة والنار بالتعامل مع تنظيم بسط نفوذه ودرس جغرافية أرضه العراقية والسورية التي يدوس عليها وفَهِم قوة خصمه هي عملية فاشلة بل وسترتد عكسيا ولن تزيد هذا التنظيم إلا قوة، ولن تهدر إلا الوقت والمال، ولن تجلب إلا المزيد من المقاتلين خاصة إن أصعب تضاريس العراق وسوريا باتت بيد التنظيم بلا منازع ولا زال يتمدد.

لذا، فإن معالجة أسباب توجه المتطوعين للقتال مع تنظيم الدولة أولى وأوجب من توجيه الطائرات صوب الموصل والفلوجة والرقة ودير الزور والتي هي الأخرى تزهق أرواح مدنيين تصب أخيرا بصالح التنظيم في كسبه للتعاطف والتفاف الناس حوله من سكان تلك المناطق.

وهنا يجب التنبيه إن الناس لا يسمعون ولا يرون إلا ما تريده داعش، فأغلب المناطق بلا كهرباء، ومن لديه كهرباء لا دش لديه، وإذاعة البيانات ونشرات الاخبار من المساجد وتوزيع قصاصات الأوراق على المنازل؛ بات إعلامهم شبه الوحيد فضلا عن الاشاعة في (بعض المناطق).

لذا، أنا أرى، إن تخفيف منابع داعش وقطع الشوارع التي تصل الشبان إليه من دول العالم والمنطقة إلى سوريا أو العراق أو توصلهم إليه فكرا لا جسدا هو الأهم من قصف الطائرات. فالعمل على وقف جرائم مليشيات الحشد الشعبي والجيش النظامي بالعراق على نطاق طائفي معروف وإيقاف عمليات التغيير الديموغرافية والتهجير في هذه البلاد ومعالجة ملفات انتهاكات حقوق الانسان وتعديل النظام السياسي الأعرج فيه وإشراك السنة بشكل حقيقي في إدارة البلاد وإجراء انتخابات برلمانية شاملة يجب أن تديرها الأمم المتحدة لا تدخل فيها لكل الوجوه الحالية بالعراق، ومن قبلها إجراء تعداد سكاني بالعراق يمنح لكل مكون ولون حقه وتعادل بين المكونات بالجيش والشرطة والمخابرات والأمن والوزارات السيادية والخدمية. ثم العمل على اقتلاع نظام الأسد وإعادة البلد لاهله، كما وطرد الإيرانيين ومليشيات حزب الله سيكون كفيلا بوقف تضخم التنظيم ومن ثم اضمحلاله وأخيرا نهايته بأقل الخسائر البشرية، ونقول البشرية لأن المدن التي يتواجد بها داعش لم يكن فيها مادية حتى نخشى خسارتها فقد حولتها طائرات النظامين إلى أطلال.

غير ذلك، فمن الصعب هزيمة التنظيم بالطريقة الحالية لأن تضخمه وارتفاع عدد مقاتليه وبالنهاية قوته مرتبطة بجرائم النظام السوري ونظيره العراقي وحالة الغليان الشعبي العربي من ذلك بمباركة ومد إيراني واضح. فكلما زادت جرائم المليشيات والنظامين زاد عدد المقبلين عليه.

إن محاولة تخفيف غرفة من الماء بينما الصنبور مفتوح على شدته جنون ... إن داعش يقوى على ظلم النظامين العراقي والسوري وجرائم المليشيات. إن داعش يخشى من الإطاحة بالنظامين قبل إكمال مشروعه فهو المستفيد حاليا من كل هذا. إن تنظيم مثل داعش لا يمكن وصفه أو تشبيهه إلا بسكين يمانية خالية من وسادة المقبض تجرح صاحبها وعدوه.

"داعش" موضة الشباب المعاصر... ومرآة أمراضه
بحث عن قضية ومعنى في ظل خواء الايديولوجيا وفشل قيم الحداثة

بيسان الشيخ

لدى الحديث عن تنظيم "الدولة الاسلامية في العراق والشام" (داعش)، غالباً ما ينطلق البحث من خاصية العنف المفرط والدموية، سواء لجهة الاقدام على أعمال عنفية من قطع رؤوس أو اطراف اأو تنفيذ عمليات رجم ورمي من مرتفعات، أو لجهة استعراض هذا العنف وتعميمه عبر أشرطة مصورة وعلى منصات وسائل التواصل الاجتماعي.

ولا يمكن تناول "داعش" ضمن أي سياق أو مقاربة بحثية، من دون ربطها مباشرة بـ "هوية بصرية" وضعتها لنفسها وفرضتها بفعل عامل الصدمة أولاً وما تحمله من رسائل مباشرة (حول نهجها المعتمد وذلك الموعود)، وسعة الانتشار والتداول ثانياً، ثم جودة المنتج الترويجي/ الاعلامي ثالثاً. لكن أيضاً بصفتها أول نموذج "دولة خلافة" معلنة على هذا النحو، وعابرة للحدود "الوطنية".

وتقسم هذه الورقة الى جزئين أساسيين، يقوم الأول على عدم اختصار التنظيم بوجهه العنفي، والبحث عن مشارب أخرى تتغذى منها جاذبيته، مع محاولة لتفسير هذا الخيار، فيما يركز الثاني على تفنيد تلك الاسباب بحسب فئات المنتمين للتنظيم، مروراً باضاءة خاصة على الحالة اللبنانية، التي لا تزال على رغم كل التصعيد الأخير في مرحلة تبقي لبنان "ممراً وليس مقراً".

ليس بالعنف وحده نفهم "داعش"

تفترض هذه الورقة، أن العنف وحده لا يختصر، أو يجب ألا يختصر محاولات فهم التنظيم وسر جاذبيته لدى الشريحة الشابة سواء العربية أو الغربية، لأن العنف بحد ذاته، ومجرداً من العوامل الاخرى التي سوف تستعرض لاحقاً، لا يشكل عنصر جذب أو طرد. فلو كان المنضمون لـ "داعش" مجرد شباب متعطشين للدم، لكانوا ارتكبوا جرائم جنائية في بيئتهم الأولى وأفرغوا عبرها شحناتهم العنفية، أو ربما تحول بعضهم إلى قتلة متسلسلين، أو انتسبوا إلى عصابات ومجموعات مجردة من أي بعد سياسي أو مشروع بعيد المدى. لكن شيئاً من ذلك لم يحدث. فغالبية هؤلاء، وخصوصاً الغربيون، ممن نعرفهم على الأقل وكشفت لنا "بروفايلاتهم"، ليسوا من أصحاب السوابق أصلاً، ولا هم بالضرورة "أشرارا" بالمعنى التقليدي للكلمة. بل تتكرر في وصفهم خصال من قبيل "الخجل والانطواء"، و"حب المساعدة" و"التمسك بالقيم العائلية" وغير ذلك من السمات المسالمة والإيجابية إلى حد بعيد. وإلى ذلك، هم اقتنعوا بنمط حياة، وليس نمط موت فحسب، وبرنامج اجتماعي تركوا لأجله أنماط حياتهم السابقة.

بداية، لا شك إن ما تقدمه "داعش" من بروباغاندا مصورة وبيانات، هو تماماً الهوية التي تسعى إلى أن تعرف نفسها بها وتستثمر وقعها في نفوس المتلقين، لا سيما لإثارة الرعب والخوف للتسليم لها والاقرار بها سلطة أمر واقع.

والعنف بذاته لم يكن يوماً عائقاً فعلياً أمام تسلم السلطة أو فرضها أو حتى الحفاظ عليها، لا بل كان ولا يزال وسيلة معتمدة (ومشروعة نسبياً وإن كانت غير مقبولة) للأنظمة والمجموعات الثورية/ الإنقلابية/ التحررية (سمها ما شئت) على السواء لتحقيق أهدافها في الوصول إلى الحكم. يبقى أن نبحث إن كان العنف غاية لذاته أم إنه مجرد جسر. وهذا نقاش تم خوضه طويلاً في البحث في شعبية النازية وليس المجال لخوضه.

ولكن بالعودة إلى متلازمة "العنف- داعش"، يمكن ربط ممارسات التنظيم الدموية بما قد يسمى "قانون عقوبات" تعتمده هذه السلطة/ "الدولة"، ولا يزيد أو يقل بالضرورة بشاعة عن قوانين معتمدة ومطبقة في أي دولة أخرى، إلا لجهة الإشهار والتباهي.

فيكفي أن ننظر إلى عدد من البلدان (العربية وغير العربية) التي لا تزال تطبق عقوبة الاعدام، رحيماً كان أم بالشنق وحد السيف، بالإضافة إلى عقوبات الرجم والبتر والجلد وغيرها، أو إلى المجتمعات التي تطبق هذه العقوبات أو بعضها كحكم عائلي أو عشائري وإن لم تنص عليه الشرائع والقوانين المكتوبة من قبل السلطة السياسية. ومنها مثلاً ما يرتكب بحق الفئات المهمشة (كالمرأة أو المثليين أو الاقليات) والذين يقتلون حرقاً أو بـ "السقوط من علو"، تماماً كما تفعل "داعش".

ومن نافل القول أن الفارق بين "داعش" والدول أو المجتمعات المعنية بتطبيق هذه الممارسات العنيفة يكمن في الشرعية، سواء قانونية أو سياسية أو حتى اجتماعية. فتلك أنظمة حكم اكتسبت اعترافاً محلياً ودولياً بسطته على بقعة جغرافية وضمن حدود معينة تقع تحت سلطتها المعنوية والقانونية، فيما "داعش" لا تزال تسعى لأن "تبقى وتتمدد". وريثما تثبت جدارتها، وتتخطى عمر الحضانة والخطر، ربما تنجح في أن تصبح نموذجاً آخر، من حكم "طالبان" ولم لا، بنكهة حديثة وأكثر عولمة.

ولا ننسى في السياق، أن عدداً من البلدن التي أقامت نظاماً سياسياً معادياً للنظام العالمي وما يتعارف عليه من مفاهيم وقيم مشتركة، كالصين مثلاً أو الاتحاد السوفياتي السابق أو الجمهورية الايرانية أو حتى طالبان افغانستان وواجهتها سياسة باكستان (وهي كلها أنظمة ما بعد-ثورية)، انتهت بأن انتزعت اعترافاً دولياً حالما أثبتت قدرتها على البقاء من جهة، وفاعليتها كلاعب على الساحة الدولية من جهة أخرى. وحتى الساعة، لا شيء يشير إلى أن "داعش" لا تستوفي هذين الشرطين.

فماذا لو نجحت في فرض نفسها "دولة" قابلة للحياة فانتظمت ضمن سياقات داخلية وخارجية تلتزم بها الدول عادة ومنها احتكار العنف، وتنفيذ أحكامه تحت سلطة القانون بعيداً من البروباغاندا؟

"قلبي بات معلقاً"

في كتاب مارك كوكيس[٢٨] "My heart became attached, the strange odyssey of John Walker Lindh" والصادر في ٢٠٠٣ يتناول الكاتب سيرة أول أميركي حمل السلاح إلى جانب "طالبان". منذ أكثر من ١٣ عاماً، بحث الكاتب تماماً عما نبحث عنه اليوم، فسأل ما الذي يحمل شاباً أميركياً أبيض من كاليفورنيا إلى جبال افغانستان لخوض حرب يفترض أنها لا تعنيه؟ وإذا كان ذلك حدث منذ أكثر من عقد من الزمن، لم لا يزال هذا الدفق جارياً بأعداد أكبر ونحو مهجر أكثر تشدداً وعنفاً؟ "قلبي بات معلقاً" عنوان يقول الكثير عن ذلك التوق العميق والحاجة الدفينة لمعنى، أو قضية يبذل المرء نفسه من أجلها، فتهون عليه نفسه. وكيف إذا كانت القضية (بنظره) محقة وعادلة.

وصحيح أن تجربة ليند ربما تختص أكثر بالمعتنقين الجدد للديانة الإسلامية، وهم كأي وافد جديد على أي حزب أو معتقد أو نمط معرضون للمغالاة بهدف إثبات الإنتماء والولاء، إلا أنه يضيء أيضاً على جوانب كثيرة من أزمة يعيشها الجيل الشاب في الغرب وبلداننا على السواء. أزمة بدأت في ١١ أيلول، وتخمرت خلال ١٠ سنوات من الحرب على العراق وفيه، ثم انفجرت غداة ثورات الربيع العربي وتحولها في سورية تحديداً الى مقتلة يومية.

ثمة اليوم جيل معولم، ينتمي إلى مجتمع تقنيات التواصل الاجتماعي، حيث الترابط الإفتراضي متين في مقابل تفسخ واقعي يعكس غربة داخلية عن الشأن العام وشعور بالعجز حيال إحداث أي تغيير لا سيما بالطرق السلمية. إنه جيل يستهلك القضايا والأفكار فيستوردها كما يصدرها بنقرة كيبوورد، ويعيش باحثاً عن معنى وجدوى.

فهناك أسئلة كثيرة لا تزال معلقة سواء في الغرب أو في بلداننا المتأثرة بقراراته وسياساته ولم تجد إجابات لها بعد؛ منها مثلا السؤال الكبير "لماذا يكرهوننا؟" الذي رسم خطوط مواجهة حادة بين المسلمين والعالم، أو "ما هو وزن الرأي العام في وضع السياسة الخارجية؟" (مثلاً شهدت بريطانيا أكبر تظاهرة شعبية في تاريخها لمناهضة الحرب على العراق، لكن ذلك لم يؤثر عملياً في مشاركتها فيها). ومن الأسئلة المطروحة بحدة على المجتمعات الغربية خصوصاً مثلاً بعد جريمة "شارلي ايبدو" في فرنسا هي "كيف تعرف الهوية الوطنية؟". ومن قبلنا نحن، "لم تخاض حرب على العراق بذريعة الإطاحة بطاغية ونشر الديموقراطية، فيما السوريون يقتلون بالسلاح التقليدي والكيماوي لأنهم طالبوا بالحرية؟"، و"أين حراس الديموقراطية مما جرى في الانتخابات المصرية؟"، هذا ولم نذكر بعد القضية المحورية المغذية لكل تلك المظلوميات، وهي القضية الفلسطينية.

هكذا، استفاق جيل كامل على قضايا كبرى وحروب مرتبطة بها، تركت في مهب صناع السياسات الخارجية المتقلبة بتقلب الادارات والحكومات، من دون أي رافعة فكرية أو ايديولوجية أو فلسفية تقيم بعض التوازن معها، فبدأ اختبار القيم التي نشأ عليها ووضعها على محك التجربة. ذلك الفراغ الفكري العام، قد يشكل إطاراً عاماً لجذب الشباب إلى خيارات قصوى (ولم لا عنفية) يبحثون عبرها ليس عن حلول ظرفية، وإنما عن قضية "نضالية" ومعنى أعمق لحياتهم.

---

[٢٨] Mark Kukis, "my heart became attached", the strange odyssey of John Walker Lindh, Brassey's Inc. 2003.

"داعش" المهجر الجديد

الأسئلة والفرضيات حول جاذبية "داعش" كثيرة ومتفرعة، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظروف المهاجرين ودوافعهم الذاتية والعامة، ما يمنع رسم خط واحد لهم يقدم إجابات شافية، سيما وأن هذا الميدان لا يزال وإلى مدى بعيد، حكراً على أجهزة الأمن فيما البيانات والمعلومات الموثقة غير متوافرة للباحثين والدارسين بالدرجة المطلوبة.

وإذا كان يمكن الحديث عن شقاق سني- شيعي دفع بلبنانيين (ويبلغ عددهم نحو ٩٠٠ بحسب "المركز الدولي للدراسات حول التطرف"[٢٩] وهو رقم ضخم مقارنة بعدد السكان) إلى الالتحاق بـ "داعش" و"النصرة" قبلها، ومظلومية سنية متجذرة وقائمة على عداء سياسي قديم للنظام السوري، فإن ذلك لا يصح على المنضمين الاردنيين مثلاً، حيث تلعب الهوية الوطنية (فلسطيني/ شرق أردني) وليس الهوية الطائفية الدور الأساس في شحذ تلك الهمم. أما في تونس، فقد كان المورّد الأول لمواطني هذه الدولة (ويفترض أنهم يبلغون نحو ٣ الآف) البحث عن حلم "الخلافة" بعيداً من علمانية مفرطة ومترافقة بقمع الهوية الدينية، محركاً دفيناً لشبان المناطق الداخلية المحرومة الذين لم تستوعبهم بيئة الثورة ولا بيئة حزب النهضة، الذي بدا لكثيرين منهم أكثر براغماتية مما يرغبون. وهي بالمناسبة الذريعة نفسها التي قدمها شبان فلسطينيون هجروا "حماس" إلى "داعش" لأنها بدورها لم تعد تكفيهم[٣٠].

وإلى ذلك، يقدم العراق، المنبت الاول للتنظيم، نموذجاً آخر عن تقاطع البيئة العشائرية برواسب البعث وفشل نموذج الحكم ما بعد صدام في خلق هوية وطنية جامعة، أو حتى مشروع مشترك يضم أطياف المجتمع العراقي، فجاءت العقلية الانتقامية المشبعة باضطهاد سابق لتعزز عبثية الحرب الاميركية وتضع نصب أعين العراقيين اضطهاد لاحق، تجسدت ذروته في معتقل أبو غريب، وتركت صوره جرحاً نازفاً في كبريائهم الجمعي.

هذا وتقدم البيئة السورية التي حضنت جزءاً من هذه الدولة، حالة أخرى تتشابك فيها البعثية بالعشائرية بجنوح مقاتلين محليين إلى تنظيم يقدم لهم انجازات ملموسة على أرض المعركة.

"الخصوصية" اللبنانية

يقدم لبنان نموذجاً فريداً وخاصاً جداً، حيث لا نزال نجهل عملياً الخط الرفيع الفاصل بين انضمام شبان إلى تنظيم "النصرة" أو "داعش" أو حتى إلى مجموعات جهادية موضعية تصعد في لحظة احتكاك ظرفي (صيدا/ طرابلس/ عرسال) ثم تذوب. فما يغلب هنا هو حالة التهويل الأمني والاعلامي الذي ينسب كل صاحب لحية إلى التنظيم الإسلامي الأخطر على الساحة وما يمكن أن ينتج عنه من استثمار سياسي.

[٢٩] http://icsr.info/2015/01/foreign-fighter-total-syriairaq-now-exceeds-20000-surpasses -afghanistan-/conflict-1980s

[٣٠] بديعة زيدان، "شعارات تجذب فلسطينيين لا تكفيهم حماس، أبو بكر الأنصاري نموذجاً"، صحيفة "الحياة"، ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ٢٠١٤.

وإذ لا تزال البيئة السنية اللبنانية أكثر ارتخاء من انتاج منظومة عنف ديني متماسك، تصب غالبية الحالات ضمن الخيار الفردي الباحث عن هوية أوسع. ولعل الجديد في لبنان هذا العام، هو انضمام شاب مسيحي ثان (ايلي الوراق) إلى "داعش" وذهابه للقتال في سورية، من دون المرور بمراحل متدرجة من التطرف. وكان الأول واسمه شارلي حداد من حي الزاهرية في طرابلس المتاخم للتبانة، قتل في سورية مطلع العام الجاري. كما أفيد عن شاب مسيحي آخر، تم تجنيده خلال دراسته في فرنسا، ليقدم هؤلاء الثلاثة نموذجاً "عربياً"، عما تعيشه المجتمعات الغربية مع شبانها الذين يقفزون بين ليلة وضحاها من كونهم مسيحيين غير متدينين بالضرورة الى أعضاء في أخطر تنظيم ارهابي.

ولعل الخصوصية اللبنانية في هذا السياق، تتخطى اختلاف البيئة السنية فيه عن غيرها من البيئات العربية، إلى أن مشكلة "المعتنقين الجدد للاسلام" غير واردة أًصلاً في غيره من البلدان المحيطة، حتى تلك التي تضم أقليات مسيحية مضطهدة. فلم نسمع في العراق مثلاً، وفي خضم ملاحقة أبناء الطوائف المسيحية، وحتى غداة تفجيرات الكنائس بحالة من هذا النوع. وصحيح أن هؤلاء الشباب يبقون حالة استثنائية وغير مرشحة لأن تصبح ظاهرة في لبنان، لأسباب كثيرة منها أن المسيحيين لم يكونوا ضحايا الحرب بقدر ما كانوا مشاركين ومؤثرين فيها، إلا انهم يستحقون التوقف عندهم لأنهم يختصرون حالة التشظي العام التي يعيشها البلد ككل. فهنا، حتى ضمن هذا البلد الصغير، لا سيرة واحدة للمنضمين الى "داعش"، إذ تجد الجندي المنشق (أول حالة: عاطف سعد الدين، أعلن انشقاقه وانضمامه إلى جبهة النصرة في أواسط ٢٠١٤)، والتائب عن الجنح والمخدرات أو فتوة الحي (حالات حي باب التبانة في طرابلس)، أو ذلك الذي استيقظت فيه هوية سنية مقابل هوية شيعية (الحالة الأبرز المغني التائب فضل شاكر)، وهناك من تم تجنيده في السجن (خلية رومية)، أو ضمن العائلة والمهجر الألماني والدنماركي خصوصاً (آل ديب)، ومن جاء إلى السلاح من حرمان اجتماعي أو من مقاعد الجامعة... علماً أن تلك كلها وإن شكلت لبنة أولى للبحث، لكنها كلها حالات ليست "داعشية" بالمعنى التنظيمي باستثناء آل ديب الذين تدرجوا بحسب الاجيال في مختلف التنظيمات بدءاً بوالد بعثي وصولاً الى حفيد "داعشي".

ويبدو أن الحالة الأخيرة للشاب المسيحي، تشبه إلى حد بعيد ما يوصف في علم النفس بـ "الأذى بالاستعارة" أو بالوكالة، وهي حين يتقمص الفرد حالة اضطهاد/ ظلم/ ألم تعيشها الجماعة وإن لم يكن ينتمي إليها. وتلك كانت حالة بعض البيض في نظام الفصل العنصري، حيث وصف سلوكهم ومعاناتهم ثم خيارهم السياسي بـ "الأسود".

لذا، وبالعودة إلى سلوك الشاب الاخير، الذي لا تدل سيرته على أي شظف خاص أو مظلومية ذاتية إلا تلك الناتجة عن ظلم يعيشه في منطقته، ومجاورته لبيئة سنية أوسع ترزح تحت الحرمان، والفقر والتهميش السياسي. وإلى ذلك، هي بيئة تتغذى من حرب متفجرة على تخومها، وظلم أوسع يلحق بامتدادها الجغرافي والعائلي والطائفي... أي الحرب السورية.

والحال أن خصوصية هؤلاء الشبان، تتخطى حالاتهم الفردية إلى خصوصية لبنان بشكل عام، حيث تصطدم قيم الحداثة والانفتاح الإجتماعي (وكان للطائفة المسيحية عموماً والإرساليات التي رافقتها خصوصاً الأثر الأكبر في تكوين سمات الشخصية اللبنانية) ببنية طائفية متجذرة. يأتي ذلك على خلفية فشل الدولة فشلاً تاماً ومتفجراً مع تأجيل النظر في تشظي هيكلية المؤسسات العامة إلى حين يأتي الحل من سورية نفسها.

ووسط هذه الفوضى العارمة، حيث الفراغ الرئاسي والشلل الحكومي لما يقارب السنة الثانية على التوالي، يصبح جنوح شبان إلى "داعش" أو غيرها تفصيل عابر ما لم يجد لنفسه معركة داخلية، وهي حتى الساعة لا يبدو أن عناصرها متوافرة. فحتى ما يجري في عرسال، هو أقرب إلى "جيب" من جيوب أمنية كثيرة يختلط فيها السلاح الأهلي، بالسلاح الحزبي فيضيع أي مبرر أو (علة وجود) "raison d'etre" لتنظيم مثل "داعش".

وعليه، وبين شاب باحث عن "يوتيوبيا" الخلافة، وآخر ذهب للانتقام الشخصي أو العام، يمكن توزيع الفئات الأخرى التي جذبتها "داعش" ضمن المجموعات التالية:

أ- السوريون في المناطق المحررة

عندما استولى تنظيم «داعش» على مناطق ومساحات شاسعة من سورية وقبلها العراق، وبسط سلطته على الاهالي، فارضاً ما يتوافق وفكره من قوانين وشروط حياة، واستقطب المقاتلين بالمال والسلاح، شاعت فكرة إن المجتمع السوري عموماً غير متشبع بالفكر المتطرف وأن تديّنه اجتماعي أكثر منه سياسي– نضالي.

وكان مما يستعان به من حجج لدعم هذه الفكرة، أنه لو كانت الكتائب المقاتلة التي أحرزت نتائج ملموسة على أرض المعركة ضد نظام الأسد أقل تديناً، أو قل حتى علمانية، لما تردد الرأي العام المحلي بدعمها والتماثل معها، حتى ذهب البعض إلى الاعتقاد أن ما يأتي بالمال المتطرف، قد يذهب بالمال الليبرالي.

وجاء الدفق المالي في وقت عانت كتائب "الجيش الحر" المعتدلة شحاً كبيراً في الموارد دفع عناصرها إما إلى رمي السلاح أو الارتماء في احضان مجموعات أكثر تطرفاً ك "النصرة" التي مهدت الطريق لـ "داعش".

لكن المفارقة أن "داعش" لم تأت بالمال والسلاح فقط، بل بالانجاز العسكري والتنظيمي والحلول الحقيقية التي قدمتها لحالة التسيب والفساد والفوضى وفائض السلطة التي كانت تعانيها المناطق المحررة، والتي اكتسبها التنظيم من سنوات عمله في العراق، ولكن أيضاً بالمحافظة على البنية المؤسساتية السابقة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر قطاعات حيوية مثل الكهرباء وجبايتها، وضخ المياه، وتشغيل السدود وابقاء الموظفين وزيادة رواتبهم... الخ. لذا، ليس التمركز الجغرافي في مناطق العشائر، من قبيل الصدفة المحضة سواء لجهة الحدود المفتوحة على عشائر العراق، أو لكون تلك البيئة نفسها حاضنة بعثية سابقة.

وإلى ذلك، تغذت "الداعشية السورية" من وضع نفسي وفكري يقوم بشكل أساسي على ظلم واضطهاد كبيرين لحقا بالطائفة السنية على يد حكم علوي أقلوي. ووجد ذلك الخطاب صدى كبيراً لدى جيل شاب ما عاد لديه الكثير ليخسره أصلاً، فيما ترده يومياً صور الفظاعات من ميدان الحرب والمعتقلات على السواء، في وقت لم تقدم له الخيارات السلمية أو الأقل عنفاً أي نتائج ملموسة، فانصب همه الأول على التخلص من نظام الاسد، مؤجلاً النظر في الشرور الأخرى.

ب- المهاجرون العرب

وجد المهاجرون من البلدان العربية والإسلامية عموماً، في نموذج "داعش" يوتوبيا "الخلافة" التي يطمحون إليها. فهم، بالإضافة إلى خوضهم حرباً مقدسة ضد الظلم، يقيمون عملياً وينشأون عائلاتهم في أول تجربة واقعية وملموسة لحكم الشريعة.

ذاك أن «داعش» جاءت بوعد وحلم يدغدغ خيال أي شاب مسلم... وهو إقامة الخلافة وما تعنيه من عدالة إلهية على الارض عوضاً عن حكم القوانين الوضعية التي اختبروها أسوأ اختبار في الأنظمة العلمانية (مثلاً تونس أو العراق) أو تلك التي عاشوا ازدواجيتها وتداخل الدين بالسياسة فيها (اليمن، الاردن، السعودية).

وفي غياب إمكانات اختبار أنظمة حكم مختلفة ومتعاقبة تخرج منها تلك المجتمعات بشيء من تراكم المعرفة السياسية، تبين أن الارتكان إلى الإسلام كفكر سياسي هو الأكثر ضمانة. فهو المنتج المحلي الوحيد الذي خرج من عمق الثقافة العربية وقدم إجابات وحلولاً وبرامج سياسية واقتصادية ناظمة للسكان، على أرضية مشتركة وهوية جامعة.

ج_ المهاجرون الغربيون

في فصل بعنوان "نداء الجهاد الاخير" من كتاب كوكيس نفسه، وخلال الأحداث الدموية لسجن مزار الشريف في أفغانستان، يلتقي ضابط أميركي ب "جون ووكر ليند"، من دون أن يعلم بعد أنه اميركي، لكنه يدرك أنه يتحدث الانكليزية. يصيح في وجهه ويسأله مراراً ماذا يفعل هنا؟ وإن كان يدرك إن المجموعات التي نتمي اليها هي في الواقع تنظيمات ارهابية قتلت مسلمين أكثر من غيرهم، ثم راح يصيح فيه أكثر ويسأله إن كان يقبل قتل مسلمين في بلدان أخرى كما جرى في ١١ ايلول. الصمت المطبق كان الإجابة الوحيدة التي نالها. وكان يمكن آنذاك لـ "ليند" أن يسلم نفسه ويتم ترحيله بصفته "مغرراً به"، لكنه بقي، ولبى نداء الجهاد الأخير. مثله كثيرون يلبون هذا النداء اليوم، ولا تزال لدى كثيرين منهم فرصة النجاة والعودة، لكنهم على ما يبدو، عند كل اختبار يتمسكون بخيارهم أكثر. فهؤلاء شباب وفتيات عاشوا قيم الغرب التي تقوم بشكل أساسي على الديموقراطية، وتداول السلطة، وحقوق الانسان، والحرية الفردية، وحرية المعتقد والمساواة وغير ذلك مما أنجزه الغرب عموماً لأبنائه، وأهمه إبعاد العنف عن ميدان المنافسة السياسية.

لكن لدى تطبيق تلك المبادئ على أرض الواقع، يصطدم هؤلاء بدرجة الزيف وازدواجية المعايير والاختلال القيمي/الأخلاقي فسرعان ما يصابون بالخذلان لا سيما إذا كانوا من أصول مهاجرة. فصحيح أن العنف لا يمارس في القضاء على خصم سياسي في بلدانهم، لكنه الوسيلة الاولى المتسخدمة من قبل حكوماتهم نفسها في التعامل مع الخارج. وعليه، تكرس ميزانيات من جيوب دافعي الضرائب لخوض حرب لاسقاط دكتاتور هناك، فيما تبرم التحالفات مع غيره هناك. وهكذا، ترتفع الاصوات المنادية بالحرية وحقوق الانسان والتغيير بالطرق السلمية، فيما لا يحظى المطالبون بها بأي دعم سياسي أو عسكري، ويتركون وحيدين في مواجهة آلة دمار شامل. إنه اصطدام القيم الحديثة ومسؤولية الأفراد في حمايتها والقدرة الفعلية على تطبيقها أو حتى فرضها على أجندة السياسات الخارجية.

وقد يعتقد كثيرون أن عنصر جذب المرأة للتنظيم يختلف عن جذب أقرانها من الذكور، وأن دورها يقتصر على أن تكون زوجة صالحة للمجاهد. لكن ذلك فيه الكثير من الاختزال لدور النساء وخيارهن الحر إلى حد بعيد في اعتماد هذا

المهجر "الداعشي". فثمة حالة "نسوية" ناشئة ضمن "داعش" نفسها تطلب من المرأة طبعاً أن تكون زوجة مطيعة وصالحة، لكنها أيضاً تجعلها مسؤولة مباشرة عن تنشئة جيل صغير (أو ما يسمى بلغة البعث/ الطلائع)، وتمنحها دوراً كبيراً في التجنيد، والدعاية الاعلامية، وفرض النظام الاجتماعي وتعميم النمط والسلوك عبر الشرطة النسائية وغيرها من مفاصل الحياة اليومية التي تتيح للمرأة دخول البيوت واقتحام حميميتها والتدخل فيها. لذا، عندما تكتب خديجة داير مثلاً على مدونتها "مهاجرة في الشام" محتفلة باعدام الصحافي الاميركي جيمس فولي، وتعبر عن رغبتها في أن تكون "أول امرأة تقطع رأس ارهابي اميركي أو بريطاني"، فذلك ليس لمجرد رغبة جامحة عندها بالقتل، بل لقناعة أنها كأي رجل في التنظيم، تخوض حرباً حقيقية وتسعى على طريقتها لإحلال تلك "اليوتوبيا".

لذا، وعلى رغم القواعد الصارمة في السلوك والفوارق الكثيرة بين الرجال والنساء، يبقى أن هؤلاء يشتركون إلى حد بعيد في انجذابهم إلى "داعش" لا لأسباب جندرية، بل نضالية. وسواء كانوا مهمشين في بلدانهم أو أبناء مهاجر فشلت في ادماجهم، أو معتقنون جداً للاسلام، أو حتى أطباء ومهندسون ناجحون نظرياً في الحياة، ثمة محرك داخلي مشترك يحملهم إلى تلك البلاد البعيدة عنهم، يختصره شعورهم العميق بأنهم تيقنوا من فشل الوسائل السلمية في تحقيق الأهداف الانسانية، فكرسوا ذواتهم لمهمة بطولية تقتضي احلال عدالة الله على الأرض بقوة الساعد والسيف. وأمام تلك المهمة النضالية الكبرى، يسهل اقتراف إعدام هنا، وخرق حقوق الإنسان هناك.

حالة الأردن

وائل علي البتيري

مقدمة

شكّل إعلان أمير "الدولة الإسلامية في العراق" أبو بكر البغدادي، في التاسع من أبريل/نيسان ٢٠١٣، دمج "جبهة النصرة" بدولته، وتدشين قيام "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (ما يُعرف إعلامياً بداعش)؛ لحظة فاصلة في علاقة "الدولة الإسلامية" بتنظيم القاعدة المركزي، حيث رفض أمير "النصرة" أبو محمد الجولاني قرار الدمج، معلناً بيعته الصريحة لأمير القاعدة أيمن الظواهري، الذي بدوره قرر إلغاء قرار البغدادي، ما أدى في النهاية إلى قطيعة تامة بين التنظيمين، حيث أصدر الناطق باسم "الدولة الإسلامية" في ١١ مايو/أيار ٢٠١٤ تسجيلاً بعنوان "عذراً أمير القاعدة" قال فيه إنه لا علاقة تنظيمية بين الدولة وبين القاعدة، مؤكداً أنه لا يسع الظواهري إذا وطئت قدماه العراق؛ إلا أن يبايع البغدادي.

هذا الانقسام أشعل معركة الاستقطاب بين الطرفين، وشقّ أفراد التيارات الجهادية إلى فريقين، فريق مؤيد لتنظيم القاعدة، وآخر مُوالٍ لـ"الدولة الإسلامية"، وامتد هذا الانقسام على خارطة العالم، ومنها المملكة الأردنية الهاشمية، التي يبلغ عدد السلفيين الجهاديين فيها حالياً؛ حوالي خمسة آلاف شخص، فيما خرج حوالي ألفا شخص من الأردن للقتال في سوريا منذ بدء الثورة في ١٥ مارس/آذار ٢٠١١، ٩٠ بالمئة منهم محسوبون على التيار السلفي الجهادي. بحسب القيادي في التيار محمد الشلبي، المعروف بأبي سياف المعاني[٣١].

أهم منظري وقيادات السلفية الجهادية في الأردن؛ انحازوا إلى جبهة النصرة، وعلى رأس هؤلاء: أبو محمد المقدسي، وأبو قتادة الفلسطيني، ولقمان ريالات، وأبو سياف المعاني. ووقف آخرون قريباً من "الدولة الإسلامية" إلا أنهم لم يعلنوا موقفهم بصراحة؛ على رأس هؤلاء: أبو بكر السرحان من المفرق، ومصطفى الصوريفي من السلط، ورشاد اشتيوي من مخيم البقعة، وأبو محمد الطحاوي من إربد. بحسب مصدر مقرب من التيار الجهادي في الأردن[٣٢].

فيما أعلن عمر مهدي زيدان (٤٣ عاماً)، أحد أشهر منظري السلفية الجهادية في إربد، تأييده لـ"الدولة الإسلامية" بلا مواربة، وسخّر نفسه للدفاع عنها، والتنظير لأدبياتها، والرد على مخالفيها، إلى أن نجح في التسلل إلى العراق في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٤، ليظهر لأول مرة في تسجيل بثته "الدولة الإسلامية" في ٣١ مارس/آذار ٢٠١٥ أثناء إلقائه كلمة في جمع من رجالات عشائر محافظة نينوى؛ قدموا لتجديد البيعة لأمير "الدولة" أبي بكر البغدادي.

ومن القيادات السلفية الجهادية المعروفة التي انضمت أيضاً لـ"الدولة الإسلامية"؛ د. سعد الحنيطي (٤٤ عاماً) الذي توجه إلى سوريا في أبريل/نيسان ٢٠١٤ للعمل على إجراء مصالحة بين جبهة النصرة وبين الدولة الإسلامية، وهناك

---

[٣١] مقابلة مع الشلبي بتاريخ ١١ يونيو/حزيران ٢٠١٥.

[٣٢] مقابلة مع مصدر مقرب من التيار السلفي الجهادي رفض الكشف عن اسمه، بتاريخ ٦ يونيو/حزيران ٢٠١٥.

قابل المسؤول الأمني في "الدولة الإسلامية" أبو علي الأنباري، ليخرج من عنده ساخطاً وواصفاً إياه بالتشدد والتوسع في التكفير، متوجهاً إلى جبهة النصرة التي احتضنته وعينته مسؤولاً لدار القضاء فيها، إلى جانب السعودي د. عبدالله المحيسني.

وما لبث الحنيطي أن اختلف مع أمير "النصرة" أبو محمد الجولاني، حول مهام القضاء، حيث كان هذا الأخير يطلب منه الالتزام بعدم إصدار أية بيانات حول الأحداث والنزاعات الواقعة بين الفصائل، إلا أن الحنيطي خالف أمر الجولاني أكثر من مرة، ليُصار إلى فصله عن دار القضاء، ما دفعه إلى ترك جبهة النصرة، والتوجه مجدداً إلى "الدولة الإسلامية" معلناً التحاقه بصفوفها في ١٦ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٤، ولم يظهر بعدها، ولا يُعلم أن "الدولة الإسلامية" قد منحته مركزاً قيادياً، بل إن هناك أنباء تتحدث عن وضعه فيما يُسمى بـ"دار الاستتابة"[٣٣].

وكانت "الدولة الإسلامية في العراق الشام" قد أعلنت في ٢٩ تموز ٢٠١٤ عن قيام دولة الخلافة الإسلامية، بعد سيطرتها على أجزاء كبيرة من سوريا والعراق، وأصدر العدناني تسجيلا بعنوان "إنه وعد الله" أكد فيه أنه تم إلغاء اسم "العراق والشام" من مسمى الدولة، وأن مقاتليها أزالوا الحدود التي وصفها بـ"الصنم"، وطالب المسلمين بمبايعة أبي بكر البغدادي، ودعا الجهاديين إلى حل تنظيماتهم والالتحاق بالخلافة.

الإعلان عن الخلافة، والدعوة المتكررة للهجرة إليها؛ أغرى المزيد من أبناء التيار السلفي الجهادي في الأردن، بمنح "الدولة الإسلامية" الولاء والطاعة. ولا توجد إحصائيات دقيقة حول نسبة سلفيي الأردن الذين انحازوا إلى هذا الطرف أو ذاك؛ إلا أن العديد من الإحداثيات تشير إلى أن النسبة الأكبر من التيار انحازت إلى "الدولة الإسلامية"، ومن هذه الإحداثيات ما قاله أبو محمد المقدسي من أن ما نسبته ٧٠ بالمئة من أبناء السلفية الجهادية بالزرقاء مؤيدون لدولة البغدادي[٣٤]. فيما قال مصدر مقرب من التيار إن أكثر من ٧٠ بالمئة من السلفيين الجهاديين في الأردن باتوا مؤيدين لـ"الدولة الإسلامية"[٣٥].

فما هي العوامل التي جذبت هذا الكم الهائل من السلفيين وغيرهم إلى الإعجاب بـ"الدولة الإسلامية"، لينتقل كثير منهم من مرحلة الإعجاب إلى مرحلة الولاء الكامل، أو "النفير" للانضمام إليها بالفعل، على الرغم من معرفة هؤلاء بأن وضع "لايك" على منشور يؤيد "الدولة الإسلامية" في أحد مواقع التواصل الاجتماعي؛ قد يتسبب بمحاكمتهم وحبسهم لسنوات؟!

حاولنا من خلال هذا البحث الذي يصلح أن يكون نواة لدراسة شاملة؛ أن نجيب على هذا السؤال، متناولين أربعة نماذج، أحدها شابٌ يعيش حالياً في "أرض الخلافة" كما يقول، والآخر شاب تعرض للسجن بسبب مناصرته للدولة الإسلامية، ليخرج من السجن مناصراً لها أيضاً، والثالث منظر شرعي لممارسات "الدولة الإسلامية" يقبع حالياً في أحد سجون الأردن، والرابع موظف في وزارة الأوقاف مؤيد لخلافة البغدادي.

---

[٣٣] مقابلة مع مصدر مقرب من جبهة النصرة رفض الكشف عن اسمه، بتاريخ ١ يونيو/حزيران ٢٠١٥.
[٣٤] مقابلة مع أبي محمد المقدسي، بتاريخ ٢ يونيو/حزيران ٢٠١٥.
[٣٥] مقابلة مع مصدر مقرب من التيار السلفي الجهادي رفض الكشف عن اسمه، بتاريخ ٦ يونيو/حزيران ٢٠١٥.

ولا بد من الإشارة هنا؛ إلى أن ثلاثة من الأشخاص الأربعة الذين حاورناهم؛ رفضوا الإفصاح عن أسمائهم الحقيقية، وتقديم معلومات شخصية متكاملة ربما تدل عليهم، خشية الملاحقة من قبل الأجهزة الأمنية. لذا اقتضى التنويه إلى ذلك.وأنبّه أيضاً إلى أنني في هذا البحث؛ إنما دوري هو استنباط عوامل جاذبية ما يسمى بـ"الدولة الإسلامية" من خلال أقوال النماذج المذكورة.

أبو البراء.. أردني مقيم في "أرض الخلافة"[٣٦]

وُلد أبو البراء (ع. ص.) في عام ١٩٩٣، ونشأ وترعرع في عائلة "ملتزمة جداً مع القرآن والسنة" كما يقول، ويصف نفسه بأنه منذ الصغر كان "ملتزماً وطالباً للحق". مالت عائلته إلى جماعة الإخوان المسلمين، وبحكم تأثره بوالده ووالدته وأشقائه؛ أحب الجماعة، معتقداً أنها "ستحكم يوماً بشرع الله، وتقيم لواء الإسلام"، يقول: "اقتربت كثيراً من جماعة الإخوان في أول سنوات جامعتي؛ لأنني أحب دين الله وأسعى لإقامته، لكنني حينها لم أكن أفقه شيئاً من أحكام الشريعة".

ويضيف: "أفراد الإخوان لطيفون، لكن أكثرهم جهلة في الدين، وأمراؤهم عندهم انحرافات، وبعض قادتهم عملاء للحكومة، إلا أنني لم أنتبه في البداية إلى هذا الجانب، فاقتربت منهم شيئاً فشيئاً؛ ظاناً أن طريقهم هي التي ستوصلني إلى الحياة في سبيل الله".

بعدما أنهى أبو البراء السنة الثانية من دراسته الجامعية؛ توجّه إلى طلب العلم الشرعي، فتعلم تلاوة القرآن "بإتقان" على يد أحد أفضل تلاميذ الشيخ الأردني محمود إدريس، الذي توفي بالزرقاء في ١٤ كانون الثاني/يناير ٢٠١٥. ثم أكبّ على قراءة كتب "عقيدة أهل السنة والجماعة"، كـ"كتب ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب، وأبي جعفر الطحاوي، وشروح ابن عثيمين وغيرهم من العلماء الأفاضل".

بدأ أبو البراء يقارن بين ما يقرأه في كتب علماء السلفية، وبين واقع الجماعات الإسلامية في الداخل والخارج، ليكتشف – بحسب ما يقول – أن "جماعة الإخوان قد انحرفت كل الانحراف، وترَكَتْ نهج حسن البنا، وسيد قطب، وبدأ الله نزع حب هذه الجماعة من قلبي شيئاً فشيئاً، فهي لم تعد تصلح لتحقيق الحلم الذي يداعبني على الدوام، وهو إقامة الدولة الإسلامية التي تحكم بالشريعة بدلاً من القوانين الوضعية".

من خلال القراءة والنظر؛ ترسخت قناعة لدى "أبو البراء" بأن "دولة الإسلام لن تقوم إلا بالقوة والقتال"، وبحكم قرب "الساحة الشامية" من بلده الأردن؛ بدأ يخطط للتوجه إلى سوريا بهدف "الجهاد وإقامة دولة إسلامية فيها"، ولأن الفصائل هناك كثيرة ومتعددة؛ اهتم بمعرفة مناهج تلك الفصائل ليحدد قبل "النفير" إلى أيها سينضم.

يقول أبو البراء: "بدأت أتابع الساحة الشامية، ووجدت أن جبهة النصرة وأحرار الشام كانتا تملكان مشاريع لإقامة دين الله في الأرض، ولكن بعد انشقاق الجولاني عن الدولة الإسلامية؛ تكشفت لي أمور كثيرة، وتبين لي أن هاتين

---

[٣٦] مراسلة بتاريخ ١٥ مايو/أيار ٢٠١٥.

الجماعتين تقومان على مناهج ورقية، فأحرار الشام انتكست بموالاتها الجيش الحر والمجالس العسكرية العميلة، والنصرة لحقت بالأحرار حيث لم تصمد أمام إغراء الدعم المالي المقدم لها".

وتابع: "أما دولة الإسلام؛ فما رضخت لمال ولا غيره، ومنهجها على الورق هو ذاته منهجها على الأرض، لذلك عاداها القاصي والداني، من السودان الفقير إلى أوباما كلب الروم، وهي أيضاً تطبق التوحيد الصحيح، وتعيد أمجاد الدولة النبوية المباركة بكتاب يهدي وسيف ينصر".

ومما ساعد على ترسخ قناعة أبي البراء بصدقية "الدولة الإسلامية" وصحة منهجها؛ ما وصفه بـ"التدفق غير العادي إليها من العجم والعرب، وتواصله مع أصدقائه الذين نفروا قبله إليها، بالإضافة إلى إعلام الدولة المدعم بالحقائق" كما يقول، ليصل في النهاية إلى "عين اليقين" بعد وصوله إلى "أراضي الخلافة" قبل عدة أشهر، وتأكده من صحة ما كان يسمع عنها، ويراه في إعلامها.

ترك أبو البراء دراسته في إحدى الجامعات الأردنية، حيث كان بينه وبين التخرج بدرجة البكالوريوس فصل دراسي واحد، ففضّل الهجرة إلى "الدولة الإسلامية"، و"الجهاد تحت رايتها"؛ على الشهادة الجامعية.

يقول: "وجدت أكثر مما كنت أحلم به في الدولة الإسلامية، فقد رأيت تطبيقاً إبداعياً لدولة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففي دولتنا تتجلى معاني المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، حيث إن نصف أفراد جيش الدولة من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، واختيار الأمراء لا يخضع للواسطة والمحسوبية، ولا أحد منزَّه عن المحاسبة والوقوف أمام القضاء، حتى ولو كان أمير الدولة، فشرع الله فوق الجميع، ومن يخطئ يحاسَب".

ويسترسل أبو البراء في حديثه عن حلمه الذي تحقق: "في دولتنا موظفون مدنيون كثيرون، ترعاهم الدولة وتمنحهم رواتب مجزية، وفيها مطاعم توزع الطعام على الفقراء يومياً، وفيها ديوان زكاة يكفل كل محتاج، ويأخذ حق الله في مال الأغنياء (الزكاة) ويمنحه للفقراء، وأينما تلفتّ في شوارعها فلا ترى مجاهرة بالمعاصي، حيث إن النساء محجبات، والدخان ممنوع، والمحلات تغلق وقت الصلاة".

ويضيف: "لا ضرائب فاحشة في دولة الخلافة، ولا جمارك على السيارات، والكهرباء والماء والدواء مجاناً لكل قاطني ديار الإسلام، وأي عملية جراحية تتكفل الدولة بمصاريفها، والحدود الشرعية تقام وفق سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين".

وأما المجاهدون؛ فإن الدولة الإسلامية تتكفل بمصروفهم الشخصي كما يقول أبو البراء، وتقدم لهم قروضاً حسنة عند الحاجة، بالإضافة إلى مصاريف زواجهم وإعالة أبنائهم.

كل ما سبق من شكل الدولة وممارساتها على أرض الواقع؛ رسخ ولاء أبي البراء للدولة الإسلامية، وجعل منه جندياً مستعداً لتقديم روحه من أجل أن تبقى وتتمدد، حتى إنه يرفض تركها والعودة إلى بلاده الأردن؛ إلا أن يكون "فاتحاً لها، لتنضم إلى دولة الإسلام التي تحمل الخير للجميع" على حد تعبيره.

وكان لمتابعة أبي البراء إصدارات "الدولة الإسلامية" المصورة "أثر جيد" في إعجابه بها، فهو يرى أن هذه الإصدارات "على صعيد المنهج؛ مدعمة بدليل شرعي صحيح، أما على الصعيد الفني؛ فهي مصورة وممنتجة ومخرجة باحترافية عالية جداً".

لكنه يؤكد أن إعلام "الخلافة" ليس هو السبب الرئيس لانجذابه لها، ويلخص أهم العوامل التي جعلته ينجذب إلى "الدولة الإسلامية" في نقطتين: "الأولى تطبيقها شرع الله، والثانية جمعها بين التوكل على الله، وبين الإعداد الاحترافي على الصعيدين العسكري والمدني".

أبو دجانة.. مع "الدولة الإسلامية" رغم الاعتقال[٣٧]

حينما بدأ أبو دجانة (أ. ك.) يتابع إصدارات تنظيم القاعدة في عام ٢٠١١؛ لم يكن ملتزماً بالصلاة آنذاك، وإنما كان شاباً "طائشاً، لا يملك هدفاً سامياً في الحياة" كما يقول هو عن نفسه.كان يمكث لساعات طويلة على الإنترنت، ويتابع مقاطع الفيديو على موقع "يوتيوب"، لتلفت انتباهه إصدارات الجهاديين، ويُعجب بأولئك الشباب الذين يظهرون في أفلامهم المسجلة، وهم "يُقْبلون على الموت، ويقاتلون بشراسة"، وخصوصاً أبناء "الدولة الإسلامية" في العراق، "الذين كانوا وما زالوا رأس الحربة في الدفاع عن السنة ضد الشيعة" كما يقول.

ويبين أبو دجانة البالغ من العمر ٢٣ عاماً، أنه كان يتابع باهتمام معاناة السنة في العراق؛ بسبب اضطهاد مَن يسميهم بـ"الرافضة"، ويستذكر مقطعاً تسجيلياً أثّر فيه كثيراً، وأرّقه الليالي الطوال، تظهر فيه "ثلة من نساء تنظيم الدولة في الأنبار، يقتادهن جنود عراقيون إلى بغداد"، ويقول إنه بعد أن شاهد هذا المقطع أصبح مستعداً لأن يؤيد أية جماعة تثأر للسنة، وتنتقم من النظام العراقي "الطائفي"، وهذا بالفعل ما "قامت به الدولة الإسلامية، التي تقاتل الرافضة حالياً في العراق وسوريا واليمن".

واصل أبو دجانة متابعته لكل جديد ينتجه الجهاديون، ودفعه إعجابه بهم إلى البحث عن أفراد ينتمون إلى التيار الجهادي، ليصحبهم ويصبح واحداً منهم، ويتبادل معهم ما يصدر عن المؤسسات الجهادية من إصدارات وبيانات.

يقول: "تأثرت كثيراً بكتابات همام البلوي (أبو دجانة الخراساني) منفذ عملية خوست الشهيرة، الذي خصص العديد من مقالاته للدفاع عن الدولة الإسلامية في العراق، قبل أن تقع الفرقة بينها وبين القاعدة، وكنت أتابع بشغف حسابات لجهاديين على (تويتر) تحول أكثرهم إلى مناصرين للدولة الإسلامية، ومناهضين للقاعدة، كالنذير العريان، وخنساء الموحدة، وابن الصديقة (أبو معاوية القحطاني)، وتركي البنعلي".

بعد وقوع الانقسام بين تنظيم الدولة وبين جبهة النصرة (القاعدة في بلاد الشام)؛ بات "أبو دجانة" في حيرة من أمره، وشعر بغمة شديدة في نفسه "لوقوع الخلاف بين إخوة المنهج الواحد"، فأخذ يتابع حثيثاً أخبار هذا الانقسام، وما ينشره الفريقان من بيانات وشهادات ومقاطع تسجيلية، بهدف حسم موقفه والاصطفاف إلى جانب أحد الفريقين،

[٣٧] مقابلة بتاريخ ٢٨ مايو/أيار ٢٠١٥.

ليصل في النهاية إلى أن "الحق مع الدولة الإسلامية"، وأن الجولاني ما هو إلا "منشق عن جماعته، وخارج عن طاعة أميره البغدادي".

ومما توصل إليه أيضاً؛ أن "الدولة الإسلامية" هي الممثل الحقيقي لتنظيم القاعدة الذي كان يقوده أسامة بن لادن، فهو يرى أن "القاعدة" تغيرت بعد مقتل هذا الأخير، حيث وقعت في "انحرافات شرعية، كموالاة الفصائل العلمانية، بالإضافة إلى كونها لا تملك مشروعاً مبلوراً لإقامة دولة إسلامية، على عكس ما كان يطمح إليه ابن لادن، وإنما تكتفي بالعمل النكائي".

وشكل إعلان الناطق باسم تنظيم الدولة "أبو محمد العدناني" قيام "الخلافة الإسلامية" في ٢٩ يوليو/تموز ٢٠١٤ لحظة فارقة بالنسبة لأبي دجانة، فقد تيقن بأن قرارَه مَنْحَ تنظيم الدولة ولاءه كان صائباً، إذ "أصبح هذا التنظيم دولة بالفعل، تمتد على مساحة شاسعة من الأرض، ولها جيش واقتصاد ومؤسسات قائمة بذاتها".

ويبين "أبو حذيفة" أنه لم يأبه باستناد معارضي "الدولة" من الجماعات الإسلامية في رفضهم لخلافة البغدادي؛ إلى كونه مجهولاً أو شخصية غير معروفة، أو أنه ربما يكون ميتاً أصلاً؛ إلا أن ظهور "أمير المؤمنين" في ٥ يوليو/تموز ٢٠١٤، وهو يخطب الجمعة في أحد مساجد الموصل؛ كان له أثر كبير في "تثبيته على الحق"، و"دحض حجج المخالفين" كما يقول، ولا يخفي إعجابه بـ"الكاريزما" التي ظهر فيها "الخليفة"، من حيث أناقة اللباس، وأسلوبه في الخطابة، وإتقانه تلاوة القرآن والصلاة، وهي "صفات لا يضاهيه فيها حالياً أي رئيس عربي"، على حد قوله.

ويؤكد "أبو دجانة" أن أكثر ما كان يرسخ قناعته بـ"الدولة الإسلامية"؛ اكتشافه أكاذيب الآخرين عليها، فهو حينما كان يسمع أن أفراد "الدولة" ارتكبوا مجزرة في حق المدنيين، أو اغتصبوا نساء المخالفين لهم من الفصائل المقاتلة في سوريا؛ سارع إلى الإنترنت للبحث والتنقيب في مواقع التواصل الاجتماعي، ومتابعة مقاطع التسجيل التي تتحدث عن هذه الاتهامات، ليكتشف في النهاية أنها "افتراءات لا أصل لها، أو أن جنود الخلافة قتلوا أناساً يستحقون القتل، كأن يكونوا متحالفين مع النظام النصيري، أو عملاء للنظام السعودي ولو بشكل غير مباشر، كجيش الإسلام الذي يقوده زهران علوش".

ولا يخفي "أبو دجانة" تأثره بالماكينة الإعلامية التي تملكها "دولة الخلافة"، والتي يرى أنها "شكلت نقلة نوعية للتيارات الجهادية منذ نشوئها، وفاقت كثيراً من المؤسسات الغربية من حيث الإخراج والمونتاج"، مؤكداً أن "كل إصدار جديد لدولة الخلافة أو لإحدى ولاياتها؛ يجذب كثيراً من المقتنعين الجدد بأنها دولة الحق التي يجب أن تبقى وتسود".

في أوائل العام الحالي؛ اعتقل أبو دجانة على يد المخابرات الأردنية، ومكث في سجونها عشرات الأيام؛ إلا أن ذلك لم يؤثر في ولائه لـ"الدولة الإسلامية"، بل إنه يؤكد أن مناصري "دولة الخلافة" في الأردن يتزايدون ليس فقط في صفوف الملتزمين دينياً، وإنما في كل طبقات المجتمع، إلا أن "القبضة الأمنية تدفع كثيراً من مناصري الدولة الإسلامية إلى إخفاء التزامهم، والابتعاد عن مظاهر التدين كاللحية وغيرها، ما يجعل منهم خلايا نائمة غير معروفة لدى الأجهزة الأمنية".

أحمد بوادي: من السلفية المحافظة إلى مدافع عن "الدولة الإسلامية"

كان أحمد بوادي "أبو داود السافري" (٥٠ عاماً) أحد التلاميذ المقربين للشيخ علي الحلبي الذي يُعد منظر السلفية المحافظة، التي تتميز بعلاقات جيدة مع الأجهزة الأمنية والنظام في الأردن. إلا أنه فارق شيخه الحلبي، بعد أن اكتشف انحرافات سلوكية ومنهجية وعقدية لدى شيوخ السلفية المحافظة، كما يقول[٣٨]، منتقلاً إلى السلفية الإصلاحية، ومنها إلى الجهادية، ليصبح بعد إعلان الخلافة الإسلامية، أحد أهم المنظرين الشرعيين المؤيدين لها في الأردن، الأمر الذي كلّفه اعتقالاً في يناير/كانون الثاني من العام الحالي، ليتم تحويله إلى محكمة أمن الدولة العسكرية بتهمة الترويج لأفكار "جماعة إرهابية"، ويُحكم عليه قبل في مطلع شهر يناير/حزيران الحالي بالسجن لمدة سنتين.

يتحدث بوادي عن المقومات الذاتية لـ"الدولة الإسلامية"، التي جعلته يحامي عنها في وجه خصومها، فيقول في مقالته[٣٩]: "البرهان على أن (باقية) لا تخالف عقيدة الإيمان"، إن الدولة الإسلامية "ما قامت إلا لنصرة المستضعفين، ومناصرة المؤمنين، وإقامة الدين، ومعاداة المشركين، وعقد الولاء والبراء لرب العالمين".

ويضيف: "ما قامت الدولة الإسلامية إلا على أشلاء المجاهدين من الأنصار والمهاجرين، الذين ما خرجوا ولا قاتلوا إلا من أجل إعلاء الدين، ولا نقول هذا إلا ظنا منا، واعتقادا بما رأيناه من أقوالها وأفعالها، التي نصرت الدين، وحاربت الروافض والمشركين".

ويقول في مقالته "قتلتهم بصمتها": "إنها الدولة التي لا تداهن ولا تحابي.. إنها الدولة التي خذلها أبناؤها، وحاربها أعداؤها.. إنها الدولة التي تجردت من كل التبعيات، ولم تدِنْ لأحد إلا إلى رب الأرباب (...) إنها الدولة المظلومة التي ما فتئت تقاتل بصمت، بينما خصومها شغلوا العالم بفقاقيعهم (...) إنها الدولة الإسلامية في العراق والشام.. إنها دولة الخلافة الإسلامية بإذن الله".

ويواصل بوادي تعداد هذه "المناقب" التي جذبته وغيره إلى موالاة "الدولة الإسلامية"، فيقول في مقالته "الفروق الجلية بين داعش وبين الدولة الإسلامية": "إنها الدولة التي ما ضرها من خالفها ولا من خذلها.. إنها الدولة التي حكّمت شرع رب العالمين.. إنها دولة الدعوة إلى التوحيد الخالص.. إنها الدولة التي قامت على الإسلام، وعلى الكتاب والسنة ونهج سلف الأمة (...) إنها دولة العز والتمكين بإذن رب العالمين (...) إنها الدولة التي تقاتل على الأرض وتحمي الدين والعرض (...) إنها الدولة الإسلامية التي تسير إلى غايتها، لا يوقفها أحد من الغوغاء".

ويشير إلى تحقق حلمه الذي طالما تمنى رؤيته على أرض الواقع، بـ"تحطيم" الحدود التي رسمها المستعمر بين الدول الإسلامية، فهو يرى أن دولة البغدادي قد أسقطت "سياج الذل (سايكس وبيكو)"، فأصبحت "الأمة جسداً واحداً، وأمة واحدة، وبنياناً واحداً، وغدت دماؤها واحدة، وأموالها واحدة، وحاكمها واحداً، ودولتها واحدة".

وفي معرض رده على من يقول بأن بيعة البغدادي باطلة لأنه لا قدرة له على حماية المسلمين، ولا القيام بواجباتهم؛ يقرر أن "الدولة الإسلامية" قامت بـ"هدم الأسوار، وفك الأسرى، وإقامة المحاكم، وإرجاع الحقوق إلى أهلها، وفرض أحكام

---

[٣٨] مقابلة بتاريخ ١٣ آذار/مارس ٢٠٠٨.

[٣٩] هذا النقل وبقية النقولات التي ستأتي بعدُ مستقاة من مدونة أحمد بوادي http://ahmadbawadi.blogspot.com/.

الزكاة والجزية، وإيجاد الشرطة بين المسلمين لحمايتهم وحفظ حقوقهم، وتأمين الطعام والشراب، وتمديد الكهرباء، وإيصال المياه، وتمديدات الصرف الصحي..." وغيرها من الخدمات.

ويقول في مقالة أخرى: "مشروع الخلافة أقام دين الله وشرعه، وقد غدا الأمن والأمان يعم ربوع كل المناطق التي تسيطر عليها الدولة الإسلامية (...) إنه مشروع أمة غدا يسيطر على مساحة تفوق بريطانيا (...) ويهاجر إليها المسلمون من شتى بقاع الأرض"، مضيفا في مقالة ثالثة: "الأمنيات وقعت، والأحلام تحققت، فقد رجعت دولة الخلافة، وكسرت الحدود، ورفعت رايات التوحيد، ونكّست رايات التنديد".

ويستدل على صحة منهج "الدولة الإسلامية" بمعاداة الآخرين لها، وبما يراه انحرافاتٍ لدى الفصائل الأخرى، ويبرئ "الدولة الإسلامية" من أمثال تلك الانحرافات، يقول في المقالة ذاتها: "لو نظرنا إلى من يحارب الدولة الإسلامية، ويكيد لها، ويثير حولها الشبهات، ويؤلب عليها، ويبذل قصارى جهده لشق صفها وكسر شوكتها وتحريض الجماعات الأخرى ضدها؛ فإننا نرى أنه لا يحاربها لشيء إلا لصفاء ونقاء وصحة منهجها، ولذلك لا تجد هذا العداء من ملة الكفر ومن والاهم لغيرها من الجماعات كما هو لها، كما أن الناظر لغيرها من الجماعات؛ يرى أن منهجهم مشوب بأجندات وإملاءات وتبعات مشبوهة، لا ترتقي لصفاء منهجها وعقيدتها التي تنهله من منبعها الأصلي بما كان عليه سلف الأمة في قرونها الخيرية".

وكان للموروث الفقهي دور كبير في اقتناع بوادي بصحة منهج "الدولة الإسلامية"، وتأييده قيامها، فهو ينقل عن الفقهاء إجماعهم على "وجوب عقد الإمامة، وعلى أن الأمة يجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشّريعة الّتي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يخرج عن هذا الإجماع من يُعتدّ بخلافه، مع حرمة البيعة لخليفتين في آن واحد".

وينقل في مقالته التي عنونها بـ"هل تعجل البغدادي في إعلان قيام الدولة الإسلامية في العراق والشام؟"، أقوال بعض الفقهاء والمفسرين في وجوب "نصب إمام وخليفة يُسمع له ويُطاع"، ليخلص إلى القول بمشروعية الإعلان عن قيام "الدولة الإسلامية" وتمددها، ووجوب مناصرتها ومؤازرتها، واصفاً محاربتها بـ"قمة الغدر والخذلان والنكوص".

ويستشهد بوادي بحديث منسوب إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ يقول فيه: "الشام صفوة الله من بلاده، يجتبي إليها صفوته من خلقه"، مشيراً إلى هجرة المسلمين من جنسيات مختلفة إلى "أرض الخلافة"، ليرى في توافدهم بالآلاف دليلاً على صحة منهجها، وسداد طريقها، فيقول في المقالة ذاتها: "ويكفيك من ذلك أن آلاف المهاجرين، وهم من خيرة المسلمين نحسبهم، قد التحقوا بها، وهذه بشرى للدولة، إذ أن الله اجتباهم إلى الشام وانضموا إليها.. تلك الصفوة التي نحسب أنها من خير خلقه".

أبو عبدالرحمن: موظف "الأوقاف" الذي يناصر "الدولة"[٤٠]

يستحضر أبو عبدالرحمن (ع. ب.) حال الأمة الإسلامية "البئيس" بعد الحرب العالمية الأولى التي كان من نتائجها – كما يقول – هزيمة آخر تجمع إسلامي مبني على العقيدة، وإعلان مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة في ٣ مارس/آذار ١٩٢٤، حيث "أصبح المسلمون في غياب وعي من شدة الصدمة، إلى أن بدأت الحركات الإسلامية في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي تفيق من صدمتها بعد أربع سنوات، وتبحث في قضية إحياء الخلافة، أو إقامة دولة تكون نواة للخلافة القادمة التي تعيد للأمة الإسلامية مجدها وعزها".

عاش أبو عبدالرحمن المولود في عام ١٩٥٣ مأساة ما يسمى بـ"نكسة حزيران" في عام ١٩٦٧ التي هُزمت فيها جيوش مصر وسوريا والأردن على يد دولة الاحتلال الإسرائيلي، وهاجر من الضفة الغربية إلى عمّان مع والده الذي لقنه مراراً أن "هزيمة العرب التي كانت سبباً في تهجير الفلسطينيين؛ لم تكن لتقع لولا إلغاء الخلافة التي كان يهاب الأعداء جنابها، ويحسبون ألف حسابٍ لقوة جيشها".

ترسخت هذه الفكرة في عقل أبي عبدالرحمن، وملكت عليه وجدانه وجوارحه، فأخذ يبحث عن الجماعة التي تحمل مشروع إعادة الخلافة الإسلامية في الأرض لينضم إليها، فكان أن انتسب إلى جماعة الإخوان المسلمين، ثم أخذ يتنقل من جماعة إسلامية إلى أخرى، يبحث عن الجماعة الأكثر حرصاً وجدة في إقامة دولة إسلامية على منهاج النبوة، ليصبح اليوم أحد المنافحين عن "الدولة الإسلامية" وأميرها أبي بكر البغدادي.

يقول: "قامت حركات إسلامية بمحاولات عملية لتطبيق الشريعة، أو إيجاد دولة إسلامية، كما حصل في السودان وليبيا وأفغانستان، بالإضافة إلى تجربة الرئيس العراقي الراحل صدام حسين الذي كان يقول في سنوات حكمه الأخيرة إنه يسعى لإقامة دولة إسلامية، ولكن هذه المحاولات سُحقت وضُربت من القوى العالمية المختلفة.. واليوم أعلن تنظيم الدولة الإسلامية إقامة الخلافة بعد تمدده إلى الأراضي السورية، وإلغائه حدود سايكس بيكو، وهذا هو اليوم الذي كنت أتمنى أن لا أموت قبل أن أراه واقعاً، وقد رأيته على أيدي رجال الدولة الإسلامية".

ولكن أبا عبدالرحمن الذي ما زال يعيش في عمّان، ويعمل موظفاً لدى وزارة الأوقاف الأردنية؛ لا يخفي أن مشاعره اضطربت حينما سمع الناطق باسم "الدولة الإسلامية" أبو محمد العدناني يعلن إقامة الخلافة الإسلامية، وإلغاء الحدود التي صنعها المستعمر. يقول: "حينها؛ تشتت فكري بين تصديق الحدث والفرحة به من جهة، وبين التشكيك بمدى قدرة هذه الدولة على البقاء، ولكنني أزداد قناعة كل يوم أنها بالفعل دولة الخلافة التي انتظرتها عشرات السنين".

ويضيف أن تطبيق "الدولة الإسلامية" للأحكام الشرعية، والمعلومات التي تصله من أصدقائه ومعارفه الذين يعيشون في ظلها، حول العدالة في توزيع الثروة، وحسن تعاملها مع رعيتها، حتى السجناء منهم؛ من العوامل المهمة التي جذبته أكثر وأكثر لـ"الدولة الإسلامية".

[٤٠] مقابلة بتاريخ ٢٣ مايو/أيار ٢٠١٥.

ويرفض أبو عبدالرحمن الاتهامات التي تقول إن "الدولة الإسلامية" تنفذ مخططات أمريكية، أو إسرائيلية، أو إيرانية، أو خليجية، مؤكدا أن التهم التي يروجها الإعلام الغربي والعربي زادته قناعة بـ"صدقهم وأحقيتهم؛ لأن هذا الإعلام مبني في الأساس على الكذب والعداء لجميع العاملين للإسلام".

ويضيف: "ازدياد حجم العداء العالمي للدولة الإسلامية، وخصوصاً من قبل أمريكا، يزيد قناعتي بأن أفرادها صادقون، وأن هذا الكيان هو الذي يستحق الولاء والطاعة، وبذل المهج والأرواح في سبيل الحفاظ عليه".

ويشير أبو عبدالرحمن إلى أن القوة العسكرية التي تتمتع بها "الدولة الإسلامية" تمنحه "أملاً في بقائها وقدرتها على صد العدوان على بيضتها"، مشيرا إلى تجربة الرئيس المصري المعزول محمد مرسي الذي أفرزتها "ثورات الربيع العربي السلمية"، حيث يرى أنه "فشل في إقامة دولة تحكم بالشريعة لعدم امتلاكه السلطان العسكري، أما الدولة الإسلامية فمعها سلطان القوة من جهة، وسلطان المال من جهة أخرى، والثبات والتوسع الدائمين منذ أن وجدت وإلى الآن، فهي نواة دولة الخلافة الأولى، وستبقى وتتمدد بإذن الله" على حد قوله.

نتائج البحث

من خلال استعراض التجارب السابقة؛ نخلص إلى القول بأن هناك عوامل خارجية، وأخرى داخلية ذاتية، ساهمت في جذب الأشخاص إلى الإعجاب أو الانضمام لـ"الدولة الإسلامية"، نلخصها بلغة أنصارها في الآتي:

أ- عوامل خارجية

- وجود قناعة مسبقة بأن دولة الإسلام لن تقوم إلا بالقوة، وترسخت هذه القناعة بعد "إفشال" ثورات الربيع العربي.
- الاضطهاد الطائفي لأهل السنة، وخصوصاً ما يتعلق باعتقال نسائهم، والاعتداء عليهن.
- إفراط الإعلام المناهض لـ"الدولة الإسلامية" في الافتراء عليها، مما زاد ثقة المتابعين – الذين يسهل عليهم اكتشاف هذه الافتراءات؛ بصحة منهجها – وبوجوب الانضمام إليها.
- معاداة الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب لـ"الدولة الإسلامية"، لما لأمريكا من كراهية في نفوس العرب والمسلمين؛ جراء دعمها الاحتلال الإسرائيلي، واحتلالها العراق وأفغانستان.
- الأحاديث النبوية التي تحدثت عن فضل بلاد الشام، وأن الله "يجتبي إليها صفوته من خلقه"، وإسقاط هذه الأحاديث على حالة "الدولة الإسلامية" التي يتوافد إليها أعداد كبيرة من جنسيات مختلفة للعيش في كنفها.
- الموروث الفقهي الإسلامي الذي يوجب إقامة دولة واحدة للمسلمين، وانقياد الأمة لإمام عادل يحكم فيها بشرع الله.

– عدم تلبية أنظمة العالمين العربي والإسلامي لأمنيات الطامحين من شعوبها بهزيمة الاحتلال الإسرائيلي وقوى الاستعمار الغربي، ما جعلهم يعلّقون آمالهم على "الدولة الإسلامية" التي تمتلك قوة عسكرية هائلة.

ب– عوامل داخلية (ذاتية)

– عدم رضوخ "الدولة الإسلامية" للإغراءات المادية بهدف كسب ولائها من قبل دول عربية أو غربية، في الوقت الذي تتلقى فيه بقية الفصائل دعماً مالياً مشروطاً، وترهن قراراتها بموافقة أنظمة عربية أو غربية.

– تطبيقها أحكام الشريعة الإسلامية، والحدود المنصوص عليها في القرآن والسنة، ومنع أية مظاهر تخالف الشرع.

– عدم وجود محسوبية أو واسطات في "الدولة الإسلامية"، ولا أحد منزه عن الوقوف أمام القضاء حتى لو كان "أمير المؤمنين".

– اكتمال أركان الدولة، كالمؤسسات المدنية، والاقتصاد، والجيش، والقضاء.

– تأسيس ديوان للزكاة، يأخذ من أموال الأغنياء ليمنحها الفقراء.

– عدم إلزام الرعية بدفع ضرائب فاحشة في "الدولة الإسلامية"، وإلغاء الجمارك على السيارات.

– مجّانية الكهرباء والماء والدواء في "الدولة الإسلامية"، وتأمين إجراء العمليات الجراحية.

– تكفُّل "الدولة" بالمصروف الشخصي للمجاهدين، وتقديمها قروضاً حسنة لهم عند الحاجة، بالإضافة إلى مصاريف زواجهم، وإعالة أبنائهم.

– جمع "الدولة" بين عقيدة التوكل على الله، وبين الإعداد الاحترافي على الصعيدين العسكري والمدني.

– امتلاكها مشروع إقامة دولة إسلامية متكاملة بقوة السلاح، ما يحقق حلم الجهاديين وغيرهم من الملتزمين، في حين يركز تنظيم القاعدة على القتال النكائي، وتختط جماعة الإخوان وغيرها من جماعات الإسلام السياسي النهج السلمي في التغيير.

– تمدُّدها على مساحات واسعة، وعجز الأنظمة القائمة وتحالف الدول الغربية والعربية عن إيقاف هذا التمدّد.

– إزالتها حدود "سايكس بيكو" بين العراق وسوريا، مما أثار عواطف المتعطشين إلى وحدة العالم الإسلامي.

– حسن تعامل "الدولة الإسلامية" مع رعيتها، وحرصها على تأمين احتياجاتهم.

– قوة إعلام "الدولة الإسلامية" وكثافته، والاحترافية العالية التي يتميز به من ناحية الإخراج والإنتاج، وسعيه الحثيث لدحض جميع الافتراءات والشبهات التي تثار حول "الدولة".



الحالة السعودية

عبدالله المالكي

يقال بأن السعوديين هم أوفر الناس حظا في العلاقة بتنظيم داعش، بل تذهب بعض التقارير الأجنبية إلى أن التنظيم ما هو إلا صناعة سعودية لمواجهة التمدد الإيراني، وتغفل مثل هذه التقارير أن السعودية قد دخلت في معركة شرسة سنة ٢٠٠٣ مع تنظيم القاعدة والذي كان الأم لتنظيم داعش، وتعرضت السعودية على إثرها هجمات إرهابية عديدة لم تتوقف تقريبا إلا على حدود ٢٠٠٧. كما تغفل هذه التقارير أن أكثر ضحايا التنظيم هم من السنة وليس الشيعة أو إيران، وتغفل أيضا أن الدولة السعودية في نظر داعش هي (رأس الأفعى) بحسب الوصف الذي أطلقه الخليفة أبو بكر البغدادي. السعودية بالنسبة للتنظيم لا تقل خطرا عن إيران أو عن أي دولة أخرى في العالم، بل قد تكون هي الدولة الأولى التي يجب إسقاطها أو على الأقل زعزعة الاستقرار فيها، لأجل ضمان تحقيق مشروع الخلافة. داعش تعتقد أنه يجب استهداف السعودية بوصفها المنافس الحقيقي للمرجعية السلفية الوهابية التي تمثل الخلفية الفكرية لداعش ولقياداته الشرعية.

هناك تفسيرات نعتقد بأنها مبالغة في تصوير الارتباط الوثيق بين نمط التدين في السعوديين والخلفية الفكرية لتنظيم داعش، والحقيقة أن هذا الرؤية تتضمن كثيرا من التسطيح والتزييف الذي سيمثل عائقا في فهم سر جاذبية التنظيم في المجتمع السعودي. لقد شاهدنا بوضوح ظهور ما يشبه الإجماع العام من كل أطياف المجتمع السعودي في التنديد والاستنكار والغضب والقلق والخوف بعد العمليات التي نفذها داعش في المنطقة الشرقية. وعلى رأس أولئك المنددين والمستنكرين رموز التيار السلفي الوهابي، الذين يعتقد بأن خلفيتهم الدينية قريبة بل قد تكون مطابقة لذات الخلفية الدينية التي ينطلق منها داعش. من يعيش في داخل السعودية ويختلط بالمجتمع يجد صعوبة شديدة في تقبل الفكرة التي تقول بأن داعش هي امتداد لهذا المجتمع الذي قد تشرب حزمة ليست بالقليلة من عناصر الحداثة والانفتاح ومظاهر التغريب نتيجة للوضع الاقتصادي.

في آخر استطلاع قامت مؤسسة ركين، بالتعاون مع صحيفة التقرير في شهر اكتوبر لعام ٢٠١٤، عبر عن ٧٣% من الشريحة المستهدفة والمتنوعة عن رفضهم للتحالف الدولي لضرب داعش، لكن بالرغم من رفض هذا الشريحة للتحالف وللضربة، عبر ٢٠% فقط عن انحيازهم لداعش في هذه المعركة. والبقية فضلوا الحياد أو إعلان الرفض لمشروع التنظيم.

لكن بالرغم من رفض هذه التفسيرات المبالغة في ربط داعش السعودية من الناحية الرسمية أو الاجتماعية أو الفكرية، إلا أنه لابد من الاعتراف بأن هناك بالفعل جاذبية لتنظيم داعش داخل المجتمع السعودي. فأين تكمن هذه الجاذبية؟ وما سرها؟

سر جاذبية داعش في السعودية

باعتقادنا، أن جاذبية التنظيم في الحالة السعودية، تكمن في كونه يحاكي ذات السردية التي قامت عليها الدولة السعودية الأولى، وبالأخص الثالثة في بداية القرن الماضي. ومن خلال استعراض هذه الرواية والوقوف على وقائعها وأحداثها والتحديات التي مرت بها. سيجد الباحث نفسه وكأنه يقرأ عن نشأة تنظيم الدولة الإسلامية بصورة رجعية. أقصد رجعية من حيث الزمن.

بعد فتور وضعف تعرضت له الحركة الوهابية، إثر سقوط الإمارة السعودية الثانية وسيطرة آل الرشيد –الحليف التاريخي للدولة العثمانية– على منطقة نجد، سنة (١٣٠٨هـ – ١٨٩١م)، فقدت الدعوة الوهابية السلطة السياسة الداعمة والمناصرة، التي تمكنها من استمرار النفوذ والهيمنة وبسط المذهب بين عموم الناس.

ولكن تجدد أمل علماء الدعوة من جديد، حين انبرى أحد أحفاد الأمير فيصل بن تركي، وهو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، لكي يعيد بناء سلطة العائلة الحاكمة، مع أوائل القرن العشرين. ولإدراكه الأهمية الأيديولوجية للمذهب الحنبلي الوهابي، فقد سارع الملك عبد العزيز، إلى تجديد التحالف التاريخي، الذي ربط أسلافه من الأسرة بعلماء الدعوة وأتباعها، وقد تم التعبير عن هذه الرابطة عبر إحياء الصفقة التاريخية التوافقية بين السلطة السياسية والسلطة الدينية بلغة المصاهرة؛ إذْ تزوج الملك عبد العزيز من ابنة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، شيخ علماء المذهب[٤١] الوهابي حينها.

وقد عبر الملك عبد العزيز عن هذا التحالف بقولته الشهيرة: **"ما هو بخافيكم (بخافٍ عليكم) أولا نشأة هذا الأمر وتقويمه من الله، ثم أسباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأوائلنا رحمهم الله تعالى، وما جرى على المسلمين من اختلاف ولايتهم مرارا، وكلما اختلف الأمر وشارف على نقض دين الله وإطفاء نوره، أبى الله فأخرج من الحمولتين** (آل سعود وآل الشيخ) **من يقوم بذلك[٤٢]"**.

لقد حشد علماء الوهابية، كل إمكاناتهم الرمزية والروحية، لمباركة ودعم النهج السياسي للملك عبد العزيز، وللوقوف معه بكل إخلاص في بناء الدولة، عبر التهيئة الدينية الشعبية والتحريض للقتال معه، في مقابل توظيف الملك كل إمكاناته السلطوية في سبيل تمكين شركائه الأوفياء من فرض خطابهم الديني ونشره بين الناس.

وقد كتب الشيخ القاضي عبد الله العنقري (ت١٣٧٣هـ)، وهو من أبرز علماء الوهابية حينها[٤٣]، أنه **"قد منّ الله على المسلمين بولاية عادلة دينية، وهي ولاية إمام المسلمين عبد العزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، ما زالت رايته منصورة، وجنود الباطل بصولته مكسورة مدحورة، أقام الله به أود الشريعة، وأزال به الأفعال المنكرة الشنيعة[٤٤]"**.

---

[٤١] علماء الإسلام– تاريخ وبنية المؤسسة الدينية السعودية، محمد نبيل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: ص (١٥٣).

[٤٢] لسراة الليل هتف الصباح، عبدالعزيز التويجري: ص (٥٢٠).

[٤٣] أبرز علماء الوهابية، الذين كان لهم دور نشط في لحظة تأسيس الدولة السعودية الثالثة، هم: عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، ومحمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، وسعد بن عتيق، وعبد الله العنقري، وسليمان بن سحمان، وعبد الله بن سليم.

[٤٤] الدرر السنية: (٨/٤٧).

وكتب الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت١٣٦٧هـ) موعظة قال فيها: "**... فاذكروا يا إخواني نعمة الإسلام، وما منّ الله به عليكم من الانتقال، من عوائد الآباء والأجداد وسوالفهم، التي خالفوا في أكثرها ما جاء في الكتاب والسنة، واشكروه أيضا، على منَّ الله به في هذا الزمان، من ولاية هذا الإمام (الملك عبدالعزيز، الذي أسبغ الله عليكم على يديه من النعم العظيمة، ودفع به عنكم من النقم الكثيرة... فالذي يطلب الأمور على الكمال، وأن تكون على سيرة الخلفاء، فهو طالب محالا، فاسمعوا وأطيعوا، وراعوا حقه وولايته عليكم... فوالله ثم والله، إنا لا نعلم على وجه الأرض شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، شخصا أحق وأولى بالإمامة منه، ونعتقد صحة إمامته وثبوتها، لأن إمامته إمامة المسلمين، وولايته ولاية دينية**[٤٥]".

ولم يتوقف الأمر عند تكريس مبدأ الطاعة للملك، وإنما امتدّ إلى التحريض على الجهاد وحثّ النفوس على الاستشهاد وبذل النفوس في تحقيق هدفه المنشود. يقول الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ: "**فالله الله، في المبادرة والمسارعة، فإن الله يحب من عباده، أن يسارعوا إلى ما أمرهم الله به، وإذا استنفر الإمام الرعية، كان الجهاد فرض عين على كل من أقدره الله عليه... فاسمعوا وأطيعوا لمن ولاّه الله أمركم، وأجيبوه إلى ما دعاكم إليه من الجهاد... وعليكم بالجد والاجتهاد، ومساعدة إمام المسلمين على قتال أعداء الملة والدين**[٤٦]"؛ "**أعني به البطل الهمام، والشجاع المقدام، قائد جموع أهل الإسلام، الإمام: عبدالعزيز بن الإمام عبدالرحمن آل فيصل، حفظه الله وأطال بقاءه، فإذا دعاكم أيها المسلمون إلى الجهاد والنفير، فاسمعوا وأطيعوا، واحذروا أن تكونوا كالذين قالوا سمعنا وعصينا، فإن القيام معه ونصرته من الواجبات الدينية، لأنا لا نعلم أحدا على وجه الأرض اليوم، شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، تجب طاعته، ويجب الجهاد معه أولى منه**[٤٧]"، "**وترك الجهاد من الإلقاء باليد إلى التهلكة، قال تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}** (البقرة: ١٩٥)[٤٨]"، "**فلا يتخلف عن الجهاد إذا دعي إليه، إلا منافق معلوم النفاق، فالحذر الحذر، من الإصغاء والالتفات إلى المخذلين والمثبطين، وما يلقونه من الشكوك والريب، وإساءة الظن بأهل الدعوة الإسلامية**[٤٩]".

كما كتب الشيخ القاضي عبدالله العنقري: "**وبالجملة، ففضائله كثيرة لا تحصى (أي الملك عبدالعزيز)، وعدّ ما منّ الله به على يده على أهل نجد غزير لا يستقصى، وقد تعيّن على المسلمين وجوب الجهاد معه، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا استنفرتم فانفروا)، يعني استنفر الإمام رعيته، وجب عليهم النفير إلى الجهاد معه بأموالهم وأنفسهم؛ لأنه يجاهد عن حوزة الدين، وعورات المسلمين، ويحوطهم من كل من رامهم بسوء من الكفار المعتدين**[٥٠]".

هذه الخطابات الدينية المحرّضة للطاعة وللجهاد بشكل ملحّ، كانت تخفي وراءها إشكالية (سياسية/ عسكرية) يشعر بها الملك عبد العزيز، وعلماء الوهابية من ورائه، وهي أن حاضرة نجد، بطبيعة استقرارهم، الاجتماعي والاقتصادي، قد

[٤٥] نفسه: (١٠٥/٩).
[٤٦] نفسه: (٣٠/٨).
[٤٧] نفسه: (٢٩/٨).
[٤٨] نفسه: (٣٠/٨).
[٤٩] نفسه: (٢٨/٨).
[٥٠] نفسه: (٤٧/٨).

عافت نفوسهم الغزو والقتال الذي ينشب دائما بين القبائل البدوية طمعا في الغنائم أو النهب كمصدر رئيس للعيش ولاستمرار الحياة. أما أهل المدن الذين قد انخرطوا في الزراعة والتجارة والصناعة، فلم يكن دافع القتال والغزو ملحًا عليهم، إلا إذا اقتضت الضرورة للدفاع عن النفس أو المال.

نعم، كان من بين الحضر مقاتلون أشداء، ويخرجون مع الأمير إلى الغزو إذا اقتضت الحاجة والضرورة، ولكن عادة ما يكون ذلك مؤقتًا ولغرض محدّد، ثم لا يلبثون أن يعودوا بعده إلى حواضرهم ويستقروا فيها، وقد شاركوا بالفعل مع الملك عبد العزيز في بداية معاركه لطرد الأتراك من حواضر نجد، ومع خروج الأتراك واعترافهم بخسارتهم للمدن الواحدة تلو الأخرى، اكتفى السكان بموالاة عبد العزيز، والاستعداد للدفاع عن أنفسهم، في شكل حامية عسكرية محلية[٥١]، ولم تكن لديهم نية جازمة في التوسع والامتداد والذهاب بعيدا إلى أكثر من مناطق حواضرهم.

ولكن مع اتساع مسرح عمليات عبد العزيز وابتعادها عن الرياض والمدن الموالية له، أصبح من الواضح أن القوة العسكرية التي استطاع من خلالها السيطرة على نجد، لم تعد تناسب الغزوات والعمليات العسكرية التي أعدّها وخطط لتنفيذها في أجزاء بعيدة من شبه الجزيرة العربية، وبالرغم من إخلاص السكان الحضر وولائهم لعبد العزيز، لم يكونوا على استعداد كامل لترك حقولهم، وتجارتهم ومصانعهم، من أجل القتال في تلك المناطق البعيدة من شبه الجزيرة العربية. نعم استعدّ بعضهم، وانخرط بالوقوف بجانب الملك لتحقيق مشروعه، ولكنهم ليسوا بتلك القوة الضاربة والكافية لتلبي طموح الملك[٥٢].

كان الملك بحاجة إلى قوة عسكرية، تتصف بخفة الحركة، وبالشجاعة الباسلة، وبالزهد والإيمان العميق بالمشروع. كان البدو، هم المصدر البشري الوحيد والمتاح أمامه، ولكن تجربة أسلافه من الأمراء السعوديين مع البدو لم تكن حسنة، حيث إن هؤلاء ما تركوا فترة من فترات التأزم والتوتر في عهد الإمارات السعودية السابقة، إلا وتمردوا ضدها وتحالفوا مع خصومها لتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب[٥٣]، إضافة إلى موقف المؤسسة الوهابية منذ القرن التاسع عشر، التي كانت لا ترى في البدو سوى تجمعات بشرية، خارجة عن الإسلام، ومتمردة عن تعاليمه، وأنّه يجب إنقاذها من الخسران في الدارين[٥٤].

من هنا، برزت أهمية فكرة توطين قبائل البدو، وإعادة تأهيلها دينيا وسياسيا وعسكريا، وإدماجها في الحياة الحضرية وفي مشروع الدولة، وابتداءً من سنة (١٣٣٠– ١٩١٢م)، أقامت السلطات عدة مستوطنات مبنية من الطين، حول منابع الماء، أطلق عليها اسم الهجر (جمع هجرة)، من أجل توطين القبائل البدوية فيها، واختيار مفردة (هجرة) لتسمية تلك المستوطنات، له دلالة رمزية؛ حيث يستدعي في المخيال الإسلامي، شعيرة الهجرة الدينية، والتي يكون فيها الانتقال من حياة الكفر ومجاله والالتحاق للعيش حيث يطبّق الدين الحق[٥٥].

---

[٥١] انظر: الإخوان السعوديون في عقدين، جون حبيب، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض: ص (٤٦– ٤٧).

[٥٢] الإخوان السعوديون في عقدين: ص (٤٦– ٤٧).

[٥٣] وتذكر بعض المصادر التاريخية، أن قبائل نجد والحجاز، التي كانت موالية بالأساس للدولة السعودية الأولى، تخلّت عن الوهابية، وتحالفت مع إبراهيم باشا، قائد الحملة العثمانية، وقامت بتوجيهها عبر الصحراء إلى أن وصلت إلى أسوار الدرعية. انظر: العربية السعودية، جون فلبي: ص (١٤٠).

[٥٤] وسبق هذا في المبحث الثالث، وانظر أيضا: الدرر السنية: (٩/٢٣٨).

[٥٥] علماء الإسلام: ص (١٥٩).

ولقد تم ما بين عامي ١٩١٢ و ١٩٢٦، إنشاء المئات من الهجر، وتوطين نحو مائة وخمسين ألفا من البدو فيها[٥٦]، ترافق مع هذا التوطين –وبدعم غير مشروط من الملك عبد العزيز– قيام علماء الوهابية بالانخراط في عملية جادة وكثيفة لغرس الأفكار الدينية، حيث تم إرسال دعاة دينيين يسمون بـ (المطاوعة)، مكلفين بتعليم أبناء القبائل قواعد الدين (الحق)، وتبني الحنبلية الوهابية واستبطان رؤيتها للعالم؛ كما قام العلماء بإجراء زيارات عديدة وكثيرة لمختلف أماكن التوطين بغية الإشراف والتأكد من عملية التعليم والتهيئة الدينية.

ولأجل عملية التعبئة للجهاد والقتال، تم استدعاء المفاهيم الوهابية، التي كانت قد تبلورت أثناء التحديات السياسية التي رافقت تأسيس الدولة السعودية الأولى: كالتكفير، والجهاد، والولاء والبراء، وذلك لأجل التمييز ثقافيا وجغرافيا، بين مجتمعات الدين الحق ومجتمعات الدين الباطل. فعلى سبيل المثال، "كان العالم حسن بن حسين آل الشيخ (ت١٣٣٩) المساهم بنشاط في بناء هجرة الأرطاوية، وهي واحدة من أهم وأكبر الهجرة في البلاد، قد كتب رسالة، استعاد فيها كل تلك الأفكار التي تبنتها الوهابية في القرن التاسع عشر، إذ حرّم كل اتصال سلمي مع أراضي الكفار وساكنيها، وخصّ بالذكر جنوب العراق والكويت، وأنه لا اتصال معهم إلا في ميدان القتال في إطار الجهاد[٥٧]".

واعتبر الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، أن آل الرشيد وأنصارهم كفّار مرتدون؛ لأنهم طلبوا العون العسكري والمالي من (المشركين العثمانيين)، ولهذا لا يكفي الحكم بتكفيرهم فحسب، بل يجب قتالهم أيضا في إطار الجهاد في سبيل الله: "**ومن يعرف كفر الدولة (العثمانية) ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين، لم يعرف معنى لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أن الدولة (العثمانية) مسلمون، فهو أشدّ وأعظم، وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله أو أشرك به، ومن جرّهم أو أعانهم على المسلمين بأي إعانة، فهي ردّة صريحة**[٥٨]"، وأكّد أن "**هؤلاء الذين قاموا في عداوة أهل التوحيد، واستنصروا بالكفار عليكم، وأدخلوهم إلى بلاد نجد، وعادوا أهل التوحيد وأهله أشدّ العداوة، وهم (الرشيد) ومن انضمَّ إليهم من أعوانهم لا يشك في كفرهم، ووجوب قتالهم على المسلمين، إلا من لم يشمَّ روائح الدين، أو صاحب نفاق، أو شك في هذه الدعوة الإسلامية**[٥٩]".

كما أصدر مجموعة من علماء الوهابية، فتوى بتكفير الأشخاص الذين يدعون إلى ولاية الشريف على الحجاز، وجاء فيها: "**فهؤلاء لاشك في ردتهم والحال ما ذكر، لأنهم دعاة إلى الدخول تحت ولاية المشركين، فيجب على جميع المسلمين جهادهم، وقتالهم، وكذلك من آواهم ونصرهم، فحكمه حكمهم**[٦٠]".

بل قرّر الشيخ سليمان بن سحيمان، وهو أحد كبار العلماء وقتها، بأن منْ هم تحت ولاية الملك عبد العزيز؛ الأصل فيهم أنهم مسلمون، بخلاف من هم ليسوا تحت ولايته، فالأصل فيهم أنهم ليسوا على الإسلام، يقول: "**من في جزيرة العرب لا نعلم ما هم عليه جميعهم، بل الظاهر أن غالبهم وأكثرهم ليسوا على الإسلام! فلا نحكم على جميعهم بالكفر، لاحتمال أن يكون فيهم مسلم، وأما من كان في ولاية إمام المسلمين [أي نجد وما حولها]،**

---

[٥٦] نفسه : ص (١٥٩).

[٥٧] مخطوطة يحتفظ بها الباحث الدكتور محمد ملين، انظر: علماء الإسلام: ص (١٦٠).

[٥٨] الدرر السنية: (٤٢٩/١٠).

[٥٩] نفسه: (٨٣/٩).

[٦٠] نفسه: (٢١١/٩).

فالغالب على أكثرهم الإسلام، لقيامهم بشرائع الإسلام الظاهرة... وأما من لم يكن في ولاية إمام المسلمين، فلا ندري بجميع أحوالهم وما هم عليه، لكن الغالب على أكثرهم ما ذكرناه أولا، من عدم الإسلام[٦١]".

هذه الأدبيات العقائدية، وقبلها الأدبيات السابقة لعلماء الدعوة، في مرحلة الدولة السعودية الأولى، والثانية، كانت هي المغذية لعقلية (الإخوان) المقاتلة. لقد نتج عن هذه التهيئة التثقيفية والتعبئة العقائدية الجهادية، أن تحولت القبائل البدوية خلال بضع سنين إلى السلفية الوهابية، بعد عقود من العداء وعدم الثقة والارتياح، وقد كان من أكبر دلائل هذا النجاح، هو إنشاء جيش عقائدي من البدو الموطّنين، أصبح يعرف باسم (الإخوان)، وسيساهمون بفعالية في عملية توحيد مناطق الجزيرة العربية تحت سلطان الملك عبد العزيز[٦٢].

لقد استفاد عبد العزيز، من خياله وجرأته، بأن غيّر البدو تغييرا جوهريا، خلال سنوات قلائل، ليحولهم إلى قوة خفيفة الحركة، تستطيع أن تجوب شبه الجزيرة العربية، بطولها وعرضها، كما جعل من البدو قوة مستقرة يمكن وضعها في مكان بعينه، إذا ما أراد لها ذلك، فعل عبد العزيز ذلك بدون جعجعة أو جلبة، إلى أن ظهرت هذه القوة على المسرح العربي، لأول مرة، جاهزة ومتشوقة لقتال، تحت اسم حركة (الإخوان)[٦٣].

وقد بدأ المسرح الدولي حينها، ممثلا في الحكومة البريطانية والعثمانية، يستشعر بخطورة هذه الحركة السرية التي أسسها الملك عبد العزيز، وقد كتب الشريف حسين ١٩١٨ إلى القائم بعمل المندوب البريطاني في جدة، يناشده قائلا: "... ومن ثمّ، فإن ما يقلقني قبل أي شيء آخر، هو أن صاحب جلالة الملك [البريطاني]، ينبغي أن يجبر الأمير [عبد العزيز]، على إلغاء وتسريح، ذلك التنظيم الذي يطلق عليه اسم (الإخوان)، تلك الجمعية السياسية التي ترتدي عباءة الدين[٦٤]".

ويحتفظ مكتب السجلات العامة البريطاني، بتقرير كتبه ديكسون في اليوم الثاني من شهر سبتمبر/ أيلول من العام ١٩٢٩، عندما كان مندوبا سياسيا في الكويت، حيث كتب يقول في ذلك الوقت: "الإخوان تأسست من ناحية أخرى على يدي ابن سعود، لتخوض له معاركه، وتنتصر فيها باسم الدين... ونظرا لأنهم كانوا إخوانا وتستعر داخلهم جذوة الدين، فقد أصبحوا بحق لا يقهرون، ويمكن تشبيههم بمدرعات كروميل، أو قوات العاصفة الألمانية[٦٥]".

كما يحتفظ مكتب السجلات البريطانية لوزارة الخارجية، بتقرير مطول كتبه الرحالة جون فليبي، عن حركة الإخوان، وكان وقتها المسؤول البريطاني على المكتب السياسي ببغداد، ومما قال فيه: "وخلاصة القول هو، أن هدف ابن سعود من تقوية وإنشاء حركة الإخوان، هو زيادة قوته العسكرية، باستخدام أكبر عدد من رعاياه، حتى يمكن له تعويض الضعف الذي يكمن في الدولة البدوية وفي الجيش البدوي، والاقتصاد في موارده عن طريق إحلال الأمل في ثوب الآخرة محل الاعتبارات الارتزاقية[٦٦]".

---

[٦١] منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، سليمان بن سحمان، مكتبة الفرقان، عجمان: ص (٧٩).

[٦٢] علماء الإسلام: ص (١٦٠).

[٦٣] الإخوان السعوديون في عقدين: ص (٤٧).

[٦٤] نفسه: ص (٥٣).

[٦٥] نفسه: ص (٥٧).

[٦٦] نفسه: ص (٦٠).

كما استنتج ريجنالد وينجات، المندوب السامي البريطاني في مصر، في تقرير كتبه سنة ١٩١٨، أن حركة الإخوان البدوية، جمعية سرية مغلقة، ذات طابع عقائدي وقتالي، ومما جاء فيه: "وليس لدي معلومات كافية عن قوة الإخوان وأهدافهم، حتى أتمكن من تقدير مدى تخوُّف الملك حسين من نفوذ الإخوان حق قدره، ولكني تعلمت من تجربتي في السودان، مدى الخطر الذي يشكّله تنظيم سرّي تحت عباءة الدين بين سكّان غير متحضرين، ففي وقت الشدة يلجأ مثل هذا المسلم إلى الدين، مثلما يلجأ بعض أفراد الدول النصرانية إلى المشرب الروحي، ويكون ذلك المسلم أيضا أكثر تعرضا لالتقاط الشرارة الأولى، من شرر التشدد الذي يتحول إلى حريق إذا ما أذكاه زعيمٌ غير حصيف، أو مضلل يستحيل السيطرة عليه، بأي حال من الأحوال[٦٧]".

وفي العام نفسه، كتب أحد الموظفين في وزارة الخارجية بلندن، الملاحظة التالية: "إن تقييم الملك حسين لحركة الإخوان تقييم صحيح، وسوف تكون هذه الجمعية معادية للحضارة في منطقة ما بين الرافدين وفي سوريا[٦٨]".

وفي اليوم الثاني عشر، من شهر مايو/ أيار، لعام ١٩١٨، وصف الضابط السياسي البريطاني في بغداد، حركة الإخوان بأنها: "حركة اشتراكية، بمعنى أن الأغنياء يتعين عليهم أن يقتسموا بضاعتهم وسلعهم مع الناس[٦٩]". وفي أواخر عام ١٩٢٤، وصفت إحدى الصحف الأوروبية، حركة الإخوان بأنها: "حركة الإخوان الشيوعية تقريبا[٧٠]".

لقد قال الملك عبد العزيز مرةً للرحّال البريطاني جون فليبي: "إنه يكفي أن أصدر النداء، ليهبَّ للقتال تحت رايتي ألوف، من بيشة إلى نجران، ومن رنية إلى تثليث، ليس فيهم من لا يحب الموت في سبيل العقيدة، وكلهم يؤمنون بأن الفرار من الزحف يدخلهم النار[٧١]".

نحن إذن، أمام جيش عسكري عقائدي، يشبه إلى حدّ ما، ما كان يعرف في العصور الأوربية الوسطى بـ (فرسان المعبد)؛ أي الأشخاص العقائديين الذي تفرغوا للقتال المقدس، وانقطعوا عن كل ملذات الحياة. إذْ "م تكن حياة البدو البائسة، تسمح لهم إلا بالقليل جدا من المباهج والملذات، ولم تكن هناك غرابة في أن يسعى البدو إلى الاستشهاد في ميدان القتال لكي يضمنوا لأنفسهم مكانا في الجنة[٧٢]".

وبما أن الإخوان، اضطروا إلى بيع إبلهم وأغنامهم، المصدر الرئيس لحياتهم الاقتصادية، فقد صاروا يعتمدون إلى حدّ بعيد، إلى الإعانات التي كانوا يحصلون عليها من (بيت المال)، وتلك الإعانات الحكومية لم تكن نظير البطالة، وإنما هي أجر لتحقيق متطلب مهم من متطلبات الدولة، وهو الاستعداد العسكري والتعبئة الفورية، وتعرف هذه الإعانات بـ (العطايا)، وكان تصرف للشيوخ وأمراء القبائل وفرسانها وعموم المقيمين في المستوطنات (الهجر)، وكانت أسماؤهم مسجلة في ديوان الملك، تعرض عليه بشكل دوري، ويحدد فيها مقدار العطية والهبة لكل فئة.

[٦٧] نفسه: ص (٦٣).
[٦٨] نفسه: ص (٦٣).
[٦٩] نفسه: ص (٦٣).
[٧٠] نفسه: ص (٦٦).
[٧١] السعوديون والحل الإسلامي، محمد جلال كشك: ص (٣٩٥).
[٧٢] الإخوان السعوديون في عقدين: ص (٩٣).

لقد أصبح الإخوان، بعد سنوات قليلة، يشكلون نوعا من أنواع الطبقة المتميزة في الدولة الجديدة، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم، أوصياء على أمن الدولة وعلى أخلاقها، وقد ولَّدت قوتهم السياسية والعسكرية المتزايدة بين صفوفهم شكلا من أشكال الغطرسة والتفوق الطبقي، الذي بدأ ينافس بل يتفوق أحيانا، طبقة الجماعات الأخرى مثل العلماء وأعيان المدن والقرى[٧٣].

إضافةً إلى ما كان يتصف به الإخوان من التشدد، والحَرْفية في تطبيق المبادئ الوهابية، وعدم وجود الحلّ الوسط في ذهنيتهم، الأمر الذي تجلى في تنفيذ الأحكام القاسية على كل من يقصّر أو يتهاون في تطبيق السلوك الديني القويم[٧٤]، كالتأخير في الحضور للصلاة، أو ممارسة بعض السلوكيات المحرّمة في نظر الوهابية، كالدخان والغناء وحلق اللحية وإسبال الثوب، أو عدم التزام المرأة بالحشمة ونحو ذلك، حيث كان يتم التعامل مع هذه (الانحرافات) بالضرب أو الجلد أو السجن.

وقد تصل العقوبة إلى القتل أحيانًا، إذا ظهر من المخالف ما يعتقد الإخوان بأنه ردة وكفر. إضافة إلى اعتقادهم بأنهم مسلمون، فثروة الكفّار المحيطين بهم، حلال وغنائم لهم.

ويبدو أن تشدد الإخوان، وتسلطهم على السكان، توسع وأصبح ظاهرة ملفتة، إلى الدرجة التي بدأت الحكومة البريطانية، والمتواجدة في أطراف المنطقة، ترصد ظاهرة ما تسميه في تقاريرها بـ(الهداية القسرية)، التي كان يمارسها الإخوان، ضد عامة المسلمين. فعلى سبيل المثال، رفع المفوّض البريطاني في الكويت هارولد ديكسون مذكرة يصف فيها الموقف على النحو التالي: "كانت الهداية القسرية إلى عهد قريب جدا أداة من أدوات الإيمان بين الإخوان، ومن المؤكد أن أداوتهم هي التي أحدثت تبرما بين أهل الحجاز والبلاد المجاورة[٧٥]".

وكتب النقيب جارلند بأن هناك اعترضا شديدا "على الأساليب الوحشية التي يلجأ الإخوان إليها، لتنفيذ الهداية القسرية ومعاقبة المخطئين، أكثر من الاعتراض على مبادئ المذهب نفسه، وليس هناك من شك في أن البدو أنفسهم [الذين لم ينضموا إلى الإخوان] كان يتم ترويعهم بطريقة منظمة من خلال عملية الهداية القسرية، وأن ممارسة الهداية القسرية ومعاقبة المخطئين كانا يصلان إلى حدّ الموت[٧٦]".

"لقد أصبح واضحا لعبد العزيز، أن الإخوان خرجوا عن السيطرة، وأصبحوا متغطرسين[٧٧]"، ويستخدمون السلطة في فرض الشريعة بالقوة دون أخذ الإذن منه، خصوصا بعد إنجازاتهم العسكرية المبهرة، في إسقاط إمارة الشريف بالحجاز، وإمارة آل الرشيد بحائل، وإخماد بعض التمردات والانشقاقات التي كانت تحصل في الجنوب الغربي من الجزيرة، فكانوا دائما يعزون هذه الانتصارات لقوتهم وتضحياتهم وشدة بسالتهم في القتال.

وفي مثل هذا الوضع، من الطبيعي أن تذهب الأمور، إلى الاختلاف والتوتر والنزاع بين تنظيم الإخوان والسلطات المركزية في الإمارة، وقد بدأ الإخوان بالفعل يتذمرون من الملك شخصيا، وينكرون عليه سياساته الحديثة التي كان الواقع

[٧٣] نفسه: ص (٩٠).
[٧٤] الدرر السنية: (٨٢/٨)، (١٤٤/٩ و ١٧٣).
[٧٥] الإخوان السعوديون في عقدين: ص (٨٢).
[٧٦] نفسه: ص (٨٣).
[٧٧] نفسه: ص (٨٠).

الجديد يفرضها عليه، كمسألة الحدود الجغرافية السياسية للدولة، حيث كان الملك حريصا على إنجازها من خلال اتصالاته وتفاهماته مع الحكومة البريطانية، التي كانت مهيمنة على المناطق المجاورة حينها... ولكن الإخوان يعتقدون بأن الدين الحق لا ينبغي أن يُحدّ بجغرافيا معينة تسمى الدولة، بل سلطة الدين القويم والعقيدة الصحيحة يجب أن تمتد وتتسع جغرافيا بحسب القدرة على القتال، ولهذا استمروا في الجهاد ضد البدو والمناطق المجاورة في جنوب العراق والكويت والأردن، يفرضون عليهم الجزية، ويغنمون منهم، بدون أخذ الأذن من الملك.

ويضاف إلى ذلك، إنكارهم استعمال الحكومة لبعض المخترعات الحديثة، كالتلغراف، والتليفون، والسيارة، والدراجة، والساعة ونحو ذلك، وبعضهم كان يعتقد بأنها قد تكون نوعا من السحر المحرّم[٧٨].

إضافة إلى انخراطهم في تطبيق الشريعة على الناس في بعض المناطق، بصرامة وقسوة، وإنْ ترتب عليها الاعتداء على السكان، كما حكموا بالردة والكفر على كثير من رعايا الملك ممن دخلوا تحت دولته، علما بأنهم كانوا ينطلقون في ذلك من كتابات وفتاوى علماء الوهابية، قديما وحديثا، كما سبق معنا.

عندها اضطر كبار علماء الوهابية أن يتدخلوا، وقد أعلنوا سلفا تحالفهم وتضامنهم المطلق مع الملك ومباركتهم لدولته الحديثة، والتي رأوها امتدادا طبيعيا لحالة التعاقد بين (الأمير والشيخ). لقد كان تدخلهم حازما وسريعا، حتى لا تنفلت الأمور أكثر من اللازم، حيث وجدوا أنفسهم لأول مرة أمام تمرّد ديني من داخل مجتمع الدعوة، من الأتباع الذين كانوا قد تتلمذوا على تعاليمهم وقاتلوا معهم ضد (الكفار والمشركين) وساهموا في إقامة دولة التوحيد، فكان لا بدَّ من فرض السلطة المركزية في إدارة المعنى الديني وتفسير التعاليم الوهابية، حتى لا تكون متاحة لكل من هبّ ودب، فالعلماء الكبار (من ذرية محمد بن عبد الوهاب أو من أتباعه المشهورين والمعترف بهم) هم المالكون الحقيقيون لإصدار التعاليم والفتاوى، ولا سبيل للنجاة في الدارين إلا باتباع تعاليمهم وتنفيذ أوامرهم؛ "**فمن زهد في الأخذ عنهم، ولم يقبل ما نقلوه، فقد زهد في ميراث سيّد المرسلين، واعتاض عنه بأقوال الجاهلين الخابطين، الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة**[٧٩]"؛ إذ "**ليس كل من انتسب إلى العلم، وتزيّا بزيّه، يُسأل ويستفتى وتأمنونه على دينكم**[٨٠]".

كما أنكروا عليهم، تطاولهم في مخاطباتهم للملك عبد العزيز، بل وعزمهم على خلعه والخروج عليه، قائلين: "**ونحن نبرأ إلى الله من ذلك، وممن فعله أو تسبب فيه، أو أعان عليه، لأنا ما رأينا من الإمام عبد العزيز ما يوجب خروجكم عليه، ونزع اليد من طاعته، وإذا صدر منه شيء من المحرمات، التي لا تسوغها الشريعة، فحسب طالب الحق الدعاء له بالهداية، وبذل النصيحة على الوجه المشروع**[٨١]".

كما قد لاحظ كبار العلماء، تطاول الإخوان عليهم شخصيا، والاستهزاء بهم، والتشكيك في نزاهتهم واتهامهم بالمداهنة، فعاجلوهم برد صارم في بيانات أصدروها، جاء فيها:

---

[٧٨] السعوديون والحل الإسلامي: ص (٥٣٥)، ولسراة الليل هتف الصباح: ص (٢٠٥).

[٧٩] الدرر السنية: (١٣٣/٩).

[٨٠] نفسه: (٨٤/٨).

[٨١] نفسه: (١٨٣/٩).

"**ومما ينبغي التنبيه عليه: ما وقع من كثير من الجهلة، من اتهام أهل العلم والدين، بالمداهنة والتقصير، وترك القيام بما أوجب الله عليهم من أمر الله سبحانه، وكتمان ما يعلمون من الحق، والسكوت عن بيانه، ولم يدر هؤلاء الجهلة، أن اغتياب أهل العلم والدين، والتفكه بأعراض المؤمنين، سمّ قاتل، وداء دفين، وإثم واضح مبين**[٨٢]"، ثم إنكم "**كنتم أولا في جاهلية عريضة، وحالة عن الحق بعيدة، ورؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار، وعوامكم جفاة أشرار، لا تعرفون حقائق دين الإسلام، ولا تعملون من الحق إلا بما تهوى به نفوسكم، مع ما كان بينكم، من سفك الدماء، ونهب الأموال، وقطيعة الأرحام، وتعدي حدود الله، وغير ذلك من المحرمات وعظيم المنكرات. ثم هداكم الله لمعرفة دينه، والعمل بتوحيده، وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد، وانتشرت بينكم كتب السنن والآثار، ومصنفات علماء الإسلام، ثم أنتم الآن انتقلت بكم الأحوال، إلى أنكم تحاولون الخروج على الإمام، ومنابذة أهل الإسلام ومفارقة جماعتهم**[٨٣]".

إلى آخر ما أصدره علماء الوهابية، وتحديدا ما بين سنتيْ ١٩١٩ و ١٩٢٠[٨٤]، من الفتاوى الجماعية التي بسطوا فيها الخطاب الوهابي الجديد الذي يتناسب مع الاشتراطات الجديدة لطبيعة الدولة السعودية الحديثة.

ولكن (الإخوان) لم يرضخوا ويُذعنوا لهذه الفتاوى الجديدة، التي رأوا فيها انقلابا وانتكاسة لما كانت عليه الوهابية الحقيقية من وجهة نظرهم، وأخذوا يجادلون العلماء بنفس الكتابات والتعاليم التي أصدرها سابقا أئمة الدعوة في العهدين القديمين: الأول والثاني للإمارة السعودية.

حينها اضطر العلماء، إلى تكفير حركة (الإخوان) وإخراجهم من الإسلام، ووجوب قتالهم وجهادهم، فأصدروا الفتوى التالية: "**وأما قول السائل، إنهم (أي الإخوان)، يرون أن جميع المسلمين وولي أمرهم، ليسوا على حق، فهذا من ضلالهم، ومن الأسباب الموجبة لكفرهم، وخروجهم من الإسلام... أما من أجاب دعوتهم، وساعدهم من أهل نجد، فحكمه حكمهم، يجب على جميع المسلمين قتاله وجهاده، وأما من أبى عن جهادهم، وادّعى أنهم إخوان له، وأنهم على حق، فهذا حكمه حكمهم**". (انظر الدرر السنية:٩/ ٢١٠).

ويبدو أن الإخوان كانوا يشعرون بمرارة (الانقلاب) من علمائهم الكبار؛ ففي حين كان العلماء وأتباعهم يصدّعون الأسماع، وفقا لمبدأ الولاء والبراء، بتحريم كل أنواع الاتصال السلمي بالمشركين، بل وتكفير كل من رضيَ سياسيا بالتحالف والانضمام للدولة العثمانية، نرى الآن الملك ومستشاريه وبمباركة علماء الوهابية الجديدة، يقيمون علاقات دبلوماسية مع هذه القوى الأجنبية الكافرة، هكذا يرى الإخوان كيف تسير الأمور، وفق رؤيتهم للعالم التي غذَّتها التعاليم الوهابية القديمة، أو كما فهموه من تلك التعاليم[٨٥].

وفي حين كان العلماء يصدّعون الأسماع بالبراءة والمعاداة لكل الطوائف والمذاهب التي تمارس الكفر والبدع أو تتصالح معها، نجد كبار علماء الوهابية الآن يجيزون للملك التسامح معهم واستيعابهم في الدولة، وتركهم وعدم إجبارهم، والاكتفاء بمجرد دعوتهم بالحكمة والرفق والتدرج، ولكن الإخوان يرفضون هذه (المداهنة) و(الميوعة) و(الليونة) في الحق

[٨٢] نفسه: (٩/ ١١٣).

[٨٣] نفسه: (٩/ ١٨٥).

[٨٤] انظر: المجلد الثامن من الدرر السنية: ص (٨٣، ٨٤، ٤٢٢، ٤٨٠)، وكذلك المجلد التاسع: ص (١٠٥، ١٠٨، ١٤٢).

[٨٥] انظر مناقشة علماء الوهابية للإخوان في هذه المسألة: (٩/ ١٥٧).

بحسب تصورهم الذي تم تغذيتهم به أثناء تكوّنهم الفكري في الهجَر الوهابية. وحين حاول الإخوان أن يفرضوا العقيدة الصحيحة والسلوك القويم على الناس بالقوة، في بعض المناطق، خاصة في الحجاز، استنكر علماء الوهابية أفعالهم ودعوهم إلى اعتماد وسائل أكثر لينا وحكمة، بعد أخذ الإذن من السلطات.

ومهما كان أمر هذا السجال والصراع الديني، وكيف انتهى سياسيا وعسكريا، إلّا أننا نشهد فيه أول تمرد وانشقاق للسلفية الوهابية بصورة ظاهرة وجلية، أو بالأصح صرنا أمام وهابيتين: وهابية العهد القديم، ووهابية العهد الجديد: وهابية ملتزمة بحرفية نصوص الآباء المؤسسين، ووهابية تتعاطى نصوصها بنظرة أكثر واقعية وذرائعية.

هذا الانقسام والانشطار لم ينتهِ بمجرد الحسم العسكري للجماعات المتمردة، بل بقيت أفكار الوهابية القديمة تنتقل جيلًا بعد جيل، إلى يومنا هذا، فالجماعات الجهادية –على سبيل المثال– والتي تتبنى نهج العنف والتكفير والقتال، تستمد مقولاتها العقائدية، من تعاليم (وهابية العهد القديم)، بل رأينا معظم منظّري القاعدة ينطلقون في أطروحاتهم وتأصيلاتهم من كتابات ذلك العهد. وحين يقوم أتباع الوهابية (اليوم) أو ما يعرف بالسلفية الحركية، بمواجهة تلك الجماعات، أو الوهابيات المتطرفة، والانخراط في صراع معها، فهم لا يفعلون شيئا مؤثرا سوى أنهم يعيدون نفس التاريخ الذي حدث بين الوهابية المتصالحة والمتحالفة مع الدولة، والوهابية الجامدة والمتمردة والمقاتلة!

إنه (صراع التأويلات)، الصراع على تأويل نصوص العهد القديم للوهابية، وهو صراع مستمر، بين وهابيتين: وهابية تؤمن بالواقعية والبراجماتية، ووهابية تؤمن بالوفاء لتعاليم العهد القديم، وكلا الوهابيتين تدعي بأنها الممثل الشرعي للدين الحق.

ففي حين كان الإخوان يكفِّرون الدولة، بسبب اتصالها بالحكومة البريطانية، وعقد الاتفاقات معها، اتباعا منهم لتعاليم وهابية (العهد القديم) وتطبيقا لنصوصها القديمة في تكفير كلّ من تحالف مع العساكر التركية؛ نجد أن هؤلاء الإخوان أنفسهم، أجازوا لزعمائهم فيما بعد، التواصل مع الحكومة البريطانية، ومحاولة عقد الاتفاقات معها، واللجوء إليها، والاستجارة بها، عندما ضاقت عليهم الأرض، جراء الخسائر والهزائم المتتالية التي تعرضوا لها من عساكر الملك عبد العزيز[٨٦]. ولكي لا يبدون متناقضين أمام أتباعهم، كانوا يبررون لهم هذا السلوك السياسي، بأنهم مقتدون بالصحابة، حين هاجروا إلى الحبشة النصرانية، وتركوا عشيرتهم الكافرة.

الأمر الذي دفع كبار علماء وهابية (العهد الجديد) إلى إصدار الفتوى بتكفير أولئك (الإخوان) بسبب اتصالهم بالحكومة البريطانية (الكافرة) ولجوئهم إليها؛ فـ "هؤلاء الذين ذكرهم السائل، وهم العجمان والدويش، ومن تبعهم، لا شكَّ في كفرهم وردتهم، لأنهم انحازوا إلى أعداء الله ورسوله، وطلبوا الدخول تحت ولايتهم، واستعانوا بهم، فجمعوا بين الخروج من ديار المسلمين، واللحوق بأعداء الملة والدين، وتكفيرهم لأهل الإسلام، واستحلال دمائهم وأموالهم[٨٧]". تصدر هذه الفتوى، في الوقت الذي كان أولئك العلماء يجيزون للملك التواصل مع ذات الحكومة البريطانية (الكافرة)، "لأنه إمام المسلمين، والناظر إلى مصالحهم، ولابدّ له من التحفظ على رعاياه وولايته، من الدول الأجانب[٨٨]".

---

[٨٦] الكويت وجاراتها، هارولد ديكسون: (١/٣١٧– ٣٣٧).

[٨٧] الدرر السنية: (٩/٢٠٩).

[٨٨] نفسه: (٩/١٥٨).

إن كلا الوهابيتين وجهان لنمط واحد؛ نمط يدّعي بأنه الوحيد الذي يملك الحقيقة الدينية بصفة مطلقة، وأنه الممثل الشرعي والوحيد للعقيدة الصحيحة، وأنه المرجع الوحيد في فهم السلوك القويم المؤدي للنجاة في الآخرة، وبالتالي يحق له إنتاج المعنى الديني وإدارته وتطبيقه وفرضه في الواقع دون الآخرين.

ولكن بالرغم من كل ذلك، وللموضوعية، والإنصاف، لا يمكن جعل الوهابية، في تجلياتها الجديدة، بعدما انخرطت في مشروع الدولة الحديثة ومتطلباتها، وأصبحت تساير ضغوطات الحداثة، لا يمكن وضعها في صف واحد مساوية للوهابية التقليدية، والتي ما زالت تلتزم، وبصورة حرفية، بتعاليم العهد القديم.

مَجَاذِيبُ دَاعِــش

سامي إبراهم

المقدمة

يحيل لفظ مجاذيب –جمع مجذوب – على فئة من النّاس في وضع الانجذاب أي استلاب العقول لصالح حالة نفسيّة أشبه بالهذيان و الهوس يعتبرها المتصوّفة حالة غياب عن الوجود و حضور مع خالق الوجود. لكنّ المجاذيب في السلوك الطرقي والشعبي أصبحوا شخوصا أقرب إلى التخلّف الذّهني والقابليّة للانقياد و التوظيف، وإن كانت هذه الفئة غير معنيّة بممارسة العنف مثل الفئة موضوع الدّراسة؛ فإنّ القاسم المشترك بينهما هو الهوس و القابليّة للانقياد للشيخ.

ولفهم سرّ جاذبيّة داعش لدى جمهور من الشّباب لا بدّ من معرفة هويّة هذه الفئة وفهم الأسباب الكامنة وراء انجذاب أفرادها لداعش أي قابليّة فئات من الشّباب لهذا الانجذاب دون غيرهم.

دواعش تونس من هم ؟

لا نقصد بالدّواعش من بايعوا تنظيم الدّولة الإسلاميّة بالعراق و الشّام على وجه حصري بل كلّ المجموعات الحركيّة التي تنتمي إلى التيار السلفي الجهادي سواء كانت مرتبطة بتنظيم القاعدة أو المجموعات التي تفرّعت عنه، حيث لا يُفرّق بينها إلا مسائل ترتيبيّة تتعلّق بزمان الإعلان عن الخلافة ومن له شرعيّة الإعلان عن ذلك الحدث النوعي ومن الأولى بمنصب الخلافة ومن له الولاية الشرعيّة على الأقاليم ويقرّر وضع الجهاد فيها.

و لا بدّ من التّأكيد منذ البداية على صعوبة تحديد هويّة هذه الفئة حيث يجد الباحث والمتابع نفسه أمام ظاهرة مركّبة معقّدة على جميع المستويات تقوم على تعدّد الأبعاد والعناوين والواجهات والمؤثّرات :

- ظاهرة متنوّعة متراكبة من حيث مكوّناتها البشريّة:

(مقاتلون قدامى على مختلف الجبهات العالميّة/ مساجين قانون الإرهاب/ مُسْتَقْطَبُون قبل الثّورة/ مُسْتَقْطَبُون جدد بعد الثّورة/ قاعدة مسجديّة/ مساجين حقّ عامّ استُقطِبوا في السّجون/ منحرفون تائبون توبة متشنّجة/ أتباع للنّظام القديم تائبون أو محتمون بالظّاهرة أو مخترقون لها/ مهمَّشون وجدوا الكفالة و الدّعم في ظلّ غياب الدّولة والمجتمع المدني لدى هذه المجموعات/ مهرّبون متخفّون أو وجدوا شرعيّة لسلوكهم من داخل الظّاهرة/ متديّنون يائسون من الخيار الدّيمقراطي/ أشخاص لديهم نزوع للقيادة والزّعامة/ أشخاص لديهم نزوع للبطولة و المغامرة/ أشخاص واقعون تحت تأثير معطيات موضوعيّة أو ذاتيّة مثل القرابة و الصّداقة...)

- ظاهرة دينيّة مذهبيّة لها مرجعيّاتها العقائديّة والفقهيّة والمعرفيّة وسجلاتها اللغويّة المخصوصة المستَمدّة من المدوّنة التّراثيّة والمؤلّفات الحديثة والمعاصرة.

- ظاهرة دعويّة تتبنّى واجب تصحيح العقائد الفاسدة والسّلوكات البدعيّة الشّائعة في المجتمع.
- ظاهرة سياسيّة مسكونة بهاجس تغيير شكل الانتظام السياسي بشكل جذري من خلال الجهاد المسلّح.
- ظاهرة اجتماعيّة تتركّز أساسا في المناطق المهمّشة وتتكوّن خاصّة من الفئات المحرومة التي توفّر في ما بينها إطارا موضوعيّا للتّضامن والحماية والإحساس بالانتماء.
- ظاهرة اقتصاديّة لاشكليّة موازية منفتحة على التّهريب والأعمال الحرّة، لها سمة تكافليّة منفتحة على الفئات المهمّشة بقصد إعداد الحاضنة الإجتماعيّة للحراك الثّوري المسلّح.
- ظاهرة شبابيّة تتراوح غالبيّة الأعمار فيها بين سنّ المراهقة وسنّ الثلاثين مع امتداد طلابيّ ونسوي قائم على مبدأ التطوّع التكافلي والتضامن العقائدي والاجتماعي.
- ظاهرة جمعويّة تتشكّل من خلال نسيج جمعياتي قانوني علني وغير قانوني سرّي يقوم بوظائف اجتماعية وخيرية وحقوقيّة ودعويّة وتعليميّة واقتصاديّة.
- ظاهرة لها واجهات قانونيّة من خلال الهيئات والمؤسّسات ذات الصفة القانونيّة التي تخوّل لها الاستفادة من التعامل القانوني ولها كذلك حراك غير خاضع للرقابة القانونيّة بعضه علني وبعضه سرّي.
- ظاهرة إعلاميّة نشطة وكثيفة افتراضيّا ورقميّا وعلى درجة من التقنيات العالية تستفيد من توظيف كلّ الوسائط والمؤثّرات والمنابر والموادّ الإعلاميّة ذات الجودة العالية في الصياغة والإخراج الفنّي المؤثّر.
- ظاهرة محليّة قطريّة ذات امتداد خارجي عميق وجدانا وفكرا وعقيدة وسلوك الانتماء فيه للعقيدة الجهاديّة الممتدّة من حيث الجغرافيا إلى حيث تمتدّ مهامّ الجهادي الأممي.
- ظاهرة تتوفّر على قابليّة كبيرة للاختراق العميق نظرا لهشاشة البنية النفسيّة والعاطفيّة والتربويّة والذّهنيّة والمعرفيّة والتنظيميّة لأفرادها ولطبيعة المشروع الطّوباوي الجامع.
- ظاهرة متذبذبة بين السلميّة والعنفيّة المسلّحة تتنازعها ثنائيّات ضاغطة أهمّها (الجهاد المسلّح/ الحاضنة الاجتماعيّة/ صناعة الفوضى العارمة/ إقامة البناء الجديد عبر تهديم القائم بالكليّة).
- ظاهرة تستمدّ وجودها الثّقافي والمعرفي من أدبيّات[٨٩] صيغت خارج السّياق الثقافي والمعرفي التّونسي، ولم تتمكّن من إنتاج ثقافة محلّية تتفاعل مع خصوصيّات الواقع التّونسي عدا بعض الخطاب الدّعوي والفقهي المكرور. ويبقى منظور الظّاهرة عالة على ما يُكتب ويؤلّف خصيصا لتونس من طرف مشائخ ودعاة يجهلون واقع البلاد وخصوصياتها الدّينيّة والثّقافيّة والمجتمعيّة.

---

[٨٩] تاليف أبو بكر ناجي، إدارة التوحش أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، نشر مركز الدراسات والبحوث الإسلامية بدون تاريخ (المرجّح بعد ضربات ١١ سبتمبر ٢٠١١) عدد الصفحات١١٢صفحة

* واقع و مستقبل التيّار الجهادي لأبي سعيد العاملي نشر منبر التوحيد و الجهاد ٢٠١١ م، ١٤٣٢ هـ..

* العالم على أعتاب الفوضى لابي عبد الله خالد العدم المكنّى بأبي عبيدة نشر مركز الفجر للإعلام كتب بتاريخ ١٤ ذو القعدة ١٤٣٢.

* المذكّرة الاستراتيجيّة تأليف عبد الله بن محمد و قد نشرته الكترونيّا مؤسّسة المأسدة الإعلاميّة (صوت شبكة الشّموخ الإسلامي) بتاريخ ٢٠١١ م / ٥ شوّال ١٤٣٢ هـ ويحتوي على خمس و خمسين صفحة الكترونيّة تشمل أربع مذكّرات استراتيجيّة.

القابليّة للانجذاب

من خلال التّواصل الميداني مع منظري هذه الظّاهرة، لاحظنا وجود عاملين يساهمان في توفّر حدّ كبير من القابليّة للانجذاب إلى " سرديّة " داعش؛ ذلك أنّ الانتماء لداعش ليس مجرّد انتماء لتنظيم سياسي له أهداف وبرامج وخطط ميدانيّة بل لسرديّة كاملة أي قصّة وحلم يقظة يتداخل فيه التعويض الاجتماعي والإشباع العاطفي والبعد الثّقافي والدّيني والإعلاء الأخروي. هذان العاملان هما التّهميش الاجتماعي و التّهميش الثقافي.

أ- التّهميش الاجتماعي

تشير كلّ المعاينات المباشرة أنّ خريطة المنتمين لداعش هي نفسها خريطة التّهميش الاجتماعي والحرمان من التّنمية وخاصّة المناطق الحدوديّة التي يتقاطع فيها الإرهاب مع التّهريب؛ حيث تتبادل شبكات الإرهاب والتهريب الخدمات وتقاسم المنافع والأعباء (تهريب السّلاح / تهريب الأشخاص / التّموين / الحماية / الرّقابة / الإعلام عن الأخطار). وربّما انتهى الأمر ببعض المهرّبين إلى أن يصبحوا قيادات في تنظيمات الارهاب مثل مختار بلمختار المكنّى سابقا بمختار مارلبورو لاختصاصه في تهريب هذا النّوع من السّجائر المقلّدة.

و تبيّن دراسة هذه الفئة من الشّباب التي تعيش البطالة والفقر والحرمان والإقصاء من دورة التّنمية أنّها أكثر قابليّة للانجذاب وأكثر عرضة للاستقطاب من غيرها وذلك للأسباب التّالية:

- الهشاشة النفسيّة والعطوبة الاجتماعيّة واضطراب الشخصيّة وما تسبّبه كلّ تلك الأعراض من ضعف المناعة الفرديّة والحصانة الاجتماعية اللتين تحميان الأفراد من الانسياق وراء خطاب الاستقطاب وإغراءات شبكات الإرهاب والتّهريب التي تمثّل سوق خيرات ماديّة ومعنويّة ورمزيّة تفتح مزاداتها في غياب الدّولة والطّبقة السياسيّة والنّخب الفكريّة المنشغلة بصياغة تعاقدات لا تزال هشّة حول شكل الانتظام السياسي الجديد والانتقال الدّيمقراطي.
- الاحباط واحتقار الذّات بسب الاحساس ب " الحقرة " أي احتقار الآخرين " والتفاوت الطبقي والجهوي والاجتماعي.
- عدم الإحساس بالانتماء لدولة ووطن لا يقدّم كرامة العيش والعدالة الاجتماعيّة لمواطنيه؛ حيث تغيب الدّولة في عدد من الجهات التي تفتقد للمرافق الأساسيّة والبنية التحتيّة. ولا تحضر الدّولة إلا من خلال وحدات الحرس والأمن وبقايا المنظومة القديمة.
- عدم الإحساس بالجدوى و افتقاد المعنى وهما أخطر ما يمكن أن يصل إليه الفرد في حالة الهشاشة والعطوبة الاجتماعية والإحساس بالدونيّة؛ حيث يستشعر الفرد أنّ وجوده لا معنى له وليس هناك ما يشدّه إلى الواقع وإلى المكان والزّمن الرّاهن وإلى المجموعة والدولة التي ينتمي لها قانونا، فتخلّف مبايعة دولة أخرى " داعش " حالة من الفصام الحادّ (هل نعتبر مثلا التّونسيين الذين بايعوا دولة أجنبيّة غير معترف بها دوليّا ولا يزالون يقيمون في بلدهم الأصلي مارقين أم متجنّسين أم رعايا أم جالية أجنبيّة أم مُهاجرين أم عملاء أم جواسيس؟)، أمّا هم فيعتبرون أنفسهم الفاتحين القادمين لدولهم وشعوبهم.

- الرّغبة العارمة في التّدمير والانتقام الرّمزي أو المعنوي أو المادّي من الذّات ومن الآخرين وهي نتيجة طبيعيّة لكلّ ما سبق من تشخيص، وتتجسّد هذه الرّغبة بأشكال مختلفة (العنف الاجتماعي/ المخدّرات/ الهجرة السريّة/ فنّ الرّاب).

وليس الانخراط في داعش إلا رغبة في تجسيد هذا الانتقام الجماعي بغطاء ديني من كامل المنظومة السياسيّة القائمة بالمعنى الأنطربولوجي للسّياسة بما تعنيه من انتظام اجتماعي شامل، انتقام تحت عنوان "القضاء على الباطل، محاربة الطّاغوت، وإقامة دولة الحقّ أي الخلافة على منهج النبوّة ". وهو شكل من أشكال الانبعاث الجديد القائم على التّدمير الكامل للقديم.

ب– التّهمش الثّقافي

تُشير المعاينة المباشرة إلى أنّ مناطق التّهميش الاجتماعي هي نفسها مناطق التّهميش الثّقافي أي المناطق المحرومة من التّنمية الثقافيّة والاستثمار في الثقافة من طرف الدّولة أو المجتمع المدني أو النخب الفكريّة والثقافيّة؛ حيث تفتقد هذه المناطق الشّاسعة إلى المرافق الثّقافيّة من مسرح وسينما ومكتبات ودور ثقافة ودور شباب وفضاءات للترفيه والرّياضة والحوار والتّواصل بين الشّباب والنخبة الفكريّة و الثقافيّة.

هذا التّهميش لا يمسّ المنقطعين عن التّعليم من سكّان المناطق الدّاخليّة فقط ولكن كذلك عددا من طلبة الكليات العلميّة وخريجيها الذين انقطعوا عن دراسة الأدب والفلسفة والإنسانيات منذ تعليمهم الثّانوي.

في مقابل ذلك التّهميش يجد الشّباب أنفسهم وجها لوجه مع خطاب الاستقطاب الدّاعشي بمضامينه الدّينيّة والثقافيّة والسياسيّة ورموزه وشيوخه ووسائله الإعلاميّة متعدّدة الوسائط والأشكال والمؤثّرات الآسرة والخطاب الدّيني الوثوقي الدّغمائي الكلياني وشبكات الانترنت والتواصل الاجتماعي والمادة المعرفية والثقافيّة المتاحة للجميع دون حاجز.

استراتيجيات الجذب الدّاعشي

تتوافق المعاينة الميدانيّة المباشرة للظّاهرة المدروسة "المجاذيب" مع ما أقرّته مباحث علم اجتماع الظّاهرة الدينيّة من تصنيف للمؤثّرات والمعطيات التي تساهم في تشكّل الظّواهر الدّينيّة، وذلك من خلال قاعدة منهجيّة صاغها عالم الاجتماع الدّيني روبارت ميرتون في كتابه "البنية الاجتماعة بين الانتظام والانحراف"[٩٠]؛ حيث يقسّم العوامل المحدّدة في الظّاهرة السوسيولوجيّة إلى قسمين: قسم الانتماء المتعلّق بالانتماء الطبقي والجهوي والعائلي، وقسم المرجعيّة المتعلّق بالخلفيات الثقافيّة والمعرفيّة ويعتبر أنّ القسم الثاني محدّد في تشكّل الظّاهرة الدّينيّة سوسيولوجيّا. لذلك نميّز بين العوامل الاجتماعيّة والنفسيّة والاقتصاديّة من جهة وبين العامل المرجعي Référentiel المتعلّق بكلّ ما هو مضمون فكري معرفي عقائدي، وفي كلا المستويين، لداعش استراتيجيات استقطاب وجذب آسر. فما قبل الالتحاق بالدّولة، هناك العديد من العوامل المؤثرة التي يمكن تلخيصها بالآتي:

[٩٠] Robert Merton structure sociale anomie et déviance

أ- على مستوى العامل الاجتماعي

توفّر داعش لمن تستقطبهم جملة من الخدمات الاجتماعيّة الحيويّة التي تتفاوت من حيث قيمتها ولكن تكتسب أهمّيتها الماديّة و المعنويّة من غياب الدّولة والمجتمع المدني في عدد من المناطق والفئات نذكر بعضها و نقيس أثرها:

- إعادة إدماج فئات اجتماعيّة كانت تتردّد على السّجون في قضايا المخدّرات أو العنف أو غيرها، وهي فئات تتّسم بشدّة الهشاشة لافتقادها أيّ مقوّم من مقوّمات إعادة بناء مسار حياة جديدة من قبيل "شهادة جامعيّة، خبرة مهنيّة، علاقات نافذة". لذلك يجدون أنفسهم بين مصير العود أو الهجرة السريّة أو تجارة البضائع الزّهيدة أو المهرّبة، وتتمثّل إعادة الإدماج في توفير مورد رزق داخل منظومة الاقتصاد اللاشكلي أو الموازي وتسهيل أبواب الزّواج وتغطية بعض الحاجات. الأثر المباشر لهذه الخدمات هو إدماج المشمولين بها ضمن رابطة عاطفيّة تضامنيّة مغلّفة بالمشاعر الدّينيّة تمارس دور الإسناد العاطفي والماديّ وتوفّر شروط الانتماء العضوي لاحقا.
- تحوّل العديد من الشباب من أرقام بشريّة محتقرة مهمّشة تائهة مطحونة على هامش المجتمع إلى شخصيّات اعتباريّة لها كنية ذات رمزيّة "أبو فلان" و لها مقام واحترام وعُصبة وأنصار ولها أهداف وغايات تجاهد من أجلها يهتمّ بها الإعلام ويتابع أخبارها وخطابها ويسعى لمحاورتها بعد أن كانت تستشعر اللاجدوى واللامعنى والاحتقار.
- و لعلّ أهمّ ما يمكن تسجيله في هذا الصّدد أنّ من وقع استقطابهم أصبحوا ينتمون إلى سرديّة جديدة يتداخل بها الذّاتي الوجداني بالموضوعي، والديني العقائدي بالاجتماعي والاقتصادي والسياسي، والمحلّي بالاقليمي والدّولي، والدّنيوي الزّمني بالأخروي الرّوحي، الأكيد أنّها سرديّة يغلب عليها الإنشائي والوجداني التخييلي الطّوباوي، وهي ليست مادّة للتّفكير والاقتناع بل للتقبّل العاطفي والارتواء و التعويض. وهذا ما يفسّر سرّ تأثيرها و قدرتها على الاستقطاب وحجم انتشارها وغزوها للعقول والقلوب.

ب- على مستوى العامل الثّقافي "المرجعي"

داعش هي رؤية وتأويليّة وتصوّر وفكرة قبل أن تكون تنظيما ودولة، وقوّة هذه الرّؤية في بساطتها وتسطيحها؛ أي بدون تضاريس "فهي لا تحتاج الكثير من الجدل والجهد الذّهني لاستيعابها وهي ليست نخبويّة بل متاحة للجميع ضمن استراتيجيات تأوليّة تماميّة وثوقيّة مغلقة وقائمة على تقسيم مانوي إثنيني تبسيطي للعالم والقيم والأفكار والبشر. لذلك، تتشكّل البنية الذّهنيّة ومعجم الخطاب من ثنائيّات حادّة (إيمان كفر/ حقّ باطل/ دار إيمان دار كفر/ أرض دعوة أرض جهاد/ مقدّس مدنّس).

هذه الاستراتيجيات تقوم على جملة من الأوهام المعرفيّة التي تعتبر سرّ قوّة داعش وأساس الجذب والنّجاح في الاستقطاب واستنفار الأنصار، ويمكن اختزال هذه الأوهام في النّقاط التّالية:

- وهم المطابقة بين النظريّة و الواقع: يفترض أنّ النظريّة هي نتاج استقراء للواقع حيث يفضي الاستقراء الجزئي أو الكلّي إلى استنباط قواعد عامّة أو منهج معياري لفهم وتحليل واستشراف حركة التّاريخ، ويفترض تبعا

لذلك تغيير النظريّة كلّما تغيّر معطيات الواقع والأفق المعرفي والمنهجي، لكن في مقابل ذلك تتوهّم هذه الجماعات أنّ المعرفة الشرعيّة انغلقت في حدود رؤيتهم التي تحاكي الواقع محاكاة مطابقة.

- وهم المطابقة بين التّأويل والنصّ: بخلاف الأمور التعبّديّة الشعائريّة التي تنحو نحو التّوقيف يفترض أنّ بقيّة المسائل هي من دائرة التّأويل والاجتهاد الذي لا يتطابق فيه المعنى التّأويلي مع النصّ.
- وهم المطابقة بين التّأويل ومقصود صاحب النصّ: إضفاء القداسة على التّأويل واعتباره مطابقا لمقصود الله على وجه الحصر والقصر والإطلاق ، بل هو عين قصد الله، لذلك من يمارس الذّبح فهو يُنفِذُ إرادة الله في الواقع ، بل هو قدر الله وقضاؤه.
- وهم التّعميم: الانزياح بدلالة الخصوص إلى العموم مثل قول النبيّ "جئتكم بالذّبح" حيث كان الخطاب مقصورا ومحصورا في من توجّه إليهم الخطاب في ذلك الزّمان والمكان والسّياق الخاصّ. لذلك، تعميمها على دائرة أوسع زمانا ومكانا هو ضرب من تحريف المعنى حيث تصبح رسالة النبيّ لأمم العالم هي "جئتكم بالذّبح" أو "والصّلاة والسّلام على من بعثه الله بالسّيف رحمة للعالمين"؛ حيث يصبح السّيف في حدّ ذاته وفصل الرّؤوس عن الأجساد رحمة.
- وهم الانتقائيّة في فهم النّصوص: وهي طريقة في الاحتجاج بتجميع الآيات التي تدعم التصوّر الذي تتبنّاه جماعات أنصار داعش واستبعاد بقيّة النّصوص أو تأويلها. ومن ذلك، فإنّ أكثر من خمسمائة آية في الرّحمة والعفو وعدم الإكراه والسيطرة والتجبّر والدّعوة للسلم والجدل بالتي هي أحسن جميعها تُلغى بآليّة النّسخ وتُحال على العطالة الدّلاليّة.
- وهم التمثّل الحرفي للنّصوص: وهو من أخطر الأوهام حيث يُختزل المعنى في حرف النصّ وظاهره اللفظي في سياق تمثّل تذريري للآيات والأحاديث النبويّة منفصلة عن بعضها البعض، من ذلك قول النبيّ "أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لا إله إلا الله"، الذي يقتضي حسب الفهم الحرفي مقاتلة غير المسلمين حتّى يُسلموا. وقوله "من بدّل دينه فاقتلوه" الذي يقتضي حسب نفس الفهم قتل كلّ من خرج عن عقيدة الإسلام بالحقيقة أو الشّبهة والتّأويل.
- وهم أحاديّة الحقيقة الدّينيّة: كلّ ما سبق من مسارات مرجعيّة يكرّس مفهوما أحاديّا عن الحقيقة لا يتشكّل بطريق المواضعة والإجماع والجدل المعرفي والتّوافق والتّعاقد بين مكوّنات المجتمع بل بطريقة احتكاريّة تدّعي فيها مجموعة لنفسها النّطق باسم الحقيقة الربانيّة.
- وهم استشعار التكليف الإلهي المطلق: في مقابل التكليف في حدود المعلوم والمستطاع يقود أفراد هذه الجماعات وهم نابع من تضخّم استشعار المسؤوليّة المطلقة عن مآسي البشريّة ووجوب نقل النّاس من الظلمات إلى النّور ، هو ضرب من التلبّس العصابي بالشخصيّة المهدوية أو المسيانية. هذا الشّعور هو الذي يضفي على الجهاد البعد العالمي المعولم[٩١] ويصنع شعور التضامن والترابط الوجداني رغم التباعد الجغرافي هو دافع للنصرة والاستعداد للنفير العامّ.

[٩١] الجهاد العالمي هو مصطلح جديد ظهر في منتصف التسعينات عندما أعلن أسامة بن لادن أن الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما هم أكبر أعداء المسلمين، وحثّ أتباعه على مقاتلة هذا العدو بغض النظر عن المكان وطبيعته، وهذا التركيز عمل على الانتقال من العدو القريب (الأنظمة الكافرة) إلى العدو البعيد (الغرب أو الحلف الصّهيوصليبي)، الأمر الذي جعل مؤيدي هذا الجهاد العالمي يبدؤون بضرب المصالح الغربية الموجودة في العالم والعالم الإسلامي. وقد شهد تيّار الجهاد العالمي ما بعد ضربات سبتمبر ٢٠١١ جدلا حول العلاقة بين أمميّة الجهاد أو الجهاد المعولم الذي يهدف لمواجهة " الحلف الصهيوصليبي العالمي " والجهاد القطري الذي يهدف لإسقاط من يُعتقد أنّهم وكلاء هذا الحلف العالمي والمسمّون " أنظمة الردّة".

- هم مشروعيّة تجاوز الإرادة العامّة للمجتمع: كلّ ما سبق من أوهام يسوّغ لأنصار داعش مشروعيّة إنفاذ ما يُفترض أنّه إرادة إلهيّة تتعلّق بالانتظام الاجتماعي والسياسي والسلوكي والقيمي دون المرور عبر اختبار الإرادة العامّة للمجتمعات.
- وهم النيابة عن الشريعة والوكالة عن الله في إنفاذ أحكامه: هو وهم متأتّ من الوهم السّابق حيث يكتسب الأنصار أفرادا ومجموعات صفة الوكيل عن الإرادة الإلهيّة النّاطق باسمه النّائب عنه، الموقّع باسمه.
- وهم المطابقة بين الأمر اللغوي و الأمر الشرعي : وهو وهم قائم على اعتبار كلّ صيغة لغويّة للأمر؛ أيّ كلّ تصريف للفعل في الأمر يحيل على حكم شرعيّ بالوجوب أي أمر إلهي بالفعل، وهو تصوّر سطحيّ للحكم الشرعي يكون فيه الحكم مطابقا للخطاب. بينما المسألة على غير ذلك التّحور؛ حيث يتشكّل الأمر الشرعي من النّظر العقلي الموضوعي في النصّ ضمن سياقه النصّي الأوسع المحدّد بمراتب البيان وضمن سياقه التّداوليّ الواقعي المحدّد بأسباب النزول وتحقيق المصلحة.
- وهم استشعار الحقانيّة المطلقة " أهل الحقّ": الانتقال من وضع وجداني وذهني فردي يتوهّم امتلاك الحقيقة إلى وضع جماعي حركي انتظامي يحصر الحقانيّة بمعناها المعرفي والعقدي والشرعي في طائفة بعينها هي أهل الحقّ والحقيقة والشريعة الربانيّة ستتحوّل لاحقا إلى أهل الشّوكة[٩٢].
- وهم الغربة والقلّة التي لا يجب أن تستوحش طريق الحقّ: أهل الحقّ هم القلّة التي لا يجب أن تستوحش طريق الحقّ، ولو قلّ سالكوه هم الغرباء الذين يعيدون مجد الإسلام انطلاقا من فهم لا تاريخي للحديث النبوي "بدأ الإسلام غريبا و سيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء" وهو تصوّر يكرّس الانعزاليّة والتمايز عن المجتمع في مقابل مبدأ التعارف القرآني ومبدأ المخالطة والتآلف النبوي.
- وهم احتكار الخيريّة: حصر الخيريّة في فترة زمانيّة ومكانيّة محدودة ولدى فئة من البشر وجب الاقتداء بها للالتحاق بالمشمولين بالخيريّة وذلك انطلاقا من فهم محدود للحديث النبويّ: "خير القرون قرني ثمّ الذين يلونه ثمّ الذين يلونه ثمّ الذين يلونه"، وهو فهم يكرّس التمثّل التدهوريّ للتّاريخ والجمود على الطريقة التي فهم بها السلف الدين وطبقوه بها، وتتوقّف الخيريّة عندهم وتتناقص كلّما تقدّم مسار التّاريخ ثمّ تتوقّف من جديد وتنحصر عند أهل الاقتداء والاحتذاء بالسلف الصّالح بينما المقصود في الحديث خيريّة السّبق وهي خيريّة اصطفائيّة غير مكتسبة.
- وهم احتكار طريق الخلاص الدّنيوي: كلّ ما تقدّم ذكره يحقّق للأنصار شعورا عامّا مطّردا بالرّضى والاطمئنان والثّقة في أنّ هذا المسلك يحقّق الخلاص في الدّنيا من كلّ الشّرور والآفات والانحرافات والضّلال والعراقيل التي وضعها طواغيت السياسة والفكر في سبيل الموحّدين لإعاقتهم عن إنفاذ الإرادة الإلهيّة.
- وهم احتكار سبيل النّجاة الأخروي: وهذا يمثّل أوج التألي على الذّات الإلهيّة حيث يقرّر هؤلاء أنّهم باتّباعهم هذا النّهج ناجون في الآخرة بنصرهم على الطاغوت أو باستشهادهم، فهم أهل الجنّة أو الموعودون بالجنّة

[٩٢] الشّوكة : المقصود بالشّوكة لدى صاحب نظريّة إدارة التوحّش الموالاة الإيمانية، أي أن يحصل كل فرد في المجموعة أو في منطقة التوحّش مهما قل شأنه على الولاء من باقي الأفراد ومن ثم يعطي هو الولاء للباقين بحيث يكون هو فداء لهم وهم فداء له ، فتتكوّن على ذلك الأساس من الولاء رابطة جماعيّة من نوع خاصّ يختلط فيها العقدي بالوجداني و السّلوكي والتنظيمي تسمّى شوكة؛ هدفها الذي نذرت حياتها له هو مواجهة الأعداء، ويتحقّق بذلك التضامن والثقة والقوة الجماعية التي لا تتم إلا عبر ما أطلق عليه المؤلف تحقيق الشوكة.

ونعيمها الذي يقع إبرازه في أيقونة حور العين اللاتي يتجّهزن للمجاهدين منذ الأزل وهنّ "مقصورات في الخيام، لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان".

- وهم الخلافة كشكل أوحد للانتظام السياسي المشروع: الانزياح بالخلافة من إمكانيّة تاريخيّة مضطربة وغير مكتملة للانتظام السياسي في فترة ما بعد النبي والعصر الوسيط إلى عقيدة دينيّة وحكم شرعي شريعي ملزم للمسلمين يجب أن يُخاض من أجله كلّ أصناف الجهاد "جهاد الدّفع وجهاد الطّلب والجهاد القطري والعالمي".
- وهم مشروعيّة العنف: العنف تحت غطاء الجهاد هو وسيلة لإقامة دولة الخلافة تحت عنوان الجهاد العالمي والقطري[93] هو عنف مقدّس يختزل بشكل مكثّف كلّ السرديّة الدّاعشيّة المشفّرة والمثقلة بكلّ المعاني والرّموز والقيم سالفة الذّكر التي تحضر بشكل ضمني في أناشيد جهاديّة مصوّرة أنجزت بمؤثّرات وتقنيات فنيّة عالية.

استتباعات الأوهام

هذه الأوهام التي تشكّل الأمثولة الدّاعشيّة، لها أوضاع تترتّب عنها بشكل تلقائي ضروري من أهمّها:

- انغلاق الفئة المنصورة والطّائفة النّاجية على ذاتها حتّى وإن تفرّق شملها يبقى أفرادها في رباط عاطفي ديني وتنظيمي " ذئابا منفردة".
- إطلاق حكم التكفير والتّبديع والتّفسيق والردّة على المخالف ونفي حرمة الدّم والمال والعرض عنه.
- المفاصلة مع المجتمع سلوكيا ووجدانيّا وذهنيّا واقتصار الانفتاح عليه على مقتضيات نفعيّة ذرائعيّة لا غير بقصد تشكيل الحاضنة الشعبيّة السّاندة.
- الولاء والبراءة عقيدة وسلوكا وبناء نفسيّا: براءة من الدّولة والمجتمع والمخالف وولاء مقصور على الفرقة النّاجية والطّائفة المنصورة.
- الانخراط في استراتيجيات العنف " المشروع وفق التأويل الديني الدّاعشي".

مفهوم داعش الجاذِبة " الصورة الذهنيّة / المُتخيّليّة"

داعش في نظر المجاذيب الدّواعش هي الحلم الذي يتحقّق في الواقع ويحقّق الأحلام المرتجاة للمجاذيب وهي:

- بشرى النبيّ ووعده بقيام دولة الخلافة على منهج النبوّة.

[93] الجهاد العالمي هو مصطلح جديد ظهر في منتصف التسعينات عندما أعلن أسامة بن لادن أن الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما هم أكبر أعداء المسلمين، وحثّ أتباعه على مقاتلة هذا العدو بغض النظر عن المكان وطبيعته، وهذا التركيز عمل على الانتقال من العدو القريب (الأنظمة الكافرة) إلى العدو البعيد (الغرب أو الحلف الصّهيوصليبي)، الأمر الذي جعل مؤيدي هذا الجهاد العالمي يبدؤون بضرب المصالح الغربية الموجودة في العالم والعالم الإسلامي. وقد شهد تيّار الجهاد العالمي ما بعد ضربات سبتمبر ٢٠١١ جدلا حول العلاقة بين أهميّة الجهاد أو الجهاد المعولم الذي يهدف لمواجهة "الحلف الصهيوصليبي العالمي" والجهاد القطري الذي يهدف لإسقاط من يُعتقد أنّهم وكلاء هذا الحلف العالمي والمسمّون " أنظمة الردّة".

- عودة زمن الفتوحات والبطولات والملاحم والغنائم.
- دولة جديدة تنتدب شعبا جديدا وحكاما وموظفين جددا دون المرور عبر المناظرات واختبار الكفاءة وفق المعايير المتعارف عليها.
- تشغيل عال الأجر في الدّولة الجديدة دون انتظار الدّور والمصعد الاجتماعي.
- مشاعر الفخر والاعتزاز بالذّات وشرف الانتساب للقلّة التي تُعيد مجد الإسلام وترفع راياته وتطبّق شرائعه وتقيم دولته.
- الانتقال من هامش الهامش "هامش المناطق المحرومة" إلى تأسيس مركز جديد "مركز الدّولة الجديدة/ دولة الخلافة " هم فيه القادة والحاكمون والمالكون.

خلاصة سرديّة الجذب و استراتيجياتها

كلّ ما ورد سابقا في العرض التّحليلي يمكن تلخيصه في ثيمة سحريّة آسرة هي الفوضى العارمة باعتبارها مدخلا أساسيّا لإقامة الخلافة الإسلاميّة. والمقصود بالفوضى في أقصى مظاهرها انهيار كامل للدّولة ومؤسساتها وانتفاء لوظائفها الأساسيّة "الأمن/ الغذاء/ الخدمات الحيويّة" والاقتصار على الوظائف الدّنيا في تكريس ضرب من نمط الحياة البسيطة. وللفوضى دور بنيوي في جذب الشّباب إلى خطّة بناء الخلافة فهي بمثابة طقس عبور من الفناء إلى الانبعاث من جديد على طريقة الحركات الخلاصيّة المسيانيّة. فبالإضافة إلى أنّها تُطهّر المنتمين إليها وتخلّص العالم والبشر من شرور الدّولة الطّاغوتيّة ورموزها، فإنّها تفتح للمخلَّصين المجال لإظهار قدراتهم ومواهبهم في قيادة دولة الخلافة.

ويعتبر كتاب إدارة التوحّش لأبي بكر ناجي أهمّ نصّ أسّس للفوضى العارمة أو التوحّش[٩٤] أساسا لقيام دولة الخلافة. وقد ازدادت وتيرة الإيمان بثيمة الفوضى منذ ثورات الرّبيع العربي التي أسقطت أنظمة استبداديّة خلخلت بناء دول كليانيّة وفتحت أبواب للفوضى. ويصنّف هذا الكتاب ضمن الاجتهادات التي شهدتها أدبيّات تيّار القاعدة وخططه الاستراتيجيّة وقد ثمّنه الكثير من دعاة الجهاد العالمي من قيادات تنظيم القاعدة وتبنّوا ما فيه من تصوّرات وخطط. سرديّة الفوضى المحمودة أو التوحّش إذا هي قلب استراتيجيات الجذب، وهي التي تُدمج كلّ هذه الفئات غير المتجانسة وتصهرها ضمن مشروع جديد للانتظام الاجتماعي والسياسي وبناء الشخصيّة وجدانيّا وذهنيّا وثقافيّا.

وتبقى كلّ الوسائل والوسائط وتقنيات التواصل والإعلام والاستقطاب أدوات للتبليغ والتّأثير والإقناع وصنع عوالم وجدانية مبهرة للجهاد وأبطال وإيقونات وأناشيد وقصائد وقصص للبطولة والنّصر والتّمكين والتغلّب على الأعداء، وتصوّير حياة المجاهدين في الجبال والوديان والمناطق الوعرة، ومشاهد القتال وإلحاق الخسائر بالعدوّ، وخاصّة لقطات الاستشهاد حيث تفيض الرّوح من وجوه مبتسمة وتدفن الأجساد بين الصّخور والثّلوج على أرض المعركة، ليشكّل كلّ

---

[٩٤] التوحش: عبارة استعملها مؤلف كتاب إدارة التوحّش، ويقصد بها تلك الحالة من الفوضى التي ستدب في أوصال دولة ما أو منطقة بعينها إذا ما زالت عنها قبضة السلطات الحاكمة. ويعتقد المؤلف أن هذه الحالة من الفوضى ستكون "متوحشة" وسيعاني منها السكان المحليون، لذلك وجب على القاعدة –التي ستحل محل السلطات الحاكمة تمهيدا لإقامةالدولة الإسلامية– أن تحسن "إدارة التوحش" إلى أن تستقر الأمور. علما وأنّ التوحّش أفضل من الحكم الطّاغوتي في ظلّ الدّيمقراطيّة مهما كانت مساوئ التوحّش أي الفوضى العارمة.

ذلك قصّة منسجمة متناسقة ضمن سياق سمعيّ و بصري يتراوح بين الأناشيد الجهاديّة والخطب التّعبويّة ومشاهد القتل والاستشهاد،. قصص تُروى وتَروِي ظمأ الشّباب المتديّن الباحث عن نموذجه وقدوته[٩٥] ونجمه أمام فئات أخرى من الشّباب اختارت نجومها من مجالات الفنون والرّياضة و السّياسة.

قصص تُروى و تُنشد بتقنيات و فنيات عالية[٩٦] و يتناقلها المجاذيب بشوق وحنين إلى النّصر والشّهادة وحور الطّين وحور العين، كلّ ذلك في غياب التّأطير التربوي والثّقافي والمعرفي للدّولة الوطنيّة ومؤسّساتها وهيئاتها ونخبها التي لم تعد تمثّل سرديّة جاذبة تحقّق الامتلاء والارتواء والإحساس بالانتماء.

بل يمكن القول أنّ الغياب شبه التامّ لرعاية الدّولة ومؤسّساتها والمجتمع المدني والنّخب الأكاديميّة والثّقافيّة، يجعل من داعش استجابة طبيعيّة وضروريّة "بالمعنى السوسيولوجي للضّرورة" لإخفاقات دولة الاستقلال في سياسة تأطير الشّباب ثقافيّا وتربويا وتعليميا ودينيّا؛ حيث بقيت الثقافة مدينيّة في العموم بل لا تتوفّر حتّى لأبناء المدن. إذ تُحرم منها أبناء الأحياء الشعبيّة المهمّشة في حزام العاصمة وضواحيها والمدن الكبرى. وبقيت الثقافة حكرا على فئات محظوظة أو نُخبويّة، كما غابت مؤسّسات التّأطير والجهات المرجعيّة المحكّمة في الشّأن الدّيني التي تجيب عن الأسئلة والتحدّيات التي تُواجه الشّباب.

يمكن أن نعتبر نجاح استراتيجيات الاستقطاب الدّاعشي على اختراق عقول ووجدان شباب تربّى في مدارس الاستقلال وجامعاتها مؤشّرا خطيرا على ضعف مسارات التّحديث الذي انتهجته الدّولة الوطنيّة نخبها في مجالات التربية والتعليم والثقافة؛ حيث فشلت في تبيئة الحداثة داخل ثقافة الشعب وهويّته، ممّا يدعو إلى المسارعة بتلافي ذلك عبر ضبط استراتيجيات شاملة لمقاومة التّهميش الاجتماعي والثّقافي والتربويّ باعتبارها الإطار السّليم الذي يجعل الخطط الأمنيّة في مواجهة هذه الظّاهرة ذات مردوديّة ونجاعة وفاعليّة. حيث لا يمكن في أيّ دولة مهما كانت سياساتها الأمنيّة محكمة أن تخصّص فريق حراسة أمنيّة في كلّ شارع ومنعطف وزقاق ومنشأة ومبنى وتتولّى حراسة كلّ مواطن على امتداد الليل والنّهار طول السّنة في الفضاءات العامّة والخاصّة، و حتّى إن تمكّنت من أقدار واسعة من الضبط والمراقبة فلن تتمكّن من اختراق العقول والوجدان لممارسة نفس دور الرّقابة.

لذلك لا بدّ من الاستثمار في الوعي المواطني العامّ: الوعي الثقافي والدّيني والمعرفي والمنهجي والتربويّ ، هذا الاستثمار وإن بدا طويل المدى قياسا للمخاطر الآنيّة العاجلة الماثلة على الأرض، فلا بدّ له من بداية، علما أنّ هذا الاستثمار استراتيجي وله أثر دائم وناجع وذو مردويّة مباشرة. والأهمّ أنّه لا يقاس بالزّمن الرياضي، فيكفي مجهود وطني حقيقي وجدّي يشارك فيه كلّ الفاعلين المدنيين والثقافيين والدينيين والتربويين والأكاديميين والإعلاميين لصنع حالة من الوعي الإنساني واليقظة الوطنيّة المواطنيّة والصّحوة الروحيّة التي تنتصر لقيم الحياة والحريّة وكرامة الإنسان وحرمته الجسديّة والمعنويّة والحقّ في الاختلاف ومبدأ التّعارف وحسن المعاملة وأعمال الخير باعتبارها قيما كونيّة حداثيّة وإسلاميّة في

[٩٥] وجد فئات من الشّباب التونسي المتديّن في سنوات الألفين وما بعدها قدوته في شخصيّة سلفيّة جهاديّة باهرة، تختزل كلّ أشواق الشّاب المسلم المعاصر وتداوي جراحه الحضاريّة، وتجسّد بشكل لافت نموذج البطولة الإسلاميّة وقصص الشّرف والفتوّة والرّجولة والشّهامة والتّضحية في سبيل العقيدة، هذه المعاني والقيم التي اقتصر تجسيدها على شخصيّات التّاريخ الإسلامي الأوّل والوسيط شخصيّة سامر بن صالح بن عبد الله السويلم المشهور بـ: خطّاب الذي ورد اسمه في غالب وثائق البحث الابتدائي والتّحقيقات الخاصّة بموقوفي السلفيّة الجهاديّة، باعتبار أنّ الشّريط الذي يجسّد سيرته وجهاده " جحيم الرّوس " كان أداة أساسيّة للاستقطاب وللتّعبئة والشّحن العاطفي.

[٩٦] من أشهر منشدي داعش أبو هاجر الحضرمي الذي تلهب أناشيده حماسة المقاتلين.

نفس الوقت. يكفي هذا الجهد ليثمر في وقت قياسي وعيا جماعيّا وحدّا من الحصانة والمناعة التي تقي شبابنا من الانجرار الأعمى وراء خطاب الاستقطاب وحالة الانجذاب.

الدعاية والإعلام، أدوات توغّل في يد "داعش"

ماركو لومباردي

الإعلام والحرب الهجينة

منذ تأسيس تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" "داعش" كدولة خلافة في حزيران/ يونيو من العام ٢٠١٤، لفتت «داعش» الأنظار إليها باستخدامها شكلاً إعلامياً معيناً من جملة من الأمور. في الواقع، لطالما عبّر الإرهاب عن نفسه باستخدام الإعلام كوسيلة للترهيب، فإن تنظيم "القاعدة" لجأ إليه هو أيضًا؛ حيث استخدم الإعلام كأداة قتالية مُجيداً الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الجديدة إلى أقصى حدّ. وبالفعل تكوّنت القاعدة منذ انطلاقها من عناصر كرّسوا أنفسهم لإخراج المنتجات الإعلامية ونشرها. كما جنّدت أصحاب مهارات محدّدة سمحت لها بالتطوّر، بدءاً من البثّ الأولي لأشرطة فيديو بدائية صُوّرت على أرض «الجهاديين المدمجين» مروراً بأشرطة الفيديو المليئة بالتأثيرات وخاصيّة مفتاح الكروما والعناوين في أسفل الشاشة وتأثير تلاشي الصورة وكل ما توفّر من جديد في عالم التكنولوجيا، وصولاً إلى استخدام أوّل منصّات وسائل التواصل الاجتماعي. إلّا أنّ «الدولة الإسلامية» قد شدّدت على أهميّة الإعلام للإعلان عن مشروعها الواضح من خلال الاستخدام الذكي والمتطوّر لاسمها، حيث أنّ هدف «الدولة الإسلامية» هو تأسيس نفسها وجعل الأمة الإسلامية أوّلاً ثمّ المجتمع الدولي العام يعترف بها كدولة حقيقية كما يظهر هذا في استخدام الاسم نفسه: أي «الدولة الإسلامية في العراق» عندما تمركزت في الأصل في العراق بشكل خاص، و«الدولة الإسلامية في العراق وبلاد الشام» أو «الدولة الإسلامية في العراق والشام» عندما توسّعت نحو سوريا وبلاد الشام، دامجةً في اسمها إشارات أسطورية ورمزية إلى الشام[1]، وأخيراً «الدولة الإسلامية» بكل بساطة وفعالية عندما لم يعد أي تنويه جغرافي لازمًا لإثبات الخلافة التي تخطّت الحدود القومية. فهو إذاً اسمٌ مثير للاهتمام إعلامياً بفعل تنويهاته الجغرافية السياسية ولأنّ هدف الإسلاميين مصوّر بوضوح في كلمة «الدولة». فمنذ نشأتها، تظهر الدولة الإسلامية وجهتها التأسيسية في إنشاء دولة بين الدول الأخرى، ما يشكّل استثناءً بين الجماعات الجهادية الأقرب إلى القاعدة حتّى في شكلها التنظيمي الذي توقّع تأسيس الولايات. في الواقع، إنّ نموّ «الدولة الإسلامية» يعكس تطوّر منظمة إرهابية أصبحت كياناً يسيطر على مساحات واسعة من الأراضي، منها بعض المدن المهمّة الأساسية في سوريا والعراق، وتزودهم في مجموعة منوّعة من الخدمات البيروقراطية والإدارية. ومن بين هذه الخدمات على سبيل المثال «الأمن والعدل» بالإضافة إلى النظام في مناطق نزاع لم يعش سكّانها سوى فوضى الحرب والصراع بين الأطراف المتنافسة خلال السنوات الأربع الأخيرة. كما أنّها أسّست نوعاً من إدارة حكومية تتمتّع بميزانيةٍ (أعلنت سكّ عملتها الخاصّة بالفضّة والذهب) تجمعها من الضرائب: أقساط المدارس وغرامات مخالفات قوانين السير وجمع النفايات، هذا

---

[1] سوريا الحالية هي قسم من سوريا الكبرى (الشام) فقط: بالنسبة إلى الإسلام الأكثر تطرّفاً، إنّ سوريا تعني «سوريا الكبرى» التي تمتدّ بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط ونهر الفرات، ومن أقصى الصحراء العربية وصولاً إلى جبال طوروس في جنوب تركيا. وهي توازي اليوم إلى حدّ ما الدول الحالية التالية؛ قبرص ولبنان وسوريا وفلسطين والأردن وإسرائيل وجنوب تركيا. وتقليدياً، تُعرف هذه المنطقة باسم «الشام» أو «بلاد الشام» المليء بالإثارة بالنسبة إلى الجهاد: «لقد قال محمّد: "ستُقسمون إلى جيوش. أحد هذه الجيوش سيكون في الشام وآخر في العراق وآخر في اليمن" (عبد الله بن حوالة). في الحقيقة، تشكّل سوريا بالنسبة إلى كل مسلم جزءاً من «الجغرافيا المقدّسة»، وبالنسبة إلى الإسلام المتطرّف، أصبحت الموقع المثالي والقيّم حيث يُطبّق الجهاد بأسلوب عنيف.

بالإضافة إلى الأموال الناتجة عن تهريب النفط والآثار والخطف أو الاتجار بالبشر والأسلحة والمخدرات. إنّ هذا التطوّر في كيان «الدولة الإسلامية» في العراق وسوريا هو نموذج لتعزيز تطوّر «الدولة الإسلامية» في بلدان أخرى من خلال التابعين لها. وعلى ما يبدو، يمر هذا التطوّر بمرحلة أولى يتم فيها الانضمام إلى الخلافة وإعلان الولاء لها، ثمّ ينتقل إلى مرحلة تكثيف النشاط العسكري لينتهي بعد ذلك إلى ترسيخ مكانته عن طريق تطبيق النموذج الإداري.

في إطار تطوّر هذا المشروع، يتّخذ الإعلام طابعاً مميّزاً لأنّ الأرجح أنّ «داعش» أجادت تثبيت نفسها أفضل من الذين يحاربونها في الإطار الجديد لما يُعرف بـ«الحرب الهجينة» وهي الطريقة التي تتدهور بها الأحداث لتصبح «حرباً عالمية ثالثة». فقد أعلن رئيس الجمهورية الإيطالية سرجيو ماتاريلا في ١٩ آب/ أغسطس ٢٠١٥ أنّ "الإرهاب الذي يتغذّى من التشويه المتطرّف للإيمان بالله يحاول زرع بذور حرب عالمية ثالثة في حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط وأفريقيا (...)». وقبل حوالي سنة بالتحديد (١٨ آب/ أغسطس ٢٠١٤)، أعلن البابا فرنسيس خلال رحلة العودة من كوريا الجنوبية: «دخلنا في الحرب العالمية الثالثة، إلّا أنّهم يتقاتلون بأجزاء وعلى فصول»، مندّداً لاحقاً بقسوة الحروب غير التقليدية التي بلغت «مستوىً مخيفاً من الوحشية». يبدو أنّ هاتين الشخصيّتَين الصارمتين والهادئَتين قد فهمتا أفضل من الآخرين المسرح السياسي الجغرافي الجديد الخاص بـ«الحرب الهجينة»، ألا وهو تعدّد مسارح الصراعات بلاعبين مختلفين (من جيوش ومقاتلين تقليديين وإرهابيين وجريمة منظّمة ومنظمات غير حكومية وإعلام، وما إلى ذلك) يحافظون على علاقات متعارضة من دون تشاطر بعض القواعد المنظمة. بعبارات أخرى، إنه نوع جديد من الحرب، نوعٌ واسع النطاق والانتشار وغير مركزي لا يُعلن لا عن بدايته ولا عن نهايته، وتُستخدم فيه على الأرجح كافة أنواع الأسلحة من قبل جماعات بالبذلات العسكرية أو من دونها، وحيث يشكّل الإرهاب لاعبًا رئيسيًا[٢]. ويتعلّق الموضوع بشكل جديد من الصراع في العالم المعولم؛ حيث أن الحروب المحلّية تكون مترابطة بشكل متبادل ومتواصلة بشكل محتمل ولها مشروع استراتيجي واحد. يبدو أنّ هذا النوع من الصراع موجودٌ ومُحدّث في سعي «داعش» إلى التوسّع بإدراك كبير مقارنةً بردّات الفعل قليلة التماسك التي تواجهها بها التحالفات المختلفة التي تحاربها.

إذاً، إنّ الحرب الهجينة كسياق عام، ومشروع المأسسة كسياق خاص، يحدّدان استراتيجيات «الدولة الإسلامية» منذ نشأتها، ولا سيّما العمليّات التي جعلت منها لاعباً خلال السنة الأولى المفصلية بالنسبة إلى هذا «التنظيم الناشئ» والتي شهدت استخدام الأدوات التالية الرئيسية: التوغّل في الأراضي في ما يُعدّ سلوكاً عزّز وجوده في بلاد الشام، والتوغّل الإعلامي الذي وُجّه للدعاية والتجنيد.

بعض الأمثلة حول الإعلام

كما أكّدت في ما سبق، إنّ عنصر الدهشة هو ما ميّز منذ البدء إعلام الجماعت المتطرفة، وهي دهشة تعود إلى التشديد على تكنولوجيات الإعلام المستخدمة على أعلى مستويات الجهاد. إلّا أنّ الجديد الفعلي «للدولة الإسلامية»

[٢] تمّ التعمّق مؤخراً بمبدأ «الحرب الهجينة» لا سيّما من قبل منظمة الناتو عقب التدخّل الروسي في أوكرانيا. للاطلاع أكثر على الموضوع، يرجى القراءة: www.nato.it

هو أنّه نجد أنفسنا للمرّة الأولى أمام قيادة كفوءة في استخدام الوسائل الإعلامية المختلفة، وليس التقنيات فحسب، في إطار سيطرة سياسية وعسكرية أكثر تعقيداً لتثبيت الإسلام المتطرّف داخل منطقة معينة.

وكان للإعلام دور رئيسي يتخطّى «عمليات الحرب النفسية» التقليدية في ما يُعرف بالحرب الهجينة التي يزيد فيها تفاوت اللاعبين وأراضي المعارك.. ولهذا السبب، قام الجيش البريطاني في نيسان/ أبريل ٢٠١٥ بتشكيل فرقة الخبراء الأولى والوحيدة المتخصصة بـ«المحاربة على شبكة الإنترنت». إنّه «اللواء السابع والسبعون» الذي يُعرف بلقب «تويتر تروبس» (أي قوّات تويتر) التي تقضي مهمّتها بإعاقة توسّع «الدولة الإسلامية» لا سيّما وسائل التواصل الاجتماعي الخاصّة بها. ويشكّل هذا خطوة مهمّة في استراتيجيات التصدّي العسكرية التي ستطلق للمرّة الأولى نشاطات حركيّة معيّنة في العالم الافتراضي (خطوات محاربة غير تقليدية وغير قاتلة في هذه الحالة) وستمتلك أهدافًا صريحة في المواجهة.

في سياق محاربة «داعش»، تتخذ دراسة الإعلام أهميّة فريدة. ومن المهمّ تذكّر أنّ كل عملية إعلامية تزوّد معلومات حول أهداف المصدر الإعلامي واستراتيجياته في حين أن فهم تقنيّات الإنتاج (المهارات والأدوات) يوفّر المعلومات حول الموارد البشرية المستخدمة والحاجات التكنولوجية للإنتاج. وتكشف دراسة تقنيّات البثّ (بنية تحتية والعمل اللوجستي) عن نوع القنوات التي تُستخدم والمهارات والتنظيم الإعلامي للمصدر. أمّا صياغة الرسالة وتركيبتها فتكشف عن الرموز اللغوية والمجازية، وبالتالي عن الثقافة التي تربط الجمهور بالمصدر، بينما يساعد تحليل المتلقّين في هذه الحالة على تحديد خصائص الراغبين بالانضمام إلى الجهاد والمتعاطفين مع أهدافه. ويُعدّ هذا صحيحاً بشكل خاص بقدر أهميّة الإعلام المنتج؛ فإذا كان الإعلام مصلحة استراتيجية بالنسبة إلى «داعش»، يشكّل إعلام «داعش» أيضاً نقطة ضعف محتملة بالنسبة إلى الطرف الذي يحاربها.

في ما يلي بعض الأمثلة المعيّنة حول اتصالات حصلت مؤخراً:

- *العلاقة بالجريمة المنظمة*

ثمة علاقة مؤكدة بين الجريمة المنظمة والإرهاب تعود إلى زمن بعيد، فهناك رابط «الربح المتبادل» من طرق تشغيلية مختلفة تلتقي لصالح «القيام بالأعمال». وتظهر منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا برمّتها التقاءً للشبكات، لا سيّما في منطقة شمال أفريقيا، وهو التقاء يسهّل التبادل بين الجريمة المنظمة والإرهاب ويجعله مفيداً. ويُعدّ المثل الليبي خير مثال عن ذلك. فعلى أرض الواقع تتقاطع عمليّات تهريب الأسلحة والمخدرات واللاجئين السريين والمنتجات، ويتمّ هذا التداخل بأشكال متعددة. على سبيل المثال أيضا، تعمل الجماعات الإرهابية كمزوّدة خدمات ضامنة للتفاصيل اللوجستية والأمن بغض النظر عن المواد المنقولة أو يُستخدم اللاجئون كناقلين للمخدرات وهكذا دواليك[٣]. والمثل الصارخ هو وجود التنظيم في بعض مناطق موريتانيا ومالي حيث يؤمّن الدعم اللوجستي لتجارة المخدرات الآتية من أميركا اللاتينية، وذلك من خلال استخدام مجال هبوط مؤقت في الصحراء. ثمّ يأتي الجهاديون ليرافقوا المواكب التي تحمّل وتنقل البضائع إلى سواحل شمال أفريقيا. وتقدّر المصادر الاستخباراتية عدد المقاتلين بحوالي ٢٠ ألف علمًا بأنهم ليسوا تابعين بالضرورة «للدولة الإسلامية» وهم متورّطون مباشرة بعمليات الإتجار، بالإضافة إلى وجود كبير لمجموعات

[٣] على سبيل المثال، وبحسب تقديرات مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، يشكّل الكوكايين الذي يعبر الصحراء باتجاه أوروبا نسبة ١٤٪ من المجموع، ما يوازي ١,٣ مليار دولار. أمّا عدد الأسلحة التي تمّ استرجاعها بعد تمرّد الطوارق فهو أقل من ٤ آلاف، بالإضافة إلى ١٢ ألف مقاتل مسرّح، في حين يبلغ عدد تلك الآتية من ترسانة القذّافي ٤٥٠ ألف.

الطوارق والتبو، وهما مجموعتان عرقيّتان من شبه الرُحّل لطالما سيطرتا على التجارة غير القانونية عبر الحدود. إنّه في الواقع تعامل بشكل متبادل وعملي بين جماعات مدمجة أكثر فأكثر وعبر حدود المنظمات المبهمة لا سيّما في شمال أفريقيا. والمثير للاهتمام هو البرهان على أنّ هذا التبادل يتمّ على أسس استراتيجية وأنّ «الدولة الإسلامية» مدركة لذلك. إذ يُقدّر أنّه في أيلول/ سبتمبر، وعبر طُرق الهجرة غير الشرعية، انتقل ما بين ١٠٠ و٢٠٠ مقاتل من «بوكو حرام» للقتال إلى جانب «الدولة الإسلامية» في ليبيا.

وكانت الخلافة نفسها مَن أطلعنا على هذه المعلومة الاستراتيجية في مقال كانتلي الذي نُشر في مجلّة «دابق» (العدد ٩، ٢٣ أيّار/ مايو ٢٠١٥: ٧٤- ٧٧) تحت عنوان «العاصفة المثالية»؛ حيث تم توجيه تهديد بتنفيذ هجوم بالمواد الإشعاعية في الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا هجوم يصفه الكاتب نفسه بجزء من سيناريو مستبعد (a scenario is far-fetched). والأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو الإعلان الواعي عن اندماج «الدولة الإسلامية» المثالي في شبكات الجرائم. إذ تستخدم «الدولة الإسلامية» المال للرشوة ولامتلاك السلاح النووي من باكستان؛ فمن خلال شبكة المجاهدين، تُنقل البضائع من ليبيا إلى نيجيريا ثمّ إلى غرب أفريقيا، ومن هناك وعبر شبكة المخدرات في كولومبيا عبر البحر، ثمّ باتجاه الشمال عبر قنوات الهجرة غير الشرعية وصولاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية. إذاً، إنّ شبكة الإنترنت والعلاقة بين الجريمة والإرهاب هي مثبّتة وهي أداة مهمّة لتوغّل «الدولة الإسلامية» واستقرارها واغتنائها.

- *الهجرة والمقاتلون الأجانب والمستعمرون*

«دابق» هي مجلّة ناطقة بالإنكليزية توزّعها «الدولة الإسلامية» (بلغت العدد ١٤ اليوم في تاريخ كتابة هذه الورقة). في شهر آذار/ مارس ٢٠١٥، تمحور عددها الثامن الصادر تحت عنوان «نداء الهجرة» حول النداء إلى الهجرة حافلاً بالإشارات المعهودة إلى العقيدة الإسلامية[٤] لدفع المسلمين الذين يتجانسون مع دعوة «الدولة الإسلامية» إلى الانضمام إلى صفوفها. يتعلّق الأمر بتفسير إحدى استراتيجيات توغّل «الدولة الإسلامية» ذات التداعيات والأوجه المتعددة. في الواقع، يشمل هذا، بشكل عام، إمّا الهجرة بمعنى الهجرة نحو «الدولة الإسلامية» أو الجهاد في بلدان المنشأ. إنّ هذه الدعوة الموجّهة إلى بلدان البلقان هي خير مثال على ذلك لاحتوائها هاذين المعنيين، إذ تُعتبر البلقان أرض توسّع مهمّة للخلافة. ففي ٥ أيّار/ مايو ٢٠١٥، بثّت «الدولة الإسلامية» عبر «مركز الحياة للإعلام»، الذي يُعدّ شركة إنتاجها الرئيسية، شريط فيديو موجّهاً بشكل خاص إلى تلك الشعوب، ولا سيّما إلى البوسنة والهرسك تحت عنوان: «الشرف في الجهاد: رسالة إلى شعب البلقان». كان الهدف واضحاً، وهو تحريك مسلمي البلقان ودفعهم إلى الالتحاق بـ«الدولة الإسلامية» أو القتال لصالحها في ديارهم بكافّة الوسائل المتاحة لهم. إنّ «مشروع الهجرة» الذي أطلقته «الدولة الإسلامية» هو مشروع منظّم، فقد دعى في المرحلة الأولى إلى تجنيد المحاربين الأجانب – وهم محاربون مستعدّون للموت على أرض المعركة أو العودة للقيام بهجمات في بلدانهم، أما في المرحلة التالية الأكثر حداثةً فحفّز على تجنيد «محاربين» تقنيين وخبراء ليعملوا وراء خط المواجهة في تنظيم الاتصالات والأعمال اللوجستية وخدمات الدولة. بالإضافة إلى هؤلاء، بدأ المشروع باجتذاب النساء ليتزوّجن في معظم الأحيان من المحاربين، بحيث اتّبع مخططاً لاستعمار الأراضي وتمركز بين سكّانٍ تشاركوا رؤية الإسلاميين المتطرّفة نفسها على الرغم من تعدد انتماءاتهم العرقية التي تختلف في ظاهرها. وفي هذه المرحلة بالتحديد، في إطار الحرب الهجينة، بدأت «الدولة الإسلامية» تستفيد من موجات الهجرة

[٤] الهجرة هي انتقال النبي محمد في العام ٦٢٢ من مكّة إلى المدينة المنورة.

الناتجة عن التطهير العرقي الممارس في الأراضي المحتلّة ومن الصراع بشكل عام. ويعتبر هذا التدفّق عمليًا في إضعاف أوروبا بشكل خاص من خلال تحفيز التفكّك، وبلدان الشرق الأوسط التي تواجه ضغط اللاجئين الذي لم يعد يُحتمل، وجمع الأموال عن طريق الإتجار بالبشر، والاستفادة من طرق الهجرة لإدخال مقاتلين محتملين عائدين، والاستفادة من اللاجئين سواء عن طريق التجنيد (بصورة نادرة) أو عن طريق سرقة الهويّة (استخدام بطاقات الهواتف والأوراق الثبوتية).

- *تهديدات ليس لإيطاليا فحسب*

في ١٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦، فاض الإعلام الإيطالي بإعلانات لقائد القاعدة في المغرب العربي أبو يوسف العنابي، حيث جاء في رسالته التي يعلّق فيها على الاتفاق حول ليبيا والذي تمّ التوصّل إليه في مدينة الصخيرات في المغرب ما يلي: ليبيا «قد بيعت للغرباء»، فإيطاليا قد احتلّت البلاد وطرابلس، «أنتم أيها الغزاة الجدد أحفاد غرزياني، ولتعضنّ أصابع الندم جراء دخولكم أرض المختار، ولتخرجن منها أذلة صاغرين بإذن الله رب العالمين»، «نحن قوم لا نستسلم، ولن تمروا لأهلنا وثرواتنا في ليبيا إلا على أشلائنا، ننتصر أو نموت». وليست هذه الرسالة موجّهة حصرياً إلى إيطاليا كما وصفها الإعلام المعتاد، بل إنّها أكثر شموليّة بعنوانها «بين يدي العدوان.. فالحذر الحذر». لقد استخدم أبو يوسف العنابي الخطاب الليبي التقليدي المعادي للاستعمار، وظهر بصورة جانبية على خلفية صورة البطل الليبي في المقاومة ضدّ إيطاليا عمر المختار، مع العلم أنّ الصورة المستخدمة في التسجيل الصوتي غالباً ما تظهر في الكتب الإيطالية وتترافق بالشرح التالي «عمر المختار هو بطل المقاومة الليبية في وجه الاحتلال الفاشي، أُعدم شنقاً في معسكر سلوق في أيلول/ سبتمبر ١٩٣١ عن عمر السبعين عاماً». وفي ٢٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٦، بُثّ فيديو باسم «داعش»، هذه المرّة امتدّ على حوالي ٢٨ دقيقة أُدخل فيه مشهد من فيلم «أسد الصحراء» الشهير العائد للعام ١٩٨١ والذي صُوّر في ليبيا وروما ومدينة لاتينا، وقد موّله القذّافي بشكل جزئي بمبلغ ٢٥ مليون دولار. وتدور أحداث هذا الفيلم عندما حاربت قوّات عمر المختار في ليبيا ضدّ الجيش الإيطالي الذي كان على رأسه الجنرال رودولفو غرزياني في عشرينيّات القرن الماضي. بشكل عام، يتألّف الفيديو بكامله من تراصف لأجزاء لكتّاب أو صور سبق أن بُثّت وتظهر أيضاً راز ديغان بدور إمبراطور بلاد فارس داريوس الثالث. إنّ الخطاب المعارض للاستعمار والذي أُعيد اعتماده من قبل «تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» هو الخطاب نفسه الذي اعتمدته «داعش»، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرموز والشخصيّات. إنّ المتاجرة بالبطل الليبي (عمر المختار) والمواضيع المستخدمة هي أمور شائعة. ففي سياق استراتيجية غير اعتباطية بل كفوءة في استخدام الإعلام، يزوّد هذا الالتقاء على المواضيع الإعلامية أدلّة إضافية على التحالف التدريجي بين «داعش» و«تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» في شمال أفريقيا ويطرح علامات استفهام مهمّة في ما يتعلّق باحتمال وجود «استشارة» إيطالية في تحرير المنتجَين الإعلاميين اللذين تُستخدم فيهما رموز ومنتجات (صور وأفلام) من إنتاج إيطالي. وبالإضافة إلى ذلك، لقد سجّلت استراتيجية الجهاد الإعلامية الكفوءة هدفاً صائباً. ولا يتعلّق الأمر هنا بالدعاية فحسب، بل يناقض الرواية السائدة القادرة على تفرقة أعداء الإرهاب (إنّ الإتيان على ذكر الاستعمار في أوروبا يفتح المجال للجدل!). وعلى وجه الخصوص، تُعتبر هذه الاستراتيجية دقيقة وهادفة (وفعّالة في هذه الحالة) إلى تنظيم القبائل الليبية ضدّ المحتلّ الجديد الذي يذكّر بأشباح تاريخية. فالنجاح مضمون (كما سبق أن قال لي قائد الإخوان المسلمين في طرابلس) و«تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي» و«داعش» يطرحان نفسيهما كمجموعة مُوحّدة في وجه الاستعمار الجديد.

استراتيجية «داعش» الإعلامية وبعض نقاط الخلاف

لقد تمّت الإضاءة أكثر من مرّة على وجود العنصر الجديد في إعلام الخلافة لا سيّما في استراتيجية معقّدة ومنظّمة. يشكّل هذا العنصر الجديد في الإعلام، إلى جانب تقديمه وقائع محددة يمكن تحليلها حالة بحالة (أمثلة سابقة)، جزءًا من مشروع واسع يُنظّم في بعض المنتجات الإعلامية:

- الاستخدام المكثّف لوسائل التواصل الاجتماعي (تويتر، وفايسبوك، والدردشة والمنتديات) التي تروّج لتصرّفات تنتشر بشكل معدٍ و مقلّد من خلال سرد بطولات الجبهة في أغلب الأحيان، مع التشجيع على التجنيد لا سيّما في صفوف المحاربين الأجانب؛
- أشرطة فيديو تروّج لـ«إعلام الرعب» كعمليّات قطع رؤوس الأعداء، وتُوجّه للتسبب بصدمة عاطفية عميقة، مهدّدةً الجمهور بالغربي ودافعةً، في الوقت عينه، المنتسبين إلى الإبقاء على الأعمال المتطرّفة؛
- نشاط معاكس للرواية السائدة، ومخرجه هو الصحافي البريطاني كانتلي المحتجز لدى «الدولة الإسلامية». بهذه الطريقة، يتمّ الغوص في حجج البلدان التي تحارب «الدولة الإسلامية» مع تقديم رؤى بديلة غير بعيدة عن الحجج الموجودة أصلاً في الغرب، وذلك لتشجيع تفكّك «جبهة العدوّ»؛
- منتجات إعلامية حقيقية وفعلية (النشرة الإخبارية «للدولة الإسلامية» المحرّرة أيضاً على مستوى الولايات) تصف الخدمات التي تقدّمها «الدولة الإسلامية» إلى «مواطنيها» في الأراضي التي تسيطر عليها، وذلك بهدف جذب عائلات الجهاديين الذين يُعتبرون المستعمرين الجدد الضروريين لاستراتيجية المأسسة؛
- مجلّات مثل «دابق» تُنشر على شبكة الإنترنت بلغات عدّة (العربية والإنكليزية والفرنسية والتركية والأندونيسية، إلخ.) وهي موجّهة إلى متعاطفين منتشرين حول العالم؛ وتتطرّق هذه المنشورات إلى مواضيع سياسية ودينية، كما تطلع القرّاء على مهارات تشغيلية وأهداف محتملة لضربها؛
- ألعاب تفاعلية تُعدّ نوعاً من إعادة إصدار لألعاب غربية معروفة (مثل لعبة «سرقة السيارات الكبرى»: «صليل الصوارم») لاصطياد ما يُعرف بالإنسان الرقمي، أي الشباب، من خلال عملية التلعيب (التعلّم والتخالط الاجتماعي من خلال اللعب)؛
- راديو وتلفزيون عبر شبكة الإنترنت، ليتم بذلك تحديث استراتيجية الالتقاء التي تقدّم عبر الشبكة منفعة مختلفة وأكثر ديناميكية من المحتويات التي تبثّها وسائل الإعلام الأخرى.

انطلاقًا من هذا التصنيف، يبرز بوضوح كيف أنّ الاستراتيجية الإعلامية المركّبة ليست عرضية بل تستخدم مهارات خاصّة بعالم الإعلام الدولي ذات النطاق الواسع والانتشار المتفشي. لذلك فإنّ عدم التعرّف عليه أو الاندهاش من استخدام الوسائل التكنولوجية يظهر التأخّر الثقافي المعتاد والعنصرية اللذين غالباً ما يصنّف بهما الغرب أعداءه لمجرّد مقاتلتهم وهم ينتعلون «الخفّان»، وهذا ما يؤدّي بالتالي إلى ضعف كبير. كما أن الأمر لا يتعلّق باستراتيجية خاصة بالجهاد فحسب، بل بعالم الإعلام أجمع أيضاً، وهي استراتيجية اعتمدتها الخلافة بشكل كفوء وجنّدت من العناصر الأجانب محاربين ليسوا قادرين على استخدام بنادق الاقتحام فحسب بل يستعملون الكومبيوتر وآلات تصوير الفيديو أيضاً.

بات واضحاً أنّ جهاز «الدولة الإسلامية» الإعلامي مبني ومؤسس على شكل نظام فعّال وكفوء يتّبع استراتيجيات معيّنة وأنّ استخدام وسائل التكنولوجيا الإعلامية أصبح بيد الجهاد منذ سنوات، ولهذا تُعدّ الحرب الإعلامية موضوعاً استثمر الإرهاب فيه أموالاً ومهارات منذ فترة. وتكمن القفزة النوعيّة التي قامت بها «الدولة الإسلامية» في الإدارة الدقيقة للمنتجات الإعلامية المتعددة على خطوط مختلفة، هي خطوط تلتقي كلّها لدعم الهدف العام ألا وهو مأسسة الخلافة ليتم الاعتراف بها كدولة. وفي هذا الإطار، يشكّل الإنتاج أو التنظيم الإعلامي أحد المكوّنات، علمًا بأنه ليس الوحيد مع أنّه مهمّ. لكن يبدو أنّ التضخيم التدريجي والتزايد المتكرر في المنتجات الإعلامية الجديدة في العام ٢٠١٥ ومطلع العام ٢٠١٦ يُبرزان هدفاً ثانياً يرمي إلى الترويج لأشكال من التطرّف لا تهدف إلى تجنيد المحاربين الأجانب فحسب بل إلى الترويج للصراع أيضاً الذي يلاقي تجاوبًا في بلدان العالم الغربي. وهي في الواقع تحاول الحصول على نتيجة غير مباشرة عاملةً على تحريك أعداء محتملين للخلافة يتمثّلون في المواطنين الأوروبيين، غير متّكلةً على الهجمات المباشرة المحتملة من النوع الإرهابي لتفجير العنف بين«الإسلام» و«الغرب» فحسب، بل على رد الفعل التي تسعى إلى استحثاثه. إذاً إلى جانب الاعتراف بها كدولة، يبدو أنّ «الدولة الإسلامية» مهتمّة بالإخلال بالمجتمعات الغربية بكافة الأحوال من خلال العنف، مشجّعةً على كل أنواع الصراعات، وبشكل أسهل تلك المستوحاة من التطرّف الإثني والديني.

إلى جانب استراتيجية الإعلام التأسيسي، تبرز استراتيجية الإعلام العاطفي، وكلاهما فخّ تستعدّ له «الدولة الإسلامية» مرّة أخرى وتخاطر في الوقوع فيه.

سأعرّف هنا هذه الخطّة الإعلامية الثانية التي تشكّل سلسلة «عمليّات قطع الرؤوس» أداة رئيسية فيها بأنّها موجّهة لـ«تطرّف ثنائي». فمن جهة، تشجّع «الدولة الإسلامية» على البحث عن مهتدين ومحاربين جدد، إذ لم ننسَ أنّ النهاية المريعة التي لقيها الطيّار قد «تمّ فهمها» على أنّها ردٌّ على الذي قد فعل الأمر نفسه بالقنابل ضدّ قرى «الدولة الإسلامية»، وأنّ الاستياء الذي أثارته لا يتشاطره بالضرورة كل المشاهدين. إذاً تروّج هذه الخطة لشكل التطرّف الذي اعتدنا عليه والموجّه للتجنيد. لكن من جهة أخرى، وبما أنّها تثير الاستياء من خلال إغضاب ومفاجأة جمهور آخر (الأوروبي)، تحثّ بذلك على ردة فعل عنيفة ضدّ عدوّ يعاد إبرازه بصورة «الوحش» (التعليق الأكثر شيوعاً في الإعلام) إلّا أنّه محدّد بخاصيّته الإسلامية.

إنّ كلتا الاستراتيجيتَين تسعى إلى تثبيت «الخلافة» كقيادة للعالم الإسلامي المقسّم إلى مجموعات مختلفة تبحث عن قائد جديد، وإلى تهديد أوروبا (المعروفة بـ«التعددية الضعيفة» في الغرب)، فتجد في زعزعتها شرعية «الدولة الإسلامية» وتفوّقها. إذا، كما هو محتمل، يرتبط هذا أيضاً بالصعوبات التي تواجهها «الخلافة» في توسّعها وبالقدرة التي أظهرتها على فهم ضعف الطرف الذي يحاربها والذي يقع دائماً في الفخ، ويمكن توقّع تصعيد قريب في المواجهة على كل مستويات الحرب الهجينة.

من الواضح أنّه في سياق معقّد للإعلام الذي يشكّل سلاحاً للحرب الهجينة، لا بدّ من الردّ بالأسلحة الإعلامية الملائمة. من هذا المنظار تنطلق مجموعة عملنا: «الفريق الإيطالي للمسائل الإرهابية الأمنية وإدارة الحالات الطارئة» (www.itstime.it). وينطلق المنهج المتّبع ممّا يُعرف بـ«استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي»

(SocMInt) لإعادة صياغتها كأداة في مقاربة أوسع أطلقنا عليها اسم «الاستخبارات الرقمية البشرية» (DiHumInt).

إنّ «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي» هي إحدى التقنيّات الهادفة إلى رصد المعلومات المفيدة لحلقة الاستخبارات من خلال مراقبة وتحليل المحتويات المتبادلة عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي تُستخدم بكثرة من قبل «داعش». في الوقت الحالي، يتمحور النقاش النظري حول احتمال اعتبار هكذا تقنية مستقلّة أو مشروطة، وبالتالي شبه مدرجة تحت «استخبارات المصادر المفتوحة». وإذ تشكل «استخبارات المصادر المفتوحة» جزءًا من المجالات والمقاربات المختلفة بحثاً عن المعلومات المهمّة (الاستخبارات التكنولوجية، الاستخبارات الجغرافية المكانية، استخبارات الإشارات، الاستخبارات البشرية، استخبارات القياس والتوقيع، استخبارات الإنترنت، إلخ)، فهي تتمثل في الجمع والتحليل والنشر المنهجي لمعلومات قد يمكن تبريرها بضرورة استخباراتية معيّنة. بيد أنّ الخطأ الأكثر شيوعاً هو التفكير بأنّ هكذا ممارسة قد تكون محصورة بالمواد المتوفّرة على شبكة الإنترنت. ذلك أن «استخبارات المصادر المفتوحة» لا تلجأ إلى الإنترنت فحسب، بل إلى الراديو والتلفزيون والصحف والمجلّات والمنشورات المؤسساتية والأكاديمية أيضاً وغيرها من المواد. وتحدّد هذه الناحية، التي غالباً ما يتمّ تجاهلها، خطًا فاصلاً واضحًا ما بين «استخبارات المصادر المفتوحة» و«استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي». فهذه الأخيرة تحصر موضوع دراساتها بالمعلومات المتناقلة عبر وسائل التواصل الاجتماعي فقط.

من الواضح أنّ الطابع الأساسي الذي يدور حوله النقاش بشأن «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي» هو رصد الأهداف التي تستحقّ الإضافة. تستطيع وسائل التواصل الاجتماعي توفير معلومات تم جمعها من الجماهير، ما يعني أنها معلومات صادرة مباشرةً عن الجمهور، وقد جُمعت بالاستناد إلى معايير معيّنة وهي قادرة على رسم الإطار العام لحالة ما بشكل آنيّ. ثانياً، إنّ «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي»، كونها تُعتبر مصدر معلومات مفيدة لعمليات الاستخبارات، ترتبط بشكل كبير بمحاولة التخفيف من «الجهل» وتحسين نوعية عملية صنع القرار مزوّدةً آخذ القرار بإطار معلومات أكثر تفصيلاً. إنّ هذا الجانب أساسي لإمكانية تحسين الأمن العام. فإذا كانت مساحة شبكة الإنترنت مستخدمة دائماً بشكل أكثر لتنظيم نشاطات إجرامية والتنسيق لها، تستطيع وسائل التواصل الاجتماعي أن تشكّل أداة قيّمة للتعرّف عليهم.

إلا أن مجال استخدام «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي» لا ينحصر بمستوى «سلبي» من المراقبة لكنها تُستخدم أيضاً بطريقة فاعلة للتفاعل مع مواضيع مختلفة على شبكة الإنترنت. فإذا كانت «داعش» تعبّر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، يستطيع من يعارضها استخدام الأدوات نفسها لمحاربتها.

إلّا أنّ «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي» ليست سوى خطوة أولى في اقتراحنا التشغيلي للمعارضة، فهي تتطوّر على ضوء فكرة بسيطة مفادها أنّ مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي، الذين تستهدفهم «داعش» في حملات التجنيد، هم شباب ينتمون إلى ما يُعرف بـ«الجيل الرقمي». لقد طوّر هذا الجيل مهارات معيّنة لا تتعارض فيها الهويّة الافتراضية مع الهويّة الحقيقية، لكنّها تشكّل هويّة معقدة تنتمي إلى كلا المجالين. وإذا كانت «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي» أداةً مفيدة لجمع المعلومات في العالم الافتراضي، إلّا أنّها ليست مساحة نظرية كافية لا لفهم الهويّة المختلطة الناتجة ولا لتفعيل النشاطات المعارضة التي يجب أن تتطوّر سواء في المجال الافتراضي أو الحقيقي. وفقاً

لقواعد الاستخبارات القديمة، فإنّ «استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي» و«الاستخبارات البشرية» تتكاملان وتندمجان في «الاستخبارات الرقمية البشرية» المرتقبة، وهي المقاربة الجديدة التي قد تسهم في إعادة إحلال التوازن في المواجهة في «الحرب الهجينة» التي أشعلتها «داعش».

المراجع:

- أ. بايفس A.BEIFUSS وف. تريفيني بيليني F.TRIVINI BELLINI، وسم الرعب: أماكن ورموز الجماعات الثورية والمنظمات الإرهابية Branding Terror: Luoghi e Iconografia di Gruppi di Rivolta e Organizzazioni Terroristiche، مجلة 24 ORE Cultura، ٢٠١٣.
- أ. عدي A.O'DAY، الحرب ضد الإرهاب War on Terrorism، المكتبة الدولية للأبحاث حول الإرهاب The International Library of Essays in Terrorism، دار نشر Ashgate، ٢٠٠٤.
- س. آركيتي C.ARCHETTI، الإعلام ومكافحة الإرهاب في العصر الرقمي: تخطي المقاربات القديمة تجاه بيئة المعلومات Communication and Counterterrorism in the Digital Age: Overcoming Outdated Approaches to the Information Environment، الإعلام الاستراتيجي لمكافحة الإرهاب Strategic Communication in Counter Terrorism، تقرير ندوة-ورشة عمل «مركز التميُّز المعني بالدفاع ضد الإرهاب»، أنقرة، ٢٠١٤.
- «مركز التميُّز المعني بالدفاع ضد الإرهاب» Center of Excellecnce Defence against Terrorism (CoE DaT)، الإعلام الاستراتيجي لمكافحة الإرهاب Strategic Communication in Counter Terrorism، حلف شمال الأطلسي (ناتو)، أنقرة، ٢٠٠٩.
- د. هولبروك D.HOLBROOK، عقيدة «القاعدة»: تشكيل وتطوّر خطاب القيادة العام The Al-Qaeda Doctrine: The Framing and Evolution of the Leadership's Public Discourse، اتجاهات جديدة في دراسة الإرهاب New Directions in Terrorism Studies، دار نشر Bloomsbury، ٢٠١٤.
- إي. هانتر E.HUNTER وب. بيرنيك P.PERNIK، تحديات الحرب الهجينة The Challenges of Hybrid Warfare، المركز الدولي للدفاع والأمن International Centre for Defence and Security، تالين، ٢٠١٠.
- ج. ناي J.NYE، القوة الناعمة: السبل نحو النجاح في السياسة العالمية Soft Power: the Means to Success in World Politics، الشؤون العامة Public Affairs، ٢٠٠٥.
- م. لومباردي M.LOMBARDI، «مشروع الدولة الإسلامية الإعلامي» Islamic State Communication Project، في «الأمن والإرهاب والمجتمع» Sicurezza, Terrorismo e Società، الجزء الأول، ٢٠١٥.
- م. لومبارديM.LOMBARDI وأ. بوراتو A. BURATO وم. ماولينو M. MAIOLINO، « من استخبارات وسائل التواصل الاجتماعي إلى الاستخبارات الرقمية البشرية» Dalla SOCMINT alle Digital Humint، في « الأمن والإرهاب والمجتمع» Sicurezza, Terrorismo e Società، الجزء الثاني، ٢٠١٥.
- ر. أ. لارش R.A.LARCHE، مشاكل الإرهاب العالمي وتطوّره Global Terrorism Issues and Developments، دار نشر Nova، ٢٠٠٨.
- ر. و. كيوهان R.O.KEOHANE وج. ناي J.NYE، السلطة والترابط Power and Interdependence، دار نشر Westview Press، ١٩٨٩.

تصدير الجهاد – لماذا يصبح الشبان الألمان جهاديين

مروان أبو طعم

أفضت الهبّات الاجتماعية المفاجئة في العالم العربي إلى القضاء على أربعة أنظمة استبدادية حتى الآن، وأفسحت المجال لقيام تكتلات سياسية جديدة، كما أدّت التقلّبات السياسية في العراق وليبيا وسوريا واليمن إلى اندلاع حروب أهلية. وبسبب انهيار خدمات الدولة والبنى الأمنية نشأ فراغٌ في السلطة نفذت إليه القوى الجهادية وصارت على نحو متواصل من الجهات الفاعلة الحاسمة. ويعود نجاح الجهاديين إلى جملة أمور منها تغريرهم بمسلمين من جميع أنحاء العالم – بما يشمل ألمانيا أيضًا – ليقاتلوا في صفوفهم.

ساد الاعتقاد لفترة طويلة بأنَّ تطرف الجماعات الإسلامية سلعة مستوردة، بيد أنَّ نتائج دراسات السنوات الأخيرة في مجال ظاهرة "الإرهاب" تشير إلى إمكانية نشوء أسباب لعمليات التطرُّف في المجتمعات الأوروبية أيضًا. إذ إن عدد "المقاتلين الأجانب" الذين سافروا من الاتحاد الأوروبي إلى سوريا والعراق يقدَّر بحوالي سبعة آلاف، إلا أنَّ هذا العدد نسبي، بسبب طرق الإحصاء المتباينة في دول الاتحاد الأوروبي المختلفة. معظم هؤلاء المقاتلين أتوا من بلدان أوروبية غربية تعيش فيها جاليات مسلمة كبيرة، وكان لهم تواصل نَشِط مع أوساط السلفيين[٩٧] في تلك البلدان التي يعيشون فيها. وقد توجَّه من ألمانيا إلى سوريا ٦٨٠ شخصًا تتراوح أعمارهم بين ١٣ و٦٣ سنة، بيد أنَّ أعمار القسم الأكبر منهم تتراوح بين ١٦ و٢٥ سنة. هؤلاء المشحونون ، والثوريون، والباحثون عن العدالة وأواصر الترابط، يتضامنون بشكل قوي جدًا مع ضحايا الحرب السورية، ويسعون للإطاحة بالنظام في سوريا والعراق ولإقامة نظام سياسي إسلامي على أساس المبادئ التوجيهية للشريعة الإسلامية. معظم المقاتلين هم من المسلمين السُّنَّة من الجيل الثالث، وأبناء مهاجرين من منطقة الشرق الأوسط، وبعضهم من الجيل الشاب من معتنقي الدين الإسلامي الجدد من "السُّكّان الأصليين" الذين لا أصول مهاجرة لهم. وبالرغم من أنَّ معظم المقاتلين الأجانب من الرجال غير المتزوّجين، إلا أنَّ أعداد النساء اللواتي يذهبن للحرب تزداد بشدّة، كما يجري على نحو متزايد جرُّ أطفال من قِبَلِ والديهم إلى الجهاد. ومعظم المسافرين إلى سوريا والعراق هم من الفاشلين في مسار التعليم المدرسي، لكن هناك أيضًا شبان جامعيين بين المغادرين ممن تخلوا عن دراستهم للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية.

أسباب التطرُّف

هناك أسباب كثيرة للتطرُّف. المسألة لا ترتبط بالجنس أو بالأصل الاجتماعي، فالتطرُّف يحدث في جميع شرائح المجتمع بغض النظر عن الظروف الاقتصادية أو المؤهلات العلمية. ورغم أنَّ التطرُّف مسألة فردية، إلا أنه من الممكن تحديد

---

[٩٧] راجع في موضوع السلفية في ألمانيا:

Thorsten Gerald Schneiders (Hrsg.) (2014): Salafismus in Deutschland: Ursprünge und Gefahren einer islamisch-fundamentalistischen Bewegung, Bielefeld. El-Mafaalani, Aladin: Salafismus als jugendkulturelle Provokation: Zwischen dem Bedürfnis nach Abgrenzung und der Suche nach habitueller Übereinstimmung, ص. ٣٥٥ - ٣٥٧.

نقاط تشابُه في سيَر حياة الناشطين الألمان على الأقل: يتعلق الأمر لدى المغادرين إلى "ساحات الجهاد" غالبًا بأشخاص في مقتبل العمر يعانون من مشاكل هوية ويبحثون عن تجارب جماعية قوية وعن مغزى للحياة. يريدون أنْ يكون لهم دَوْرٌ في المجتمع، دورٌ محرومون منه غالبًا بحسب تصورهم الخاص. وبينما يسمعون من أهاليهم التعبير بأنهم "مثل الألمان"، يثير المجتمع النقاش حول إشكالية أنهم "مسلمون". وبالتالي يقطع الكثيرون في سياق تطرُّفهم العلاقة مع بيئتهم الاجتماعية القائمة، و قبلَ السفر يترافق الانفصال عن الأسرة وعن دائرة الأصدقاء في أغلب الأحيان مع ارتباط متزايد بمجموعة سلفية[٩٨].

عند النظر عن كثب يمكن تصنيف دوافع السفر إلى "ساحات الجهاد" إلى أربع فئات، بينما تكون الدوافع مختلطة عادةً:

- المقتنعون فكريًا،
- المغامرون والتابعون لهم،
- "حديثو الولادة"، أي الذين يريدون غالبا أن يكفِّروا عن ماضيهم الإجرامي عبر التحاقهم "بساحات الجهاد"
- وأولئك الذين يعتقدون بقدرتهم على ممارسة ما يتخيلونه من عنف وقتل في الحرب الأهلية دون عقاب.

يرى المعنيون "الجهاديون" في العنف أداة جهادية مشروعة لتحقيق الأهداف أسمى[٩٩]. يجري التلقين الإيديولوجي المبرمج والضروري لهذا الأمر في مجموعات صغيرة وخاصةً في إطار ما يسمى بحلقات دراسة الإسلام وكذلك في حلقات القراءة والنقاش التي ينظمها الوسط السلفي. يتم في هذه الحلقات تعليم "الحرب المقدسة" الجهاد ضد "الكفار" على اختلاف مشاربهم، المسلمين منهم وغير المسلمين، وتلقين نظرة أيديولوجية سلفية مغلقة إلى العالم. ويهيمن على هذه النظرة أسلوب التفكير المتطرِّف القطبي الذي لا يرى سوى أبيض أو أسود؛ حيث تُختزل كل الصراعات إلى نزاعات بين الخير والشر، فينشأ من خلال تبسيط العالم بهذا الشكل موطنٌ يشعر المعنيون فيه بارتياح كبير. وعند معاينة الخطاب الخاص بأسباب تطرُّف المغادرين وبالنقاش الذي يصاحبه حول التعامل الحكومي والاجتماعي الصحيح معه، يتبيّن حتمًا، بالرغم من كل الجهود المبذولة، عدم وجود نظرية قاطعة قادرة على تفسير أغلب الحالات. ولا تشير المناهج القائمة إلا إلى جوانب معيَّنة في عملية التطرُّف، ليتبيّن لاحقًا أنَّ هذا النهج أو ذاك لا يصلح لتحليل مجموعات أخرى من المتطرفين.

غالبًا ما تسهِّل عوامل مختلفة، تُكْمِلُ بعضها البعض، عمليات التطرُّف وقرار الذهاب إلى ساحات الجهاد. وترتبط هذه العوامل بأبعاد أيديولوجية وسياسية ونفسية واجتماعية. أما ماهية البُعْد الحاسِم فتختلف من شخص لآخر.

---

[٩٨] قارن

Wiedl, Nina (2012): The Making of a German Salafiyya: The Emergence, Developement and Missionary Work of Salafi Movement in Germany, Aarhus, ص. ٣٢ – ٣٤. Steinberg, Guido (2012): Wer sind die Salafisten? Zum Umgang mit einer schnell wachsenden und sich politisierenden Bewegung, Stiftung Wissenschaft und Politik, SWP-Aktuell 2012/A 28, Mai 2012, ص. ٦ وما يليها.

[٩٩] قارن

Wagemakers (2012): A Quietist Jihadi: The Ideology and Influence of Abu Muhammad al-Maqdisi, 2012, ص. ٢٩ – ٣١.

البُعْد الأيديولوجي لعملية التطرُّف

يمثل الجهاديون السلفيون أيديولوجية "إسلامية" تسترشد بمؤسسي الدين الإسلامي وتسعى إلى إقامة مجتمع إسلامي مثالي مزعوم. تشكِّل مصادر الإسلام الأساسية، أي القرآن وسُنَّة النبي محمد أسسهم الثابتة. وهم يرفضون بشكل قاطع على عكس غالبية المسلمين أي مواءمة لتأويل المصادر الموثوقة مع الظروف الاجتماعية والسياسية المتغيِّرة باعتبار ذلك "تجديدًا غير إسلامي" (بِدْعَة)، إذ تؤدي هذه التجديدات – بحسب التصوُّر السلفي – إلى "الكُفْر" حتمًا. كما يمثلون بالإضافة إلى ذلك رؤية ثنائية للعالم الذي لا يتكوَّن بالنسبة لهم إلا من مؤمنين وكُفَّار، ويعدُّون من هؤلاء الكفّار إضافة إلى الملحدين "المعتادين" اليهود والمسيحيين وجميع المسلمين غير السلفيين[١٠٠]. ويدعون إلى الحدِّ من التعامل مع هؤلاء أو تجنُّب التعامل معهم تمامًا إن أمكن، لأنه من شأن هؤلاء أن يمارسوا التمييز ضد المسلمين "الحقيقيين". إن مشاعر التمييز هذه يتم تأجيجها واستغلالها كأداة لتجنيد أتباع. يشرِّع الجهاديون السلفيون أعمالهم من خلال الدين ويتخذون موقفًا يقضي بأنَّ الجهاد العسكري فرضٌ على كلِّ مسلمٍ لا قيود فيه عند اختيار الوسائل من حيث المبدأ. وتستمر صلاحية هذا الموقف حتى تحقيق هدف تنفيذ مبادئ الأيديولوجية الإسلامية العالمية. وبالتالي تشكِّل الجهادية عقيدة قتال، تفرض على كل مؤمن الشروع بالقتال بهدف إقامة دولة إسلامية والمحافظة عليها.

البُعْد السياسي لعملية التطرُّف

عند التمعُّن باستراتيجية التجنيد في تنظيم الدولة الإسلامية يتَّضح أنَّ العنصر الرئيس لهذه الاستراتيجية الناجحة يكمن في الأيديولوجية والاستقطاب[١٠١]. يدفع تنظيم الدولة الإسلامية القتال على نحو متزايد لتغيير المعطيات في الشرق الأوسط، ويُعبِّئ في هذا السياق أشخاصًا يعادون الغرب مستعدُّون للقيام بأنشطة بناءً على هذا. وبالتالي تتوجّه بروباغاندا التجنيد إلى أولئك الذين يشعرون بالغضب، لكنهم لا يستطيعون التعبير عنه سياسيًا. العدو الرئيس أو العنصر الأساس من وجهة نظر تنظيم الدولة الإسلامية هو الغرب الذي يستنزف الأمّة ويهمِّش المسلمين، من هنا يدعو لوجوب رفض القيم الغربية، والدفاع عن الهوية الإسلامية الخاصة. ويشير معظم المسافرين إلى سوريا أن العنف الظالم ضد أهل السُنَّة في سوريا هو ما حثَّهم في المقام الأول، وهم يُحَمِّلون غزوات "الغرب" على العالم الإسلامي مسؤولية هذا الظلم، ويرون أنَّ الغرب جلب الصراعات إلى منطقة الشرق الأوسط، ويتفرّج الآن على "ذبح" أهل السُنَّة في العراق وسوريا على يد الشيعة، علاوة على ذلك يتَّهمون المجتمعات الغربية بتهميشهم بسبب هويتهم الدينية، كما ترسَّخ الانطباع لدى هذه المجموعات بأنَّ الساسة في هذه البلاد [الغرب] يتآمرون على الإسلام الذي لم يتبقى لأتباعه

---

[١٠٠] قارن

Abou Taam, Marwan (2014): Salafismus in Deutschland – Eine Herausforderung für die Demokratie, in: ZIS 9/2014, ص. ٤٤٢ – ٤٤٤.

[١٠١] بخصوص معاداة الإسلام راجع

Heitmeyer, Wilhelm (2011): Deutsche Zustände. Das entsicherte Jahrzehnt: Folge 10, Bielefeld.

خيار سوى أن يفرضوا هويَّتهم ودينهم بالعنف[١٠٢]. وهم لا يشعرون بأنَّهم مُمَثَّلون من قبل النخبة السياسية وينكرون إمكانية المشاركة السياسية لهم، فيدَّعون ظاهريًا التزامهم بالعمل من أجل حقوق المسلمين السُّنَّة، بينما يتغاضون عن حقيقة أنَّ غالبية ضحايا تنظيم الدولة الإسلامية هم من المسلمين السُّنَّة.

البُعْد النفسي لعملية التطرُّف

يستفيد تنظيم الدولة الإسلامية من العناصر الاجتماعية والنفسية المختلفة في مناطق الشتات الإسلامي. كثيرٌ من الجيل الشاب يعيشون النزاعات التي في بلدانهم الأصلية من خلال متابعة الإعلام [فضائيات إنترنت] ويفكرون بها[١٠٣]، فيتضامنون مع المهمومين هناك ويعرِّفون نزاعاتهم على طول خط فصل عرقي وديني، وذلك من خلال الدين عابر الجنسيات. لكنهم يدمجون هذه النزاعات بنزاعاتهم القائمة في الشتات ويفسرونها بما يتوافق مع ذلك. ويُوصَفُ آباء جيل المسافرين إلى سوريا في كثير من الأحيان بأنهم ضعفاء وجبناء، بيد أنَّ دور الأب مركزي في مجتمع يخضع للسلطة الذكورية، وبخاصة حين يُعتَبَر الأب السلطة الشرعية الوحيدة. وعندما يحدث في إطار أنظمة العلاقات المعقّدة هذه أن يفشل الأب بالقيام بدوره التقليدي باعتباره حامي الأسرة، يمكن أن يؤدي هذا إلى نشوء شعور بالرفض. وعندما لا تستطيع البنى الأسرية التي يقف الأب على قمتها توفير الحماية، ينشأ لدى الأطفال في مجتمع خاضع للنظام الأبوي شعور بخيبة الأمل يتجلَّى على شكل مخاوف مادية ووجودية. هذه التجارب تؤثِّر بالأطفال والناشئة وتجعلهم حساسين بشكل خاص إزاء مظالم مزعومة. ويمكن الحديث في سياق هذه العملية المعقدة عن نرجسية كانيبالية، إذ يحدث تقزيم مستمر لهياكل السلطة القائمة[١٠٤]. والخطير في هذه التلقائية هو، أنه لا يمكن إنقاذ "علو الشأن" الخاص إلا من خلال تقليل قيمة آخرين، بينما تكون الوسيلة المتّبعة لتحقيق ذلك أمرًا ثانويًا. عند هذه النقطة تبدأ الروايات السلبية حول إدراك الإسلام في الغرب بفعل مفاعيلها، فالمرء لم يعد تركيًا أو عربيًا بنظر الأهل ولم يصبح ألمانيًا بعد بنظر المجتمع، فيغدو الانتماء للإسلام هو المكوِّن الرئيسي للهوية، بينما يتعرض هؤلاء في النقاش حول الإسلام للهجوم على نطاق واسع. وهنا لا بد من الانتباه إلى أن الهويّات الجمعية هي بنىً[١٠٥] استراتيجية جماعية تتشكّل من خلال تداخل وثيق بين الأفكار والإيديولوجيات والأديان والعقائد ومن خلال القيم الاجتماعية الثقافية. هنا، وفي هذا الموضع بالضبط،

---

[١٠٢] قارن هنا دراسة

Peters, Till Hagen (2012): Islamismus bei Jugendlichen in empirischen Studien: Ein narratives Review, Veröffentlichungen des Instituts für Religionswissenschaft und Religionspädagogik 2, Bremen.

[١٠٣] بخصوص الهوية والأزمة راجع Erikson, E.H. (1968): Identity: Youth and Crisis, New York.

[١٠٤] قارن

Schmidbauer, Wolfgang: Der pharisäische und der kannibalische Narzissmus, in: Ders.: Der Mensch als Bombe. Eine Psychologie des neuen Terrorismus, Reinbek 2003, ص. ٦٤ – ٦٦.

[١٠٥] راجع

Finnemore, Martha; Kathryn Sikkink (1998): International Norm Dynamics and Political Change, in: International Organization 52: رقم ٤، ص. ٨٨٧ – ٩١٧.

تقدِّم السلفية التفسير الضروري للعالم وتكوِّن بشكل فعَّال واقعًا تاريخيًا[١٠٦]. ويمسي التمايز ضمن الثنائية السلفية فائضًا عن الحاجة، فكلما كان العالم أكثر تعقيدًا، تطلَّب تفسيرًا أبسط. ويُستكمَلُ ذلك عبر دعاية تنظيم الدولة الإسلامية التحريضية بهدف إنتاج جنون جمعي.

البُعْد الاجتماعي لعملية التطرُّف

تتم عمليات التطرف غالبًا ضمن مجموعات السلفيين. وتزوِّد المجموعة الأفراد في هذا السياق بهوية جماعية تغطِّي على الهوية الفردية بكل نقاط ضعفها[١٠٧]. ولا يتبيَّن من خلال القوة الداخلية للمجموعة السلفية وقيمها الاجتماعية الثقافية سبب قوة التجنيد وحسب، بل أيضًا سبب استمرار أعضاء المجموعة بالانتماء والولاء لها. كما تملك المجموعة السلفية ثقافة خاصة بها ذات تقاليد وقيم خاصة استبدادية من حيث المبدأ، تستوجب من الفرد التضامن المطلق مع المجموعة ككل وليس بالضرورة مع أحد أفرادها. ويجري رفض الاتصال بالخارج بشدّة ومعاقبة المخالفين بتطرُّف، لأن الاتصال ينبغي أن يكون مقتصرًا على أعضاء في المجموعة مخصصين لهذا الغرض، لكونهم متمكّنين أيديولوجيًا، ويؤدون ذلك وِفقًا لتوجيهات استراتيجية معيّنة. ولا يعبِّر أي عضو في المجموعة عن رأيه الخاص، لأنه لا يوجد سوى الجماعة. كما تؤدي الهجرة إلى المجموعة إلى عَزْل الفرد نفسيًا، وفي كثير من الأحيان جسديًا، عن بيئته "العادية". ولا توجد علاقات ثقة إلا مع أعضاء آخرين ضمن المجموعة[١٠٨]. يمكننا ملاحظة الطاقة التي تنبثق عن ذلك أيضًا في الجماعات المذهبية [غير الإسلامية] الأخرى. وكلما كان انتماء الشخص للمجموعة أقوى، زاد ابتعاده عن عالم حياته الأصلي. إذ إن الاندماج في المجموعة يعني ذوبان الفرد الكلي لصالح هوية المجموعة ارتباطًا بسيطرة هرمية مطلقة أحادية الاتجاه عبر المجموعة. نعرف من جماعات دينية أخرى أنها لا تُحدد الاتصالات الاجتماعية وحسب، إنما تفرض تعظيم شأن بعض أعضاء المجموعة أيضًا. يمكننا ملاحظة بنى مشابهة لدى المجموعات السلفية؛ حيث تنمو بين أعضاء المجموعة بمرور الوقت علاقات ارتباط وجودية[١٠٩]، فينتج عن ذلك أن يصبح احترام الفرد وسمعته داخل المجموعة وترقيته الهرمية وقبول

---

[١٠٦] قارن

Straub, Jürgen (1998): Geschichten erzählen, Geschichten bilden, Grundzüge einer narrativen Psychologie historischer Sinnbildung, in Straub, Jürgen (Hrsg.): Erzählung, Identität und historisches Bewußtsein. Die psychologische Konstruktion von Zeit und Geschichte, Erinnerun, Geschichte, Identität, Frankfurt am Main, .ص. ٨١ - ٨٣.

[١٠٧] راجع

Waldmann, Peter (2009): Radikalisierung in der Diaspora. Wie Islamisten im Westen zu Terroristen werden, Hamburg, .ص. ١١١ - ١١٣.

[١٠٨] قارن

Fuhse, Jan A. (2001): Unser »wir« - ein systemtheoretisches Modell von Gruppenidentitäten, in SISS: Schriftenreihe des Instituts für Sozialwissenschaften der Universität Stuttgart: Nr. 1 / 200, .ص. ١٨.

يكشف فوكسِه استنادًا إلى كوسِر أن النزاع مع المجموعات الأخرى يسهِم في تشكيل هوية المجموعة وترسيخها، ويحافظ على الحدود مع البيئة الاجتماعية. وبالتالي يمكن للمجموعة "في مسار النزاع مع مجموعات أخرى (...) أن تشكل حدودًا لنسَقِها ولإعادة تشكيل هذه الحدود باستمرار".

[١٠٩] قارن

Schwonke, Martin (1999): Die Gruppe als Paradigma der Vergesellschaftung. in: Schäfers, Bernhard (Hrsg.): Einführung in die Gruppensoziologie. Geschichte, Theorien, Analysen. Wiesbaden, .ص. ٣٧ – ٥٣.

الأعضاء به أكثر أهمية بكثير من نظرة من هم خارج المجموعة له. تُعْتَبَرُ النصوص الدينية ذات أهمية كبيرة للمجموعات ذات الدوافع الدينية[110] والإلمام بها يثير الإعجاب ويزيد الارتباط في الوقت ذاته. بذلك يكون التلقين المذهبي هدفًا ووسيلة في آن واحد.

التعامل مع العائدين من سوريا – بين القمع وإعادة الإدماج

عاد إلى ألمانيا نحو ثلث الذي سافروا إلى سوريا. السلطات الألمانية ترى في الجهاديين العائدين من "الحرب المقدسة" تهديدًا خاصًا بالدرجة الأولى، لأن لديهم خبرة في القتال، وفي استخدام الأسلحة النارية، وصنع القنابل وتجنيد أنصار جدد. بعض العائدين مصابين بصدمات نفسية أو بخيبات، والبعض الآخر ازداد تطرُّفًا ولديه التكليف والإرادة لجلب الإرهاب إلى ألمانيا. وقد يكون منسوب الموانع الذاتية لديه لارتكاب العنف قد انخفض بشكل ملحوظ. لذا على العائدين من سوريا أن يتوقّعوا إجراء تحقيقات معهم بموجب القانون الحالي بتهمة الاشتباه بتحضير أعمال عنف إجرامية خطيرة على أمن الدولة. وهذا مرتبط بإرادة الادعاء العام في المحكمة الاتّحادية بتطبيق قانون الجزاء الخاص بالإرهاب بأكبر قدر من الفعالية من أجل حماية السكان من هجمات محتملة، إذ يُعتبر العائدون خطرًا يصعب تقديره. وفي هذا السياق تم توفير النفقات اللازمة من أجل زيادة أعداد العاملين لدى الشرطة الاتحادية ومكتب الشرطة الجنائية الاتحادية ولدى المكتب الاتحادي لحماية الدستور، وتم استحداث ٧٥٠ وظيفة جديدة.
على الرغم من التحقيقات لا يُكشف في أغلب الأحيان إن كان العائدون قد تلقوا بالفعل تدريبات عسكرية. والأهم أنه من الصعب جدًا من الناحية القانونية إثبات ما إذا كانوا متورطين في جرائم حرب أو مدى تورطهم فيها، لا سيما وأن الأساس القانوني للحكم عليهم ليس مضمونًا بالضرورة. وبالتالي يتوجب على المحاكم اعتماد شهادات المعنيين العائدين.

تسود في مدينة آرهوس الدانماركية فلسفة مختلفة، حيث يُطرحُ هناك أن الجهاديين الذين قاتلوا في سوريا والعراق، يمكن أن يشكلوا خطرًا بعد عودتهم إلى بلدانهم إن وقع عزلهم. لذا استُحدِثَ برنامجٌ خاصٌ لإعادة دمج العائدين بالمجتمع، في حال عدم القدرة على إثبات تورُّطهم في أعمال إرهابية وبالتالي استحالة إدانتهم قانونيًا. وتشمل إعادة الدمج في المجتمع الرعاية النفسية والطبية والدعم في البحث عن فرص عمل وسكن. كما يُوفَّرُ لهم مُرْشِدٌ ليأخذ بيدهم.

يوضح النهج المتَّبَع في الدانمارك أنه في سياق ثقافة دولة القانون لا محيد عن إعادة إدماج هؤلاء الأفراد. حتى وإن ثبت أنهم قد ارتكبوا انتهاكات قانونية، يُطرح السؤال بعد الحكم عليهم مباشرة عن كيفية تفادي تأثيرهم على سجناء آخرين ودفعهم للتطرُّف، أو حول سبل معالجة التطرُّف لدى المحكوم عليهم أنفسهم. ولا بد هنا من التذكير الدائم بأن إعادة الدمج في المجتمع أي إعادة ضم المحكوم عليهم إلى النسيج الاجتماعي هو أحد أهداف عقوبة الحبس. الإعراض عن

[110] للتعامل البديل مع نصوص القرآن راجع:
Kermani, Navid (2009), "Und tötet sie, wo immer ihr sie findet‘: Zur Missachtung des textuellen und historischen Kontexts bei der Verwendung von Koranzitaten." In: Islamfeindlichkeit. Hrsg. von Thorsten Gerald Schneiders. Wiesbaden: VS Verlag für Sozialwissenschaften, ص. ٢٠١ – ٢٠٧.

التطرُّف والنزعات المتطرِّفة عملية تعلُّم طويلة الأمد وتتطلب العمل الاجتماعي المكثف. وعلى الرغم من الحالات الكثيرة وعدد الإدانات القضائية المتزايدة، إلا أنه ليس لدينا في ألمانيا مشاريع لإعادة الدمج في المجتمع على نطاق واسع.

أولئك الذين لم يصدر بحقهم حكمٌ قانوني لعدم كفاية الأدلة يشكلون تحديًا كبيرًا للجهات الفاعلة المعنية بالسياسة الأمنية وبالعمل الوقائي على حد سواء. وهم يثقلون كاهل الشرطة وسلطة حماية الدستور [الاستخبارات الداخلية] إلى حدٍّ ما. كما تبدو مراقبتهم على مدار الساعة غير واقعية بسبب تطلُّبها لعدد كبير من العاملين وكلفة الموارد الأخرى العالية؛ من ناحية أخرى يعتمد العمل الوقائي على مشاركة العائدين الطوعية، إذ لا يوجد أي أساس قانوني يجبرهم على المشاركة بالبرنامج. إن العمل الوقائي والعمل على محو التطرُّف من هذه الأوساط أمرٌ شاق يستهلك الكثير من الوقت. حاليًا هناك نقص في المشاريع والكوادر المؤهَّلة.

الاستنتاجات، والدوافع المصنَّفة بناءً عليها، تستند إلى تحاليل لسِيَرِ حياةٍ ومقابلاتٍ مع معنيين وتقويم مقابلات الخبراء. وقد جرى في هذا السياق استفتاء اشخاص يعملون في البرامج الوقائية وبرامج محو التطرُّف. إضافة إلى ذلك تم تقويم أحكام قضائية، وتصريحات جهاديين في المنتديات الاجتماعية وتقويم بياناتهم الدعائية.

مواجهة الإرهاب والتطرف– بلاد العرب اليوم

عمرو حمزاوي

لا نملك في مصر، ولا تملك الشعوب العربية الأخرى ترف انتظار إخفاق الحرب الأمريكية الجديدة على الإرهاب. فوحشية ودموية التنظيمات الإرهابية المنتشرة في بلاد العرب وتهديداتها المستمرة لحقوق وحريات المواطن وللمجتمعات وللدول الوطنية ومؤسساتها جميعها ظواهر تستدعى الفعل المتكامل والسريع للتحصين الداخلي ولاحتواء الانفجارات الإقليمية.

لا أجادل في ضرورة المواجهة الأمنية، والعسكرية أحيانا، للتنظيمات الإرهابية في المشرق العربي وفي اليمن وشبه الجزيرة وفي ليبيا وفي سيناء المصرية. لا أجادل أيضا في أهمية التنسيق الأمني والمعلوماتي مع الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الذين يشاركون في «الحملة العسكرية» على داعش في العراق وسوريا، ولا في محورية أن توضع التنظيمات الإرهابية في ليبيا على الأجندة الإقليمية والدولية بهدف منع انهيار أو تفتت الدولة الليبية وكذلك بهدف حماية وتأمين الجوار المباشر والحيلولة دون انتقال إجرام التنظيمات الإرهابية إلى مصر أو إلى تونس والجزائر.

فقط أذكر أن المواجهات الأمنية والحملات العسكرية بمعزل عن معالجة داخلية وإقليمية ودولية أشمل لن تمكننا من كبح جماح داعش وأخواتها، ولا من إنقاذ المواطن إزاء عصف متعطشين للوحشية وللدموية بحقه في الحياة وحقوقه وحرياته الأساسية، ولا من استعادة سلم المجتمعات ولملمة أشلاء الدول الوطنية ومؤسساتها، ولا من تجاوز وضعية الإقليم المنفجر دوما.

كما أذكر أننا في مصر وبلاد العرب نحتاج لتحصين الداخل عبر التأسيس لحكم القانون الضامن لرفع المظالم ولحقوق وحريات الناس ولمساءلة ومحاسبة الحكام وعبر التداول السلمى للسلطة وعبر رفع معدلات التنمية المستدامة، فهذه العمليات والإجراءات لها أن تباعد بين مواطناتنا ومواطنينا ومجتمعاتنا وبين توفير الملاذات الآمنة للإرهاب.

وأذكر أننا في مصر وبلاد العرب نستطيع كبح جماح داعش وأخواتها عبر ترشيد المواجهات الأمنية والحملات العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بين الحكومات العربية بالدفع إلى الواجهة بأولوية الحفاظ على تماسك الدول الوطنية ومؤسساتها وتجاوز الاستبداد والطائفية والمذهبية وعوامل الفقر والجهل التي ترتب معا تنامى الإرهاب وتضع دوما منظومات الحكم/ السلطة إما في خانات رد الفعل أو تفقدها القبول الشعبي والشرعية وتدخلها في أزمات ممتدة ومتراكمة ليس للمواجهات الأمنية ولا للحملات العسكرية أن تمنعهم.

وأننا في مصر وبلاد العرب أمام مهمة عاجلة تتمثل في تقديم نماذج ناجحة لمجتمعات مسالمة ومتقدمة ولدول وطنية عادلة وعصرية تجتذب مجددا ضمائر وعقول وقلوب المواطنات والمواطنين الذين أرهقهم الاستبداد، وجردتهم المظالم والطائفية والمذهبية وغياب حيادية مؤسسات وأجهزة الدولة من الأمل في مجتمعات متقدمة ومن الثقة في عدل الحكم، وألقت بهم انتهاكات الحقوق والحريات ومشاعر الخوف التي استوطنت بلادنا إلى أتون الولاءات الطائفية والمذهبية بل والهويات القبلية والعشائرية والوعود الزائفة بتقديم الحماية إزاء قهر وقمع وعنف وظلم منظومات الحكم/ السلطة وإزاء

الفجوات الواسعة في المجتمعات بين من أصحاب النفوذ والمصالح الكبرى وبين القطاعات الشعبية المهمشة والمفروض عليها الصمت.

وأذكر نهاية أننا في مصر وبلاد العرب سنخفق في تحييد الإخفاق المتوقع للحرب الأمريكية على الإرهاب وفى تجاوز أزمات المواطن والمجتمع والدولة ما لم نحسم بتوافقات وطنية واسعة الأسئلة الجوهرية حول الحقوق والحريات الأساسية التي لا يستطيع المواطن الاستغناء عنها وواجباته الضرورية، وحول طبيعة المجتمع المتقدم الذى نريده وتنظيم أدوار الدين والثروة والحكم/ السلطة في مساحاته وقطاعاته المختلفة، وحول هوية الدولة الوطنية التي نبحث عنها ووزن العدل والتنوع والتعددية والتسامح والسلمية وتداول السلطة في سياقاتها وداخل مؤسساتها وأجهزتها.

مواجهة الإرهاب – تحديات السياسة الداخلية

في أعقاب الهجمات الإرهابية في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، استغلت إدارة الرئيس الأسبق جورج بوش (الابن) لحظة خوف شعبي واسع في المجتمع الأمريكي لتمرير العديد من القرارات والإجراءات الاستثنائية التي هددت حكم القانون وضمانات الحقوق والحريات، وعنت تعريض المواطن صاحب الأصول العربية أو الإسلامية وكذلك المجموعات المقيمة ذات الجذور العربية أو الإسلامية لمراقبة أمنية واستخباراتية غير عادلة.

ولم يستعد حكم القانون في الولايات المتحدة الأمريكية بعضا من عافيته إلا بفعل مقاومة السلطة القضائية المستقلة للقرارات وللإجراءات الاستثنائية، ودور المجتمع المدني والإعلام الحر في توثيق وكشف جرائم التعذيب والانتهاكات وتوعية الرأي العام بخطورة ذبح الحقوق والحريات أثناء مواجهة الإرهاب، ثم بعد تمكن الحزب الديمقراطي المعارض لسياسات بوش من حصد مقاعد الأغلبية في الكونجرس وإيصال مرشحه أوباما إلى البيت الأبيض في ٢٠٠٨. وعلى الرغم من ذلك، لم تتخلص الولايات المتحدة إلى اليوم من قرارات وإجراءات استثنائية أسست لها فترة بوش الابن ٢٠٠٠–٢٠٠٨، ولم يزل معتقل جوانتانامو يشهد على ذلك شأنه شأن انتهاكات أخرى للحقوق وللحريات في أفغانستان والعراق وغيرهما ليست القوة الكبرى ببعيدة عنها.

وحين تكررت هجمات إرهابية مشابهة لهجمات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ في بعض البلدان الأوروبية (بريطانيا وإسبانيا)، سعت بعض الحكومات أو الائتلافات الحاكمة (خاصة تلك ذات التوجه اليميني) إلى تمرير قرارات وإجراءات استثنائية مطابقة لقرارات وإجراءات بوش الابن - إن بالتوسع في المراقبة الشاملة للمواطنات وللمواطنين ذوي الأصول العربية والإسلامية وللمجموعات المقيمة، أو بتقليص الضمانات القانونية للحقوق وللحريات والتورط في ممارسات تعسفية كالتنصت وإبعاد بعض المقيمين عن أوروبا بإلغاء تراخيص الإقامة والعمل، أو بالتنسيق الأمني والاستخباراتي مع الأجهزة الأمريكية. إلا أن البرلمانات والسلطات القضائية حالت في بريطانيا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا وبلدان أخرى دون الانزلاق على منحدر بوش وذبح الحقوق والحريات أثناء مواجهة الإرهاب، وأوقفت الشق الأكبر من القرارات والإجراءات الاستثنائية ولم يمر إلا القليل الذى لم يزل يؤرق ضمائر السياسيين والقانونيين والنخب الفكرية المدافعة عن سيادة القانون والديمقراطية.

واضطلعت المنظمات المدنية والإعلام الحر بدور جوهري في توعية الرأي العام بإمكانية مواجهة الإرهاب دون التضحية بالحقوق والحريات، وفى تثبيت فاعلية مواجهة الإرهاب بمزيج من الأدوات العسكرية (خارج أوروبا) والأمنية ومن الأدوات التنموية والمجتمعية (لمعالجة الحظوظ الاقتصادية والاجتماعية المحدودة لذوى الأصول العربية أو الإسلامية) والسياسية (لدمجهم في الحياة العامة) والفكرية (لمحاربة التطرف).

ومع أن أوروبا لم تتخلص بالكامل من الإرهاب أو توقف انضمام مواطنين ومقيمين على أراضي بلدانها للتنظيمات الإرهابية، إلا أن خبراتها وكذلك بعض جوانب الخبرة الأمريكية بعد أن استعاد حكم القانون عافيته تدلل مجتمعة على فاعلية مواجهة الإرهاب دون قرارات أو إجراءات استثنائية ودون ترشيد للمواجهة عن طريق نقاش عام موضوعي وتعددي، ومشاركة للمجتمع المدني وللإعلام الحر مع تمكين الأصوات المعارضة والناقدة من الوصول إلى الناس، وبالابتعاد عن استغلال لحظات الخوف والتضامن الشعبي للاندفاع بعيدا عن حكم القانون وضماناته أو لاختزال أدوات المواجهة في حلول عسكرية وأمنية فقط تظل ضرورية وغير كافية في آن واحد. ثمة فاعلية لمواجهة الإرهاب دون تضحية بالحقوق والحريات.

مواجهة الإرهاب – تحديات السياسة الإقليمية والدولية

بعد الهجمات الإرهابية في ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠١١، ذهبت الولايات المتحدة الأمريكية بجيوشها وعدتها وعتادها إلى أفغانستان والمناطق الحدودية بينها وبين باكستان لمحاربة حركة طالبان صنيعة المخابرات الباكستانية وتنظيم القاعدة الذى كان من بين روافد الوحشية والدموية والتطرف التي شكلته مجموعات دعمتها الاستخبارات الأمريكية وبعض الاستخبارات الخليجية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين في مواجهة الغزو السوفييتي لأفغانستان (١٩٧٩).

أسقطت الحرب الأمريكية على أفغانستان حكم حركة طالبان، وقضت على بعض الملاذات الآمنة لتنظيم القاعدة وشتته في أقاليم متفرقة، وأبعدت أخطار الهجمات الإرهابية عن الداخل الأمريكي الذى استعاد أمنه النسبي.

إلا أن الولايات المتحدة ومعها الكثير من الحلفاء الغربيين، وبالرغم من كثر الحديث عن التنمية وبناء الديمقراطية والسلم الأهلي ومن توالي الحديث عن خطط وبرامج الإصلاح المؤسسي وتثبيت الدولة، أخفقوا إلى اليوم في فرض الاستقرار في أفغانستان وفي الوفاء بوعود التنمية والديمقراطية والسلم، بل ولم ينجزوا هدف القضاء الشامل على حركة طالبان وبعض انشطارات القاعدة في المناطق الحدودية مع باكستان وهي جميعا تنظيمات مازالت توظف البيئة المجتمعية الحاضنة لهم بفعل المظالم والفساد وانتشار الفكر المتطرف لكى تواصل هجماتها الإرهابية وإرهاقها العسكري للقوات الأمريكية والغربية التي لم تتمكن من الانسحاب عائدة إلى بلادها إلى اليوم.

وتكررت ذات الحقائق والنتائج حين غزت الولايات المتحدة وبريطانيا العراق لإسقاط نظام صدام حسين، مع فارق جوهري هو أن الديكتاتور صدام حسين تورط في إرهاب ممنهج وجرائم إبادة ضد شعبه وفى حروب إقليمية إلا أنه على خلاف حركة طالبان لم يدعم تنظيمات إرهابية أو يوفر لها ملاذات آمنة ولم يثبت عليه امتلاك أسلحة للدمار الشامل – وهذا وذاك من الأكاذيب التي روجتها الحكومة الأمريكية والحكومة البريطانية لتبرير غزو العراق واحتلاله. أما الحقائق

المتطابقة فكانت السقوط السريع لنظام صدام حسين وكذلك لمؤسسات الدولة العراقية التي فككها المحتل، و الحديث المستمر عن خطط وبرامج تحول ديمقراطي لم يتم وتنمية تراجعت وأمن غاب. وأما النتائج المتشابهة فكانت بيئة مجتمعية تتراكم بها المظالم والكراهية والتطرف، وطائفية ومذهبية تسيطران على بقايا الدولة وترتكب جرائم متتالية، وتنظيمات إرهابية تعتاش على المظالم والتطرف وتستوطن مناطق عدة بوحشية ودموية تستدعى ظلامية حروب الكل ضد الكل، وتهديدات إقليمية متنامية.

تدلل، إذن، القراءة الموضوعية لحرب الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الغربيين على الإرهاب في أفغانستان على أن الأدوات العسكرية والأمنية تستطيع أن تسقط سطوة الحركات والتنظيمات الإرهابية إلا أنها لا تنجح بمفردها في القضاء الكامل عليها أو ضمان عدم عودتها مجددا بأشكال أكثر وحشية ودموية. توظيف الأدوات العسكرية والأمنية ضرورة لا تحتمل ترف التأجيل، إلا أن استمرارية «الفوائد» المرتبطة بها على المدى القصير مرهون بالحلول المجتمعية والتنموية والسياسية الأشمل.

أما الغزو الأمريكي– البريطاني للعراق فيذكرنا جميعا بحتمية الحفاظ على تماسك مؤسسات الدولة وأجهزتها لكى بل يتمكن الإرهاب أو تتمكن الطائفية أو المذهبية أو يتمكن التطرف من المواطن والوطن على المدى المتوسط والطويل، ولذلك شروط أهمها العدل والتنمية والتضامن الشعبي الواسع الذى يأتي به الشعور الوطني مقرونا بحكم القانون الضامن لحقوق وحريات الناس، وشروط أخرى تأخذنا إلى تعبئة الدعم الإقليمي والدولي.

نحو مواجهة عربية للإرهاب

إذا طالعنا خريطة بلاد العرب، سنتثبت من أن الإرهاب يهاجم الأقاليم محدودة الكثافة السكانية، ونتيقن من أن التنظيمات الإرهابية تستوطن في العراق وسوريا واليمن وليبيا والجزائر إما في المناطق غير الآهلة بالسكان وإما تلك المأزومة حقوقيا وتنمويا ومجتمعيا إما بسبب طائفية مقيتة أو مذهبية متطرفة على نحو يجعل منها بيئات حاضنة للإرهاب والعنف، وندرك أن سيناء المصرية والمناطق على الحدود الغربية مع ليبيا على سبيل المثال تحتاج بجانب التوظيف الفعال للأدوات العسكرية والأمنية إلى تقوية وتنشيط التجمعات السكانية الحاضرة هناك والنظر في مطالبهم الحقوقية والتنموية العادلة بهدف تعبئة طاقاتهم وجهودهم لمواجهة الإرهاب.

إذا طالعنا خريطة بلاد العرب، سنتثبت من أن الانفجارات الإقليمية المتتالية تمكن الظاهرة الإرهابية من تجاوز حدود الدول الوطنية «بسهولة» والتنظيمات الإرهابية من الإفادة من مصادر تسليح وتمويل متنوعة، ونتيقن من أن كبح جماح الإجرام الإرهابي يستدعى تحالفا إقليميا ودوليا واسعا يحد من قدرة الإرهابيين على التنقل عبر حدود الدول الوطنية ويجفف منابع التسليح والتمويل ويمتنع عن «إحلال» تنظيمات إرهابية محل أخرى بغية تحقيق أهداف سياسية قصيرة المدى وضيقة الأفق أو عن التهاون في مساعي تثبيت مؤسسات وأجهزة الدول الوطنية بمزيج من الحلول التنموية والمجتمعية والقانونية مع الأدوات العسكرية والأمنية، وندرك أن صناع القرار في الدول العربية عليهم وضع تجفيف منابع تنقل وتسليح وتمويل الإرهاب على أجندة الأطراف الإقليمية وعلى أجندة الحرب الأمريكية الجديدة.

إذا طالعنا خريطة النماذج العالمية الناجحة لمواجهة الإرهاب، سنتثبت من أن تعبئة التجمعات السكانية في المناطق التي تهاجمها أو تستوطنها التنظيمات الإرهابية لدعم الجهود الرسمية والشعبية ضرورة وجودية وأن سبيلها الوحيد هو الحوار معهم ورفع المظالم عنهم عبر التطبيق العادل للقانون وللانتصار لحقوقهم مع مواجهة الإرهاب، ونتيقن من أن إعداد المسرح الإقليمي والدولي للتضامن بفاعلية مع جهود مواجهة الإرهاب يمثل أيضا شرط نجاح خاصة ونحن في بلاد العرب نحتاج للتنسيق مع أطراف كثيرة لتجفيف منابع التنظيمات الإرهابية، وندرك أن تحصين الداخل العربي وإقناع الخارج القريب والبعيد بدعمنا له صلة وثيقة بفاعلية توظيف الأدوات العسكرية والأمنية وبفتح الباب واسعا أمام التضامن الشعبى والحوار المجتمعي الجاد لكى تطمئن ضمائر وعقول الجميع إلى حضور رغبة فعلية للمزج بين الأمن والقانون والحق والحرية وإلى حضور رؤية إيجابية وواضحة عن المستقبل والتنمية والتقدم والعدل الذى سيحملهم.

في مواجهة ذوي الرايات السوداء – التمسك بالأضداد

لا هوية لكارهي الحياة وعصابات الإرهاب إلا القتل والذبح والحرق وارتكاب صنوف أخرى من الجرائم ضد الإنسانية، لا هدف لهم إلا إشاعة الخراب والدمار ودفع الناس والمجتمعات والدول إلى حروب الكل ضد الكل اللانهائية، لا برنامج لهم إلا تجريدنا من حب الحياة بنشر الفزع والخوف والإحباط وإلغاء قدرتنا الفردية والجماعية على رفض الهمجية والجهل والعنف التي يرفعون راياتها السوداء.

في حدادنا وحزننا على ضحايا الإجرام الإرهابي في سيناء، في ألمنا البالغ إزاء الوحشية التي قتل بها الطيار الأردني الشاب معاذ الكساسبة وقبله من ذبحتهم داعش أمام عدساتها السادية المنشورة في مواقع مختلفة بين العراق وسوريا، في الصدمات المتتالية لتلقى أنباء التهجير الإجرامي لمسيحيي المشرق العربي من بعض المدن والقرى التي دوما ما عمروها وتدمير دور عبادتهم، في متابعة قوائم الشهداء والمصابين بين ليبيا واليمن وخاناتها تتزايد باطراد وخرائط الدم وهى تتسع لتغطى مساحات شاسعة من بلاد العرب؛ تظل مسئوليتنا الأخلاقية والوطنية في بلاد العرب وثيقة الارتباط بالتضامن في مواجهة الإرهاب وجرائمه التي تسيل دماء من يضحون بحقهم في الحياة دفاعا عنا، وتطهيرا للأرض من دنس وحشية ودموية عصابات الإرهاب، وحماية لحقنا نحن في الحياة وحق المجتمع في الاستقرار وحق الدول في التماسك.

لعقود طويلة، جردت نظم الاستبداد وجمهوريات الخوف فى العراق وسوريا وليبيا الدولة الوطنية من الشرعية واختزلت مؤسساتها إلى أجهزة عسكرية وأمنية واستخباراتية وإدارية تقمع المواطن وتنتهك حقوقه وحرياته وتعصف بحكم القانون وبقاعدة المساواة بين المواطنات والمواطنين دون تمييز، وكل ذلك بهدف وحيد هو بقاء الحاكم على كرسيه والحفاظ على امتيازات تابعيه ومستتبعيه والقضاء على معارضيه.

وعلى الرغم من أن خطط التحديث الاقتصادي والاجتماعي وبرامج التنمية وتحسين مستويات خدمات التعليم والصحة ورعاية الناس لم تغب عن جمهوريات الخوف فى العراق وسوريا وليبيا وتحقق بالفعل شيئا من تحسين الظروف المعيشية، فإن عوامل كتجريد الدولة الوطنية من الشرعية وتراكم المظالم والقمع والانتهاكات والعبث المستمر بمجتمعات جبلت على التنوع والتعددية ولم تجد من منظومات الحكم– السلطة سوى إنكار لهما وفرض للرأي الواحد وللصوت

الواحد ولأبدية الزعيم– القائد– البطل– الرئيس الواحد وإبعاد للمواطن عن المشاركة الحرة فى إدارة الشأن العام رتبت إفشال خطط التحديث وانهيار برامج التنمية، وواجهت مؤسسات الدولة المختزلة إلى أجهزة للدفاع عن الحاكم المستبد بالتفتت كمصير وحيد، ولم تتح للحكام فرصة للانعتاق من بارانويا الخطر والخوف التي ضاعفت من الأموال المخصصة للأجهزة العسكرية والأمنية والاستخباراتية وتحول معها كل مواطن إلى مشروع «متآمر» يتعين مراقبته المستمرة والاستعداد الدائم للقضاء عليه.

غزت الولايات المتحدة الأمريكية وتحالفها الدولي العراق في ٢٠٠٣، وأسقطت نظام الديكتاتور صدام حسين، ومكنت معاول الهدم والتفتيت من مؤسسات وأجهزة الدولة الوطنية، وسلمتها لحكم وعنف طائفية ومذهبية مقيتتين خلقتا معارضات طائفية ومذهبية ومتطرفة وعنيفة على شاكلتهما ـ وانشطارات القاعدة المختلفة منذ ٢٠٠٣ وإلى اليوم، من جماعة الزرقاوي إلى داعش. إلا أن معاول هدم وتفتيت الدولة الوطنية في العراق صنعها ووظفها الاستبداد، قبل أن يأتي التدخل الأجنبي غازيا ومحتلا. ولم تفعل طائفية ومذهبية حكام العراق الجدد إلا مواصلة سجل الديكتاتور الطويل من القمع والمظالم وانتهاك الحقوق والحريات والعصف بالقانون والمساواة والترويج لبارانويا الخطر والخوف، فقط تغيرت هوية الجلادين والضحايا. ولم يسفر لا استبداد وقمع الديكتاتور ولا الجيوش الأجنبية الغازية والمحتلة ثم المتمركزة في قواعد عسكرية قريبة جغرافيا ومستعدة للقيام بمهام «الحرب على الإرهاب» ولا طائفية ومذهبية الحكام الجدد إلا عن القضاء على المعارضات السلمية والحركات السياسية الباحثة عن الديمقراطية.

وما يصح بشأن العراق، يصح أيضا بشأن سوريا التي يواجه به الديكتاتور الدموي المدعوم إقليميا ودوليا معارضة مسلحة على شاكلته تحصل أيضا على دعم إقليمي ودولي وبشأن ليبيا التي أعملت بها ديكتاتورية القذافي معاول الهدم والتفتيت بالدولة الوطنية ثم شوه التدخل الأجنبي انتفاضة شعبها طلبا للحرية.

الاستبداد والتدخل الأجنبي هما متلازمتا صناعة التطرف والإرهاب والعنف في بلاد العرب، ولن ننجح أبدا في «حرب على الإرهاب» تشنها الجيوش الأجنبية وتساندها نظم الاستبداد العربي التي مازالت تعجز عن إدراك الرابطة الإيجابية بين الديمقراطية وبين الدفاع عن الدولة الوطنية.

نحو منظومة عربية للأمن والتعاون

منذ غزو صدام حسين للكويت في ١٩٩٠، وبلاد العرب تفتقد بقسوة، وبتداعيات كارثية، نظاما إقليميا فعالا يحمي أمن شعوبها، ويضمن بقاء الدول الوطنية، ويؤسس لعلاقات تعاون متكافئة مع القوى الدولية والأطراف الإقليمية غير العربية — أي الجمهورية الإسلامية في إيران وتركيا — ويحول دون انتهاكها للسيادة العربية ودون تغول مصالحها على المصالح العربية، ويضع نهاية للصراع العربي–الإسرائيلي بإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وبتفعيل حق عودة اللاجئين وبانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وفقا لقرارات الشرعية الدولية.

عندما غزت القوات العراقية الكويت في ١٩٩٠، كان للعرب بعض الترتيبات الإقليمية التي استقرت تدريجيا في سياق القرن العشرين وعبر مسارات تاريخية وجيوسياسية مركبة، وفى كثير من الأحيان متناقضة الوجهة: سقوط السلطنة

العثمانية وتكالب القوى الاستعمارية الأوروبية على بلاد العرب، نشوء الدول الوطنية الحديثة في المشرق والمغرب العربيين في ظل هيمنة المستعمرين وتنامى حركات التحرر الوطني، رحيل الاستعمار الأوروبي التقليدي في أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥) وقدوم الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي واستلابه لأرض فلسطين، تأسيس جامعة الدول العربية كإطار إقليمي للتعاون وبزوغ عصر الجمهوريات العربية في المشرق (باستثناء المملكة الأردنية الهاشمية) وفى وادي النيل والمغرب العربي (باستثناء المملكة المغربية)، إخفاقات متتالية لتجارب الوحدة العربية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين (جسدت دولة الوحدة المصرية ـ السورية، الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨ـ١٩٦١، نموذجها الأبرز) على نحو أسفر عن رسوخ الدول الوطنية ككيانات الحكم الوحيدة فى بلاد العرب، مواجهات عسكرية متكررة مع إسرائيل وتكالب الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي السابق (١٩١٧ـ١٩٩١) على مناطق النفوذ ومصادر الطاقة وحرب باردة عربية–عربية بين مصر والسعودية في الستينيات وحرب بينهما بالوكالة في اليمن وصراعات حدود عربية–عربية بين دول أخرى (الجزائر والمغرب على سبيل المثال) ثم كارثة ١٩٦٧، إعادة ترتيب العلاقات العربية– العربية في السبعينيات وإعادة تعيين مناطق نفوذ القوى العظمى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ وفى سياق التراكم غير المسبوق لريع النفط والتسوية السلمية بين مصر وإسرائيل وتراجع دور جامعة الدول العربية ودور حكومات الدول الوطنية — النظام الرسمي العربي ـ على وقع عجزها عن فرض حل عادل للقضية الفلسطينية أو وضع حد للعدوانية الإسرائيلية وسياسات الاستيطان أو إنقاذ لبنان من دمار الحرب الأهلية ومن كارثة الاحتلال الإسرائيلي ومن ثم تصاعد دور حركات المقاومة (الشعبية/ غير الحكومية) الفلسطينية واللبنانية، إسقاط الثورة الإيرانية لحكم الشاه رضا بهلوي في ١٩٧٩ وتأسيس الجمهورية الإسلامية ونشوب الحرب العراقية– الإيرانية ١٩٨٠ـ ١٩٨٨ التي استنزفت الدولتين بشريا واقتصاديا وعسكريا، ابتعاد القضية الفلسطينية عن واجهة العمل العربي المشترك وقبول منظمة التحرير الفلسطينية لحل الدولتين في ١٩٨٨.

ومع ذلك، لم يكن العرب طوال القرن العشرين وحتى غزو صدام حسين للكويت ١٩٩٠ يعانون إقليميا مما آلت إليه أحوالهم في أعقابه. بجانب تورط جيوش الدول العربية في حروب بينية علنية وواسعة النطاق (شارك الجيش المصري والجيش السوري مع جيوش دول مجلس التعاون الخليجي في التحالف الدولي لتحرير الكويت الذى قادته الولايات المتحدة الأمريكية وواجهت به الجيش العراقي)، أعاد غزو الكويت الجيوش الغربية وقواعدها العسكرية إلى بلاد العرب بعد أن كانت قد رحلت مع رحيل الاستعمار الأوروبي في منتصف القرن العشرين وبعد أن أجبرت المقاومة اللبنانية والفلسطينية القوات الأمريكية والفرنسية على الانسحاب سريعا من لبنان في ١٩٨٣ (ولم يطل كذلك أمد وجود القوات الأمريكية في لبنان في ١٩٥٨). وبقواتها وقواعدها العسكرية المنتشرة في الخليج، تحولت الولايات المتحدة الأمريكية من قوة عظمى مؤثرة في التطورات الإقليمية (بل والداخلية في بعض الدول العربية) عبر نفوذها وتحالفاتها إلى قوة عظمى ذات وجود عسكري دائم على الأرض العربية قابل للتوظيف المباشر لتحقيق أهدافها وحماية مصالحها. وفيما بعد مكن الوجود العسكري الأمريكي، وكذلك التسهيلات العسكرية الكثيرة التي عمدت دول الخليج وبعض الدول العربية الأخرى إلى منحها للولايات المتحدة ولبريطانيا وحلفائهما الغربيين، من غزو واحتلال العراق ومن القيام بعمليات عسكرية أخرى. أما الدول العربية، التي قبلت وجود القواعد العسكرية على أراضيها أو التي منحت التسهيلات العسكرية أو التي لم تفعل لا هذا ولا ذاك، فتابعت منذ ١٩٩٠ أو بالأحرى تابعت شعوبها استباحة الجيوش الغربية للأراضي العربية واعتياش العدوانية الإسرائيلية في استباحتها للأراضي العربية في فلسطين ولبنان وسوريا

على استحالة الاستباحة إلى وضعية عربية دائمة تجد بين الدول العربية من يؤيدها جهرا أو سرا، وانهيار تقاليد القرن العشرين الإقليمية التي حمت السيادة الوطنية وحالت بين الأطراف الدولية والإقليمية غير العربية وبين التدخل في شئون العرب.

ولم يكن لحروب الجيوش العربية البينية وللوجود العسكري الدائم للولايات المتحدة الأمريكية وللاستباحة المتكررة للأراضي العربية غير أن ترتب مجتمعة الانفراط الكامل للترتيبات الإقليمية، وسقوط جامعة الدول العربية وأطر التعاون والعمل المشترك التي استندت إليها في خانات اللافعل واقتصار الدور على الحضور الرمزي، وتعالى وتائر الصراعات المسلحة والحروب الأهلية والنزعات الانفصالية ودينامية تفتت الدولة الوطنية في مناطق مختلفة، وتغول القوى الكبرى والأطراف الإقليمية غير العربية على بلاد العرب، واختزال القضية الفلسطينية في عبث تفاوضي لا نهاية له وتشويهها بصراعات فلسطينية–فلسطينية بينما الاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي يواصل ابتلاع الأرض. وعمق غياب الديمقراطية وعجز السلطوية الحاكمة في بلاد العرب، إذا ما استثنينا دول الخليج، عن تحقيق التنمية المستدامة وتحسين الظروف المعيشية لشعوبها وصون السلم الأهلي والتأسيس لمواطنة حديثة تستند إلى المساواة والحقوق والحريات من التداعيات الكارثية لانهيار الترتيبات الإقليمية.

وبين ١٩٩٠ و٢٠١٥، انهار الصومال واختفت دولته الوطنية ولم تخرج من أرضه إلى اليوم القوات الأجنبية. وبين ١٩٩٠ و٢٠١٥، غزت الولايات المتحدة وحلفاؤها العراق ورتب الاحتلال الأمريكي تفتيت مؤسسات وأجهزة الدولة الوطنية وعجز، كما هو متوقع، عن بناء إطار جديد للحكم ولإدارة شئون الناس، والحصيلة اليوم هي دولة فاشلة تتكالب عليها طائفية شيعية تسيطر على مناطق الجنوب والوسط مدعومة بالنفوذ الإيراني كما يتكالب عليها النزوع الكردي للانفصال في الشمال وحال السكان السنة الذين تتنازعهم عصابات الإرهاب والعنف من قاعدة الزرقاوي إلى داعش البغدادي والمخاوف المشروعة للأقليات المسيحية التي تواجه إجرام ودموية داعش. بين ١٩٩٠و٢٠١٥، انفصل جنوب السودان عن شماله واستعرت الصراعات المسلحة والحروب الأهلية في أقاليم أخرى من دارفور إلى كردفان. كمابين ١٩٩٠ و٢٠١٥، توحد اليمن بشطريه الشمالي والجنوبي في بداية التسعينيات وتجاوز حربا أهلية في منتصفها ثم ها هو يعاني خلال السنوات القليلة الماضية من دينامية التفتت الصومالي التي تفرض عليه مصير الدولة الفاشلة بصراعات مسلحة متتالية تتداخل بها العناصر الطائفية والقبلية مع اتساع مساحات فعل عصابات الإرهاب والعنف ومع صراعات وحروب بالوكالة بين القوتين الإقليميتين إيران والسعودية، والحصيلة يمنيا هي انهيار مؤسسات الدولة الوطنية وعربيا هي وصول إيران إلى مضيق باب المندب.

بين ١٩٩٠ و٢٠١٥، لم يعد السيناريو الصومالي/ اليمني ببعيد عن سوريا التي حولت بها الجرائم الوحشية لعصابات الأسد وجرائم عصابات الإرهاب والعنف، والطرفان يحصلان على دعم إقليمي ودولي تسليحا وتمويلا، ثورة شعبية من أجل الديمقراطية إلى صراع مسلح وحرب أهلية ودموية ، ولا عن ليبيا التي تمزق أوصالها حروب الكل ضد الكل ويتوطن بها الإرهاب وتغيب عنها سلطة الدولة الوطنية، ولا عن لبنان بدولته المعطلة المرتهنة للطوائف وللسلاح الإيراني وللمال الخليجي ولتداعيات الصراع في سوريا ولشبكة حلفاء إسرائيل.

بين ١٩٩٠ و٢٠١٥، وكما تمكنت إيران من التغول على المصالح العربية في العراق ولبنان واليمن وواصلت إسرائيل الإمعان في استيطانها وعدوانيتها، تحولت تركيا من طرف هامشي في معادلة القوة والنفوذ في بلاد العرب إلى طرف

أساسي له حلفاؤه بين الدول العربية وخصومه بين الدول العربية أيضا ويتورط في الصراعات المسلحة والحروب الأهلية في سوريا والعراق وربما في ليبيا.

لا خروج لنا كعرب من المتواليات السلبية لتغول القوى الدولية والأطراف الإقليمية غير العربية على مصالحنا، والاستباحة المتكررة لأراضينا، واستباحتنا بفعل صراعات مسلحة وحروب أهلية وحروب الكل ضد الكل ونزعات طائفية وانفصالية وتفتت للدول الوطنية وانهيار لمؤسساتها وأجهزتها، وتوطن الإرهاب الذى يعتاش على غياب سلطة الدولة الوطنية وكذلك على الاستبداد والظلم والفقر والطائفية والوجود العسكري الأجنبي وتناقض سياسات بعض الدول العربية؛ إلا بالتوافق على منظومة جديدة أو ترتيبات جديدة للأمن الإقليمي تعلى من شأن القواسم المشتركة بين الدول العربية وتلملم أشلاءها كدول وطنية وتواجه جماعيا الإرهاب والعنف وتطور حلولا تفاوضية للصراعات المسلحة والحروب الأهلية المستعرة حاليا وتحول بين غير العرب وبين التغول على أراضينا ومصالحنا، وقبل كل ذلك تجعل من الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات وسيادة القانون وتداول السلطة والتنمية المستدامة نسقا قيميا ومجتمعيا ملزما وتحفزا عربيا على التحول باتجاهه. هنا مناط الخروج من المتواليات السلبية، هنا جوهر حاضر نحتوى أزماته ومستقبل يلحقنا بالبشرية المتقدمة.

نبذة عن الكتاب

آنيا فيلر-تشوك:

المديرة المقيمة لمؤسسة فريدريش ايبرت- مكتب عمان، والمسؤولة عن عمل المؤسسة في الأردن والعراق. تركز أنشطة المؤسسة في الأردن على تعزيز الديمقراطية والعدالة الاجتماعية التي تغطي مجموعة واسعة من القضايا السياسية والاجتماعية، بما في ذلك الإسلام السياسي. انضمت فيلر-تشوك لمؤسسة فريدريش ايبرت في عام ٢٠٠٥، وتقلدت العديد من المناصب في مقر المنظمة في برلين. قبل أن تنتقل إلى الأردن في عام ٢٠١٢، شغلت منصب مسؤولة مكتب للولايات المتحدة وكندا واليابان. وقبل انضمامها إلى مؤسسة فريدريش إيبرت، كانت في مهام عدة في تونس والأردن والولايات المتحدة. كما أن لها عدد من المنشورات والمقالات باللغة الألمانية والإنجليزية، منها كتاب عن حقوق المرأة في الأردن. وتشارك بشكل منتظم في تحليلات سياسية لوسائل الإعلام المختلفة في الأردن والعراق. وهي حاصلة على درجة الماجستير المزدوجة في العلوم السياسية من معهد العلوم السياسية في باريس-فرنسا، والجامعة الحرة في برلين-ألمانيا.

بيسان الشيخ:

صحفية وكاتبة في جريدة الحياة منذ عام ٢٠٠١، مقرها بيروت. التركيز الأساسي لها هو التقارير الميدانية والصحافة الإستقصائية في لبنان والمنطقة. صدر لها في ٢٠١٤ كتاب مشترك مع حازم صاغية بعنوان "شعوب الشعب اللبناني، مدن الطوائف وتحولاتها في زمن الحرب السورية". كما أنها مسؤولة الملحق الأسبوعي "الشباب" والذي يتناول الاتجاهات السياسية والدراسية وأسلوب الحياة في العالم العربي.

حسن أبو هنية:

باحث في الحركات الإسلامية. له العديد من المنشورات والإصدارات في هذا المجال.

سامي براهم:

باحث في وحدة "الظاهرة السلفية" بالقسم الجيوسياسي بالمعهد التونسي للدراسات الاستراتيجية (٢٠١٢-٢٠١٤) ومساهم في أبحاث عن الظاهرة السلفية الجهادية جمعت في كتاب تحت عنوان "السلفية الجهادية في تونس: الواقع والمآلات، ٢٠١٤". حاصل على شهادة الماجستير من كلية الآداب بمنوبة عام ٢٠٠٥. كما أنه كان مستشارا للأسكوا (لجنة الأمم المتحدة الاجتماعية والاقتصادية لغربي آسيا (٢٠١١-٢٠١٣). له العديد من الكتب والمنشورات الأخرى من أبرزها: "الدين والسياسة".

د. حسان الصفدي:

عضو المجلس الوطني السوري، ومدرس في الجامعة الإسلامية في ماليزيا. باحث متخصص في الدراسات الإسلامية والحركات الإسلامية والشأن السوري. وشارك في عدد كبير في المؤتمرات العالمية. من أبرز مؤلفاته "الخطاب السياسي في

القرآن" (الشبكة العربية للدراسات والأبحاث)، و"الدولة والجماعة: التطلعات السياسية للجماعات الدينية في سورية (٢٠٠٠-٢٠١٠)" (مركز تواصل والأبحاث الاستراتيجية). كما له العديد من الدراسات المنشورة وساهم في تأليف العديد من الكتب حول الإسلاميين وسوريا والدراسات الإسلامية.

عبدالله المالكي:

كاتب وباحث سعودي في الإسلاميات المعاصرة. حاصل على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة – جامعة أم القرى. له كتابان:

١) سيادة الأمة قبل تطبيق الشريعة – نحو فضاء أمثل لتجسيد مبادئ الإسلام (الشبكة العربية للأبحاث والنشر)

٢) دولة الأمير والشيخ – الدولة ووظيفتها في الفكر السلفي الوهابي (تحت الطبع).

عثمان محمد رشيد:

باحث في شؤون الجماعات المسلحة بالعراق. يعمل حاليا مديرا لمكتب صحيفة العربي الجديد ببغداد، وعضو مركز بغداد المستقل للدراسات السياسية. حاصل على ماجستير في الإعلام بجامعة بغداد وحائز على درع الصحافة العربية عن مسابقة الأمم المتحدة في تونس للعام ٢٠٠٩. وهو يعد كبير مراسلي صحيفة واشنطن بوست في العراق للعام ٢٠٠٣ ولغاية ٢٠١٤ وله عدة بحوث حول الواقع العراقي بعد الغزو الأمريكي للبلاد (دراسات ميدانية).

د. عمرو حمزاوي:

حاصل على درجة الدكتوراة في فلسفة العلوم السياسية من جامعة برلين في ألمانيا. بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٩، عمل كباحث أول لسياسات الشرق الأوسط في مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي (واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية) وانضم إليهم حاليا مرة أخرى، وشغل بين عامي ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ منصب مدير الأبحاث في مركز الشرق الأوسط لمؤسسة كارنيجي ببيروت، لبنان. انضم إلى قسم السياسة العامة والإدارة في الجامعة الأميركية بالقاهرة في عام ٢٠١١ كأستاذ للسياسة العامة، كما أنه عمل أيضا كأستاذ مشارك للعلوم السياسية في قسم العلوم السياسية، جامعة القاهرة .يكتب صحفيا وأكاديميا عن قضايا الديمقراطية في مصر والعالم العربي، ومن بينها ثنائيات الحرية–القمع ووضعية الحركات السياسية والمجتمع المدني وسياسات وتوجهات نظم الحكم. كما أنه عضو سابق في مجلس الشعب بعد انتخابه في أول انتخابات برلمانية في مصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، وهو أيضا عضو سابق في المجلس القومي المصري لحقوق الإنسان.

د. ماركو لومباردي:

مدير مركز أبحاث الفريق الإيطالي في قضايا الأمن، والإرهاب والطوارئ. وهو أستاذ مشارك في الجامعة الكاثوليكية، حيث يدرس إدارة الأزمات، ونظرية الاتصال الجماهيري وعلم الاجتماع. كما أنه عضو في المجلس العلمي للدكتوراة

الدولية لعلم الإجرام. ويتعاون مع وكالات مؤسسية معنية في قضايا مختلفة كالأمن. له عدة منشورات على إدارة الأزمات والأمن والإرهاب.

د. محمد أبو رمان:

باحث متخصص في الفكر السياسي والحركات الإسلامية في مركز الدراسات الاستراتيجية في الجامعة الأردنية. حاصل على درجة الدكتوراة في فلسفة النظرية السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة. كاتب في صحيفة الغد اليومية الأردنية، ولديه العديد من الكتب والمنشورات.

د. مروان أبو طعام:

ولد في بيروت. درس العلوم السياسية والاقتصاد والدراسات الإسلامية في جامعة غوتنغن و IEP في بروفانس وجامعة بيروت. وحاصل على درجة الدكتوراة في تأثير الإرهاب الدولي على السياسة الأمنية الألمانية. حاليا، يعمل في المكتب الجنائي للدولة في راينلاند بالاتينات، وهو باحث في معهد برلين للتكامل الميداني وبحوث الهجرة (BIM) في جامعة هومبولت في برلين مع التركيز على استراتيجيات التطرف واجتثاث التطرف، كما أنه مستشار على الجرائم ذات الدوافع السياسية والتطرف. ويشارك في العديد من ورش العمل المتخصصة في التعامل مع التحدي المتمثل في الأصول الجهادية وآليات الاستجابة للدولة الديمقراطية.

وائل البتيري:

كاتب وصحفي في جريدة السبيل الأردنية اليومية والعديد من المواقع الإلكترونية، وباحث في الحركات الإسلامية، ومدير تنفيذي سابق في المركز الهاشمي للبحوث والدراسات الحديثية والشرعية. لديه أربعة مؤلفات في المجال الفكري والدعوي.



ISBN 978-9957-484-65-1